تاريخ اليعقوبي

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
الكاتب المعروف (بابن واضح) الأخباري
المتوفى بعد سنة ٢٩٢ هـ

تاريخ اليعقوبي

أقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم
من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ومنه الى
زمن المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب

المعروف (بابن واضح) الأخباري

المتوفى بعد سنة ٢٩٢

قدم له وعلق عليه

العلامة الكبير السيد محمد صادق بحر العلوم

الجزء الثاني

منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولى التوفيق ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .

إنه لما انقضى كتابنا الأول ، الذى اختصرنا فيه إبتداء كون الدنيا وأخبار الأوائل من الأمم المتقدمة ، والممالك المتفرقة ، والأسباب المتشعبة ألفنا كتابنا هذا على ما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة . وأصحاب السير والأخبار والتاريخات ، ولم نذهب الى التفرد بكتاب نصنفه ونتكلف منه ما قد سبقنا اليه غيرنا ، لكننا قد ذهبنا الى أجمع المقالات والروايات لأنا قد وجدناهم اختلفوا فى أحاديثهم وأخبارهم وفى السنين والاعمار وزاد بعضهم ونقص بعض فاردنا أن نجمع ما انتهى الينا مما جاء به كل امرىء منهم لأن الواحد لا يحيط بكل العلم .

(وقد قال) أمير المؤمنين على بن أبى طالب : العلم اكثر من أن يحفظ فخذوا من كل علم محاسنه .

(وقال) جعفر بن حرب الأشج : وجدت العلم كالمال فى يد كل انسان منه شىء فاذا حوى الرجل منه جملة سمى موسراً ، ويحوى الآخر ما هو أكثر منه فيسمى موسراً . وكذلك العلم لا يحوى منه شيئاً إلا سمى عالماً وإن كان غيره أعلم منه ، ولو كنا لا نسمى العلم عالماً حتى يحوى العالم كله لم يقع هذا الإسم على أحد من الآدميين .

(وقال بعض الحكماء) ليس طلبى للعلم طمعاً فى بلوغ قاصيته ، واستيلاء على غايته ، ولكن لإلتماسى شيئاً لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه .

(وقال بعض الحكماء) إن لم تكن عالماً فتعلم ، وان لم تكن حكيماً فتحكم فانه قل ما تشبه رجل بقوم إلا أن يكون منهم .

(وقال بعضهم) : العلم روح والعمل بدن . والعلم أصل والعمل فرع والعلم والد والعمل مولود ، وكان العمل بمكان العلم ولم يكن العلم بمكان العمل .

(وقال بعضهم) من طلب العلم لرغبة أو رهبة أو منافسة أو شهوة كان حظه منه على حسب الرهبة ؛ ومن طلب العلم لكرم العلم والتمسه لفضل الاستبانة كان حظه منه بقدر كرمه وانتفاعه به حسب استحقاقه .

(وقال بعضهم) كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى العلم .

وأبتدأ كتابنا هذا من مولد رسول الله ﷺ وخبره فى حال بعد حال ووقت بعد وقت ، إلى أن قبضه الله اليه ، وأخبار الخلفاء بعده ، وسيرة خليفة بعد خليفة ، وفتوحه وما كان منه ، وعمل به فى أيامه وسنى ولايته .

وكان من روينا عنه ما فى هذا الكتاب : اسحاق بن سليمان بن على الهاشمى عن أشياخ بنى هاشم . وأبو البخترى وهب بن وهب القرشى عن جعفر بن محمد وغيره من رجاله ، وأبان بن عثمان عن جعفر بن محمد ، ومحمد بن عمر الواقدى عن موسى بن عقبة وغيره من رجاله ، وعبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحاق المطلبى ؛ وأبو حسان الزيادى عن أبى المنذر الكلبى وغيره من رجاله ، وعيسى بن يزيد بن دأب ، والهيثم بن عدى الطائى عن عبد الله بن عياش الهمدانى ؛ ومحمد بن كثير القرشى عن أبى صالح وغيره من رجاله ، وعلى بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف المدائنى ، وأبو معشر المدنى ومحمد بن موسى الخوارزمى المنجم ؛ وما شاء الله الحاسب فى طوالع السنين والأوقات . وأثبتنا عن غير هؤلاء الذين سمينا جملا جاء بها غيرهم ، ورواها سواهم ، وعلمناها من سير الخلفاء وأخبارهم ، وجعلناه كتاباً مختصراً حذفنا منه الأشعار ، وتطويل الأخبار ، وبالله المعونة والتوفيق والحول والقوة .

مولد رسول الله ﷺ

وكان مولد رسول الله ﷺ فى عام الفيل ؛ بينه وبين الفيل خمسون ليلة وكان على ما رواه بعضهم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول .

(وقيل) ليلة الثلاثاء لثمان خلون من شهر ربيع الأول .

(وقال) من رواه عن جعفر بن محمد يوم الجمعة حين طلع الفجر لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

(وولد) على ما قال أصحاب الحساب بقران العقرب .

(قال ما شاء الله المنجم) كان طالع السنة التى كان فيها القران الذى دل على مولد رسول الله الميزان اثنتين وعشرين درجة حد الزهرة وبيتها ؛ والمشترى فى العقرب ثلاث درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة ، وزحل فى العقرب ست درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة راجعاً ؛ وهما فى الثانى من الطوالع ، والشمس فى نظير الطالع فى الحمل أول دقيقة ، والزهرة فى الحمل على درجة وست وخمسين دقيقة وعطارد فى الحمل على ثمانى عشرة درجة وست عشرة دقيقة ؛ والقمر وسط السماء فى السرطان درجة وعشرين دقيقة .

(وقال الخوارزمى) كانت الشمس يوم ولد رسول الله فى الثور درجة والقمر فى الأسد على ثمانى عشرة درجة وعشر دقائق ، وزحل فى العقرب تسع درجات وأربعين دقيقة راجعاً ؛ والمشترى فى العقرب درجتين وعشر دقائق راجعاً ؛ والمريخ فى السرطان درجتين وخمسين دقيقة . والزهره فى الثور اثنتى عشرة درجة وعشر دقائق وكانت قريش تؤرخ السنين بموت قصى بن كلاب الجلالة قصى فلما كان عام الفيل أرخت به لاشتهار ذلك العام فكان تأريخهم من مولد رسول الله ﷺ .

ولما ولد رسول الله ، رجمت الشياطين وانقضت الكواكب ، فلما رأت ذلك قريش أنكرت انقضاض الكواكب وقالوا : ما هـــذا إلا لقيام الساعة وأصابت الناس زلزلة عمت جميع الدنيا حتى تهدمت الكنائس والبيع وزال كل شيء يعبد دون الله عزوجل عن موضعه وعميت على السحرة والكهان أمورهم وحبست شياطينهم ، وطلعت نجوم لم تر قبل ذلك فانكرتها كهان اليهود وزلزل ايوان كسرى فسقطت منه ثلاث عشرة شرافة ، وخمدت نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام ، ورأى عالم الفرس وحكيمهم : ـ وهو الذى تسميه الفرس (موبذان موبذ) القيم بشرايع دينهم ـ كأن إبلاً عراباً تقود خيلا صعاباً حتى قطعت دجلة وانتشرت فى البلاد ، فراع ذلك كسرى انوشروان وأفزعه فوجه الى النعمان فقال هل بقى من كهان العرب احد ؟ قال ! نعم ، سطيح الغسانى بدمشق من أرض الشام ، قال : فجئنى بشيخ من العرب له عقل ومعرفة أوجهه اليه ، فأتاه بعبد المسيح بن بقيلة فوجهه اليه فخرج اليه عبد المسيح على جمل حتى قدم دمشق فسأل عنه فدل عليه وهو ينزل فى باب الجابية فوجده فى آخر رمق فنادى فى أذنه بأعلى صوته :

أصم أم تسمع غطريف اليمن ... يافارج الكربة أعيت من ومن

وفاصل الخطبة فى الأمر العنن ... أتاك شيخ الحى من آل يزن

فقال : عبد المسيح ، على جمل مشيح ، نحو سطيح ، حين أشفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان بهدم الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلا عراباً ، تقود خيلا صعاباً ، حتى قطعت دجلة وانتشرت فى البلاد ، يا بن ذى يزن تكون هنة وهنات ، ويموت ملوك وملكات . بعدد الشرافات . إذا غاضت بحيرة ساوة . وظهرت التلاوة . بارض تهامة ، وظهر صاحب الهراوة فليست الشأم لسطيح شاماً . ثم فاضت نفسه .

وجاء رجل من أهل الكتاب الى ملأ من قريش ، فيهم : هشام بن المغيرة

والوليد بن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة فقال : أولد لكم الليلة مولود ؟ قالوا لا . قال أخطأ كم والله معشر قريش فقد ولد إذاً بفلسطين غلام اسمه (أحمد) به شامة كلون الحز الأدكن يكون به هلاك أهل الكتاب . فلم يريموا حتى قيل لهم إنه ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام فمضى الرجل حتى نظر اليه ثم قال هو والله هو . ويل أهل الكتاب منه ، فلما رأى سرور قريش بما سمعت منه قال والله ليسطون بكم سطوة يتحدث بها أهل المشرق والمغرب .

وكان تزويج عبد الله لآمنة بنت وهب بعد حفر زمزم بعشر سنين ، وقيل بضع عشرة سنة ، وبين فداء عبد المطلب لابنه وبين تزويجه إياه سنة ، فكان اسم عبدالله أبي رسول الله (عبد الدار) . وقيل كان اسمه (عبد قصي) فلما كان في السنة التي فدى فيها قال عبد المطلب هذا عبد الله فسماه يومئذ كذلك ، وكان بين تزويج أبي رسول الله بأمه وبين مولده - على ماروى جعفر بن محمد - عشرة أشهر . وقال بعضهم : سنة وثمانية أشهر .

(وروى) عن أمه أنها قالت : رأيت لما وضعته نوراً بدا مني ساطعاً حتى أفزعني ولم أر شيئاً مما يرينه النساء .

(وروى بعضهم) أنها قالت : سطع مني النور حتى رأيت قصور الشام ولما وقع الى الارض قبض قبضة من تراب ثم رفع رأسه الى السماء (. . . .) فكان أول لبن شربه بعد أمه لبن « ثويبة » مولاة أبي لهب وقد أرضعت ثويبة هذه حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وأبا سلمة بن عبدالأسد المخزومي .

(وقال رسول الله ﷺ) بعد ما بعثه الله : رأيت أبا لهب في النار يصيح العطش العطش فيسقى في نقر إبهامه فقلت بم هذا ؟ فقال بعتق ثويبة لانها أرضعتك .

وتوفي عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله - على ما روى جعفر بن محمد - بعد شهرين من مولده .

(وقال بعضهم) إنه توفى قبل أن يولد ، وهذا غير صحيح لأن الاجماع على أنه توفى بعد مولده .

(وقال آخرون) بعد سنة من مولده ، وكانت وفاة عبد الله بالمدينة عند أخوال أبيه بنى النجار فى دار تعرف بدار النابغة ، وكانت سنه يوم توفى : خمساً وعشرين سنة .

واسترضع فى بنى سعد بن بكر بن هوازن ، وكان عبد المطلب دفعه الى الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى زوج حليمة بنت أبى ذؤيب السعدى فلم يزل مقيماً فى بنى سعد يرون به البركة فى انفسهم وأموالهم حتى كان من شأنه فى الذى أتاه فى صورة رجل فشق عن بطنه وغسل جوفه ما كان ، فخافوا عليه وردوه الى جده عبد المطلب وله خمس سنين ، وقيل أربع سنين وهو فى خلق ابن عشر وقوته .

وتوفيت أمه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بعد ما أتى عليه ست سنين وثلاثة أشهر ولها ثلاثون سنة ، وكان وفاتها بموضع يقال له « الأبواء » بين مكة والمدينة وكان عبد المطلب جد رسول الله يكفله .

وعبد المطلب يومئذ سيد قريش غير مدافع قد أعطاه الله من الشرف مالم يعط أحداً ، وسقاه زمزم وذا الهرم ، وحكمته قريش فى أموالها ، واطعم فى المحل حتى أطعم الطير والوحوش فى الجبال ، قال أبو طالب :

ونطعم حتى تأكل الطير فضلنا اذا جعلت أيدى المفيضين ترعد

ورفض عبادة الاصنام ، ووحد الله عز وجل ، ووفى بالنذر ، وسنن سنناً نزل القرآن بأكثرها وجاءت السنة من رسول الله بها ، وهى الوفاء بالنذر ومائة من الابل فى الدية ، وألا تنكح ذات محرم ، ولا تؤتى البيوت من ظهورها وقطع يد السارق . والنهى عن قتل الموؤدة . والمباهلة . وتحريم الخمر . وتحريم الزنا والحد عليه . والقرعة . وألا يطوف أحد بالبيت عريان . وإضافة الضيف

وألا ينفقوا اذا حجوا إلا من طيب أموالهم . وتعظيم الاشهر الحرم . ونفى ذوات الرايات . ولما قدم صاحب الفيل خرجت قريش من الحرم فارة من أصحاب الفيل . فقال عبد المطلب والله لا أخرج من حرم الله وابتغى العز فى غيره فجلس بفناء البيت ثم قال :

لا هم إن تعف فانهم عيالك (١) إلا فشىء ما بدا لك

فكانت قريش تقول عبد المطلب ابراهيم الثانى ، وكان المبشر لقريش بما فعل الله بأصحاب الفيل عبدالله بن عبد المطلب أبو رسول الله . فقال عبدالمطلب قد جاءكم عبد الله بشيراً ونذيرا . فاخبرهم بما نزل باصحاب الفيل فقالوا إن كنت لعظيم البركة لميمون الطائر منذ كنت .

وكانت لعبد المطلب من الولد الذكور عشرة ومن الاناث أربع : عبدالله وهو أبو رسول الله . وأبو طالب وهو عبد مناف . والزبير وهو أبو الطاهر وعبد الكعبة وهو المقوم . وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهى أم حكيم البيضاء وعاتكة وبرة وأروى وأميمة بنات عبد المطلب والحارث وهو اكبر ولد عبدالمطلب وبه يكنى . وقثم وأمهما صفية بنت جندب ابن حجير بن رئاب بن حبيب بن سوأة بن عامر بن صعصعة . وحمزة هو أبو يعلى أسد الله واسد رسول الله . وأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة . وهى أم صفية بنت عبد المطلب . والعباس وضرار أمهما نتيلة بنت خباب بن كليب ابن النمر بن قاسط . وأبو لهب وهو عبد العزى وأمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر الخزاعى . والغيداق وهو جحل وإنما سمى الغيداق لأنه كان أجود قريش وأطعمهم الطعام . وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعى فهؤلاء أعمام رسول الله وعماته . وكان لكل واحد من ولد عبد المطلب شرف وذكر وفضل وقدر ومجد . وحج عامر بن مالك ملاعب الأسنة البيت فقال

---

(١) ـ أنظر ما علقناه فى هامش ص ٢١٠ من الجزء الأول . (م ص)

رجال كأنهم جمال جون فقال بهؤلاء تمنع مكة . وحج اكثم بن صيفى فى ناس من بنى تميم فرآهم يخترقون البطحاء كأنهم أبرجة الفضة يلحقون الأرض جيرانهم فقال يابنى تميم إذا أحب الله أن ينشأدولة نبت لها مثل هؤلاء ، هؤلاء غرس الله لا غرس الرجال .

وكان يفرش لعبد المطلب بفناء الكعبة فلا يقرب فراشه حتى يأتى رسول الله وهو غلام فيتخطى رقاب عمومته فيقول لهم عبد المطلب : (دعوا ابنى إن لإبنى هذا لشأنا) وكان عبد المطلب قد وفد على سيف بن ذى يزن مع جلة قومه لما غلب على اليمن فقدمه سيف عليهم جميعاً وآثره ، ثم خلا به فبشره برسول الله ووصف له صفته فكبر عبد المطلب وعرف صدق ما قال سيف ثم خرّ ساجداً فقال سيف هل أحسست لما قلت نبأ ؟ فقال له نعم ، ولد لإبنى غلام على مثال ماوصفت أيها الملك . قال فاحذر عليه اليهود وقومك . وقومك أشد من اليهود والله متمم أمره ومعل دعوته .

وكان أصحاب الكتاب لا يزالون يقولون لعبد المطلب فى رسول الله منذ ولد فيعظم بذلك ابتهاج عبد المطلب . أما والله لئن نفستنى قريش الماء - يعنى ماء سقاه الله من زمزم وذى الهرم - لتنفسى غداً الشرف العظيم والبناء الكريم والعز الباقى والسناء العالى . الى آخر الدهر . ويوم الحشر .

وتوالت على قريش سنون مجدبة حتى ذهب الزرع وقحل الضرع ففزعوا وقالوا قد سقانا الله بك مرة بعد أخرى فادع الله أن يسقينا وسمعوا صوتاً ينادى من بعض جبال مكة : (معشر قريش إن النبى الأمى منكم وهذا أوان توكفه ألا فانظروا منكم رجلاً عظاماً جساماً له سن يدعوا اليه وشرف يعظم عليه فليخرج هو وولده ليمسوا من الماء ويلتمسوا من الطيب ويستلموا الركن وليدع الرجل ويؤمن القوم فخصبتم ما شئتم إذاً وغثتم) فلم يبق أحد بمكة إلا قال هذا شيبة الحمد هذا شيبة الحمد فخرج عبد المطلب ومعه رسول الله وهو يومئذ مشدود الأزار

فقال عبد المطلب : (اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة ، أنت عالم غير معلم مسئول غير مبخل ، وهؤلاء عبادك وإماؤك بعذرات حرمك ، يشكون اليك سنيهم التى أقحلت الضرع وأذهبت الزرع ، فاسمعن اللهم وأمطرن غيثاً مريعاً مغدقاً) فما راموا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بثجه ، وفى ذلك يقول بعض قريش :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا   وقد فقدنا الكرى واجلوذ المطر
منا من الله بالميمون طائره   وخير من بشرت يوماً به مضر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به   ما فى الأنام له عدل ولا خطر

وأوصى عبد المطلب الى ابنه الزبير بالحكومة وأمر الكعبة ، والى أبى طالب برسول الله وسقاية زمزم . وقال له قد خلفت فى أيديكم الشرف العظيم الذى تطأون به رقاب الناس . وقال لأبى طالب :

أوصيك يا عبد مناف بعدى   بمفرد بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد   فكنت كالأم له فى الوجد
تدنيه من أحشائها والكبد   فانت من أرجى بنى عندى
لدفع ضيم أو لشد عقد

وتوفى عبد المطلب ولرسول الله ثمانى سنين . ولعبد المطلب مائة وعشرون سنة ـ وقيل مائة وأربعون سنة ـ وأعظمت قريش موته . وغسل بالماء والسدر وكانت قريش أول من غسل الموتى بالسدر . ولف فى حلتين من حلل اليمن قيمتهما الف مثقال ذهب ، وطرح عليه المسك حتى ستره ، وحمل على أيدى الرجال عدة أيام إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغييبه فى التراب ، واحتبى ابنه بفناء الكعبة لما غيب عبد المطلب واحتبى ابن جدعان التميمى من ناحية ، والوليد بن ربيعة المخزومى ، فادعى كل واحد الرئاسة .

(وروى) عن رسول الله أنه قال : إن الله يبعث جدى عبد المطلب امة واحدة فى هيئة الأنبياء وزى الملوك .

فكفل رسول الله بعد وفاة عبد المطلب أبو طالب عمه فكان خير كافل وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقه .

(قال) على بن أبى طالب : أبى ساد فقيراً وما ساد فقير قبله ، وخرج به الى بصرى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين قال والله لا أكلك الى غيرى وربته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة أبى طالب وأم أولاده جميعاً .

(ويروى) عن رسول الله ـ لما توفيت وكانت مسلمة فاضلة ـ أنه قال : اليوم ماتت أمى ، وكفنها بقميصه ، ونزل على قبرها ، واضطجع فى لحدها فقيل له يا رسول الله لقد اشتد جزعك على فاطمة ؟ قال إنها كانت أمى إذ كانت لتجيع صبيانها وتشبعنى وتشعثهم وتدهننى وكانت أمى .

ولما بلغ العشرين : ظهرت فيه العلامات ، وجعل أصحاب الكتب يقولون فيه ، ويتذاكرون أمره ، ويتوصفون حاله . ويقربون ظهوره . فقال يوماً لأبى طالب : يا عم إنى أرى فى المنام رجلا يأتينى ومعه رجلان فيقولان هو هو وإذا بلغ فشأنك به . والرجل لا يتكلم . فوصف أبو طالب ما قال لبعض من كان بمكة من أهل العلم . فلما نظر الى رسول الله قال : هذه الروح الطيبة هذا والله النبي المطهر . فقال له أبو طالب فاكتم على ابن أخى لا تغرّ به قومه والله إنما قلت اعلى ما قلت ، ولقد أنبأنى أبى عبد المطلب بانه النبي المبعوث وأمرنى أن أستر ذلك لئلا يغري به الأعادي .

الفجار

وشهد رسول الله الفجار وله سبع عشرة سنة ، وقيل عشرون سنة وكان سبب الفجار ـ وهى الحرب التى كانت بين كنانة وقيس ـ أن رجلا من بنى ضمرة يقال له « البراض » بن قيس ـ وكان بمكة فى جوار حرب بن أمية ـ وثب على رجل من هذيل يقال له « الحارث » فقتله وأخرجه حرب بن أمية من جواره فلحق بالنعمان بن المنذر فاجتمع هو وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب وكان النعمان يوجه فى كل سنة بلطيمة الى عكاظ للتجارة ولا يعرض لها أحد من العرب حتى قتل النعمان أخا بلعاء بن قيس . فكان بلعاء بعد ذلك يغير على لطائم النعمان فلما اجتمع عروة والبراض عنده قال من يجير لطائمى ؟ قال البراض : أنا ، وقال عروة أنا مثله ؟ فتنازعا كلاماً . فلما خرجا وتوجه عروة لينصرف عرضه البراض فقتله وأخذ ما كان معه من لطائم النعمان فاجتمعت قيس على قوام البراض ولجأت كنانة الى قريش فاعانتها وخرجت معها فاقتتلوا فى رجب وكان عندهم الشهر الحرام الذى لا تسفك فيه الدماء . فسمى الفجار لانهم فجروا فى شهر حرام . وكان على كل قبيل من قريش رئيس وعلى بنى هاشم الزبير بن عبد المطلب .

(وقد روى) أن أبا طالب منع أن يكون فيها أحد من بنى هاشم . وقال هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام ولا أحضره ولا أحد من أهلى فأخرج الزبير بن عبد المطلب مستكرهاً وقال عبد الله بن جدعان التميمى وحرب بن أمية لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم فخرج الزبير .

(وقيل) ان أبا طالب كان يحضر فى الأيام ومعه رسول الله فاذا حضر هزمت كنانة قيساً فعرفوا البركة بحضوره فقالوا : يا ابن مطعم الطير وساقى الحجيج لا تغب عنا فانا نرى مع حضورك الظفر والغلبة ، قال فاجتنبوا الظلم

والعدوان والقطيعة والبهتان فانى لا أغيب عنكم ، فقالوا ذاك لك فلم يزل يحضر حتى فتح عليهم .

(وروى) عن رسول الله أنه قال : شهدت الفجار مع عمى أبي طالب وأنا غلام .

(وروى بعضهم) أنه شهد الفجار وهو ابن عشرين سنة . وطعن أبابراء ملاعب الأسنة فأرداه عن فرسه وجاء الفتح من قبله ، فجمعنا جميع الروايات ، ومات حرب بن أمية بن عبد شمس بالشأم بعد الفجار بأشهر .

حلف الفضول

حضر رسول الله حلف الفضول وقد جاوز العشرين (وقال) بعد مابعثه الله حضرت فى دار عبدالله بن جدعان حلفاً مايسرنى به حمر النعم ولو دعيت اليه لأجبت . وكان سبب حلف الفضول أن قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحمية والمنعة فتحالف المطيبون وهم بنو عبد مناف وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر على أن لا يسلموا الكعبة ما أقام حراء وثبير وما بل بحر صوفة . وصنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه .

(وقيل) إن الطيب : كان لأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب وهى توأم عبد الله أبي رسول الله . وتحالفت اللعقة وهم بنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدى . على أن يمنع بعضهم بعضاً ويعقل بعضهم عن بعض . وذبحوا بقرة فغمسوا أيديهم فى دمها . فكانت قريش تظلم فى الحرم الغريب ومن لا عشيرة له حتى أتى رجل من بنى أسد بن خزيمة بتجارة فاشتراها رجل من بنى سهم فاخذها السهمى وأبى أن يعطيه الثمن فكلم قريشاً واستجار بها وسألها إعانته على أخذ حقه فلم يأخذ له أحد بحقه فصعد الأسدى أبا قبيس فنادى بأعلى صوته :

يا أهل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نـاء الأهل والنفر
إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوبي لابس الغدر

وقد قيل لم يكن رجل من بني أسد ولكنه قيس بن شيبة السلمي باع متاعاً من أبي خلف الجمحي وذهب بحقه فقال هذا الشعر . وقيل بل قال :

يال قصي كيف هـذا في الحرم وحرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني من ظلم

فتذممت قريش فقاموا فتحالفوا أن لا يظلم غريب ولا غيره ولأن يؤخذ المظلوم من الظالم . واجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التميمي وكانت الأحلاف هاشم وأسد وزهرة وتيم والحارث بن فهر . فقالت قريش هـذا فضول من الحلف فسمي حلف الفضول .

(وقال بعضهم) حضره ثلاثة نفر يقال لهم الفضل بن قضاعة والفضل ابن حشاعة . والفضل بن بضاعة . فسمي بهذا حلف الفضول .

(وقد قيل) ان هؤلاء النفر حضروا حلفاً لجرهم فسمي حلف الفضول بهم وشبه الحلف في تلك السنة .

بنيان الكعبة

ووضع رسول الله الحجر في موضعه حين اختصمت قريش وهو ابن خمس وعشرين وذلك ان قريشاً هدمت الكعبة بسبب سيل أصابهم فهدمها .

(وقيل) بل كانت امرأة من قريش تجمر الكعبة فطارت شرارة فأحرقت باب الكعبة . وكان طولها تسعة أذرع فنقضوها . وكان أول من ضرب فيها بمعول الوليد بن المغيرة المخزومي وحفروا حتى انتهوا الى قواعد ابراهيم فقلعوا منها حجراً فوثب الحجر ورجع مكانه فامسكوا .

(ويقال) ان الذى بدر الحجر من يده أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وخرج عليهم ثعبان فحال بينهم وبين البناء فاجتمعوا فقال ماذا ترون ؟ فقال أبو طالب : ان هذا لا يصلح ان ينفق فيه الا من طيب المكاسب فلا تدخلوا فيه مالا من ظلم ولا عدوان فاحضروا مالم يشكوا فيه من طيب أموالهم ورفعوا أيديهم الى السماء فجاء طائر فاختطف الثعبان حتى ذهب فوضعوا أزرهم يعملون عراة الا رسول الله فانه أبى أن ينزع ثوبه فسمع صائحا يصيح لا تنزع ثوبك . ونقلت الحجارة التى بنى بها البيت من جبل يقال له (السيادة) من أعلا الوادى وصيروها ثمانى عشرة ذراعا وكانت كل قبيلة تلى طائفة منها فكانت بنو عبد مناف تلى الربع وسائر ولد قصى بن كلاب . وبنو تيم الربع ومخزوم الربع . وبنو سهم وجمح وعدى وعامر بن فهر الربع . فلما أرادوا أن يضعوا الحجر اختصموا فيه وقالت كل قبيلة نحن نتولى وضعه فاقبل رسول الله وكانت قريش تسميه (الأمين) فلما رأوه مقبلا قالوا قد رضينا بحكم محمد بن عبد الله ، فبسط رسول الله رداءه ووضع الحجر فى وسطه وقال : ليحمل كل قبيلة بجانب من جوانب الرداء ثم ارفعوا جميعاً ففعلوا ذلك فحمل عتبة بن ربيعة أحد جوانب الرداء وأبو زمعة بن الأسود وابو حذيفة بن المغيرة وقيس ابن عدى السهمى ، وقيل العاص بن وائل ، فلما بلغ الموضع أخذه رسول الله ووضعه بموضعه الذى هو به وسقفوها ولم يكن لها قبل ذلك سقف .

تزويج خديجة بنت خويلد

وتزوج رسول الله خديجة بنت خويلد وله خمس وعشرون سنة .

(وقيل) تزوجها وله ثلاثون سنة . وولدت له قبل أن يبعث (القاسم ورقية . وزينب . وأم كلثوم) وبعد ما بعث عبد الله وهو الطيب . والطاهر لأنه ولد فى الإسلام . وفاطمة .

(وروى بعضهم) عن عمار بن ياسر انه قال : أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد ، كنت صديقاً له فإنا نمشي يوماً بين الصفا والمروة اذ بخديجة بنت خويلد واختها هالة فلما رأت رسول الله جاءتني هالة اختها فقالت يا عمار ما لصاحبك حاجة في خديجة قلت والله ما ادري فرجعت فذكرت ذلك له فقال ارجع فواضعها وعدها يوماً نأتيها فيه ففعلت ، فلما كان ذلك اليوم أرسلت الى عمرو بن أسد وسقته ذلك اليوم ودهنت لحيته بدهن اصفر وطرحت عليه حبراً ثم جاء رسول الله في نفر من اعمامه ، تقدمهم أبو طالب فخطب أبو طالب فقال : (الحمد لله الذي جعلنا من زرع ابراهيم وذرية اسماعيل . وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به .

ثم إن ابن أخي محمد بن عبدالله لا يوازن برجل من قريش إلا رجح ، ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه ، وإن كان في المال قل فان المال رزق حائل وظل زائل وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة ، وصداق ما سألتموه عاجله من مالي ، وله والله خطب عظيم ، ونبأ شايع فتزوجها وانصرف ، فلما أصبح عمها عمرو بن أسد أنكر ما رأى ، فقيل له هذا ختنك محمد بن عبدالله بن عبد المطلب أهدى لك هذا وقال متى زوجته ؟ قيل له بالأمس ، قال : ما فعلت ، قيل له بلى نشهد أنك قد فعلت . فلما رأى عمرو رسول الله قال اشهدوا أني إن لم أكن زوجته بالأمس فقد زوجته اليوم وأنه ما كان مما يقول الناس إنها استأجرته بشيء ولا كان أجيراً لأحد قط .

(وروى) محمد بن اسحاق أن خويلد بن أسد بن عبد العزى زوج خديجة ابنته من رسول الله بعد الفجار بخمس سنين (وروى بعضهم) أنه قتل في الفجار أومات عام الفجار .

المبعث

وبُعث رسول الله لما استكمل أربعين سنة ، فكان مبعثه فى شهر ربيع الأول (وقيل) فى رمضان ، ومن شهور العجم فى شباط ، وكانت سنته التى بعث فيها سنة قران فى الدلو (قال ما شاء الله الحاسب) كان طالع السنة التى بعث فيها رسول الله - وهو القران الثالث من قران مولده - السنبلة أربع درجات ، والقمر فى الميزان سبع عشرة درجة ، والمريخ من الطالع فى السنبلة ثلاث عشرة درجة راجعاً والمشترى فى الخامس فى الجدى إحدى وعشرين درجة ، وزحل فى الدلو فى السادس فى تسع درجات حد الزهرة فى الحوت ، والشمس فى الثامن فى الحمل دقيقة ، وعطارد فى الحمل أربع عشرة درجة ، وحد مدخل السنة منذ أول يوم دخلت فيه الشمس .

(وقال الخوارزمى) كانت الشمس يومئذ فى الدلو أربعاً وعشرين درجة وخمس عشرة دقيقة ، والقمر فى السرطان سبع عشرة درجة ، وزحل فى الدلو تسع عشرة درجة والمشترى (. . . . . .) اثنتى عشرة درجة ، والمريخ فى الحوت خمس عشرة درجة وثلاثين دقيقة . والزهرة فى الحمل إحدى عشرة درجة ، وعطارد فى الدلو ثلاثاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة .

وكان جبريل يظهر له فيكلمه وربما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل فيذعر من ذلك رسول الله (ص) ثم قال له إن ربك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان ، فكان أول أمره ، فكان رسول الله (ص) يأتى خديجة ابنة خويلد ويقول لها ما سمع وتكلم به فتقول له استر يا ابن عم فوالله انى لأرجو أن يصنع الله بك خيراً ، وأتاه جبريل ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين .

(وقال بعضهم) يوم الخميس . (وقال) من رواه عن جعفر بن محمد (ع) يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ولذلك جعله عيداً للمسلمين ؛ وعلى جبريل جبة سندس ؛ وأخرج له درنوكا من درانيك الجنة فاجلسه عليه وأعلمه أنه رسول الله، وبلغه عن الله وعلمه : (إقرأ باسم ربك الذى خلق) وأتاه من غدو وهو متدثر فقال (يا أيها المدثر قم فأنذر) وقال رسول الله « ص » أول مانهانى عنه جبريل بعد عبادة الأصنام ملاحاة الرجال .

(وروى بعضهم) أن إسرافيل وكل به ثلاث سنين ، وأن جبريل وكل به عشرين سنة .

(وقال آخرون) ما زال جبريل موكلا به ، وقد كان ورقة بن نوفل قال لخديجة بنت خويلد اسأليه من هذا الذى يأتيه فان كان ميكائيل فقد أتاه بالخفض والدعة واللين ، وان كان جبريل فقد أتاه بالقتل والسبى ، فسألته فقال جبريل فضربت خديجة جبهتها .

وكان أول ما افترض عليه من الصلاة الظهر أتاه جبريل فأراه الوضوء فتوضأ رسول الله (ص) كما توضأ جبريل ثم صلى ليريه كيف يصلى فصلى رسول الله ﷺ .

(وروى بعضهم) أن الظهر ـ الصلاة الوسطى ـ أول صلاة صلاها رسول الله وكان يوم جمعة ، ثم أتى خديجة ابنة خويلد فأخبرها فتوضأت وصلت ، ثم رآه على بن أبى طالب ففعل كما رآه يفعل ، ولما بعث رميت الشياطين بشهب من السماء ومنعت من أن تسترق السمع ، فقال ابليس ما هذا إلا لأمر قد حدث ونبى قد بعث ، وأصبحت الأصنام فى جميع الدنيا منكسة ، وخمدت النيران التى كانت تعبد .

وكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد من النساء ، وعلى بن أبى طالب من الرجال ثم زيد بن حارثة ، ثم أبو ذر (وقيل) أبو بكر قبل أبى ذر، ثم عمرو

ابن عبسة السلمى ، ثم خالد بن سعيد بن العاص ، ثم سعد بن أبي وقاص ، ثم عتبة ابن غزوان ، ثم خباب بن الأرث ، ثم مصعب بن عمير .

(وروى) عن عمرو بن عبسة السلمى قال : أتيت رسول الله أول مابعث وبلغنى أمره فقلت صف لى أمرك ؟ فوصف لى أمره وما بعثه الله به . فقلت هل يتبعك على هذا أحد ؟ قال نعم امرأة وصبى وعبد ، يريد خديجة بنت خويلد وعلى بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة .

وأقام رسول الله بمكة ثلاث سنين يكتم أمره وهو يدعو إلى توحيد الله عز وجل وعبادته والإقرار بنبوته . فكان اذا مر بملأ من قريش قالوا ان فتى ابن عبد المطلب ليكلم من السماء ، حتى عاب عليهم آلهتهم وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كفاراً ، ثم أمره الله عز وجل أن يصدع بما أرسله فاظهر أمره وقام بالأبطح فقال انى رسول الله أدعوكم الى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا ترزق ولا تحيى ولا تميت ، فاستهزأت منه قريش وآذته وقالوا لابى طالب : ان بن أخيك قد عاب آلهتنا وسفه أحلامنا وضلل أسلافنا فليمسك عن ذلك وليحكم فى أموالنا بما يشاء ، فقال : ان الله لم يبعثنى لجمع الدنيا والرغبة فيها وانما بعثنى لابلغ عنه وأدل عليه ، وآذوه أشد الايذاء فكان المؤذون له جماعة منهم ابو لهب والحكم بن ابى العاص وعقبة بن أبى معيط وعدى بن حمراء الثقفى وعمرو بن الطلاطلة الخزاعى . وكان ابو لهب أشد أذى له .

(وروى بعضهم) أن رسول الله قام بسوق عكاظ عليه جبة حمراء فقال يا أيها الناس قولوا (لا إله الا الله تفلحوا وتنجحوا) واذا رجل يتبعه عليه غديرتان كأن وجهه الذهب وهو يقول : ياأيها الناس ان هذا ابن أخى وهو كذاب فاحذروه ، فقلت من هذا ؟ فقيل لى هذا محمد بن عبدالله ، وهذا أبو لهب بن عبد المطلب عمه ، وكان المستهزئون به العاص بن وائل السهمى والحارث بن قيس بن عدى السهمى

والأسود بن المطلب بن أسد والوليد بن المغيرة المخزومي والأسود بن عبد يغوث الزهري . وكانوا يوكاون به صبيانهم وعبيدهم فيلقونه بما لا يحب حتى أنهم نحروا جزوراً بالحزورة ورسول الله قائماً يصلي فامروا غلاماً لهم فحمل السلا والفرث حتى وضعه بين كتفيه وهو ساجد فانصرف فأتى أبا طالب فقال كيف موضعي فيكم قال ما ذاك يا بن أخي فاخبره ما صنع به ، قال فأقبل أبو طالب مشتملا على السيف يتبعه غلام له فاخترط سيفه وقال والله لا تكلم رجل منكم إلا ضربته ثم أمر غلامه فأمر ذلك السلا والفرث على وجوههم واحداً واحداً ثم قالوا حسبك هذا فينا يا بن اخينا ، واجتمعت قريش الى أبي طالب فقالوا ندعوك الى نصفة هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أحسن قريش وجها وأكملهم هيئة فخذه وصيره ابنك وصير الينا محمداً نقتله ، فقال ما أنصفتموني أدفع اليكم ابني تقتلونه وتدفعون الى ابنكم أغذوه ؛ وقال ابو طالب في ذلك :

عجبت لحلم يا ابن شيبة عارف	واحلام اقوام لديك سخاف
يقولون شايع من أراد محمداً	بسوء وقم في امره بخلاف
أضاميم اما حاسد ذو خيانة	واما قريب منه غير مصاف
ولا يركبن الدهر منك ظلامة	وانت امرؤ من خير عبدمناف
وان له قربى اليكم وسيلة	وليس بذي حلف ولا بمضاف
ولكنه من هاشم في صميمها	الى ابحر فوق البحور طواف
فان غضبت فيه قريش فقل لها	بني عمنا ما قومكم بضعاف
فما قومكم بالقوم يخشون ظلمهم	وما نحن فيما ساءكم بخلاف

وقال أيضاً :

وينهض قوم نحوكم غير عزل	ببيض حديث عهدها بالصياقل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للأرامل

الإسراء

وأسرى به واتاه جبريل بالبراق وهو أصغر من البغل وا كبر من الحمار مضطرب الأذنين ، خطوه مدبصره ، له جناحان يحفزانه من خلفه ، عليه سرج ياقوت ، فمضى به الى بيت المقدس فصلى به ، ثم عرج به الى السماء فكان بينه وبين ربه كقاب قوسين أو أدنى ، ثم هبط به فنزل فى بيت أم هانى بنت أبى طالب فقص عليها القصة فقالت له بأبى أنت وأمى لا تذكر هذا لقريش فيكذبوك .

وفى الليلة التى أسرى به افتقده أبو طالب فخاف أن تكون قريش قد اغتالته أو قتلته . فجمع سبعين رجلا من بنى عبد المطلب معهم الشفار وأمرهم أن يجلس كل رجل منهم الى جانب رجل من قريش وقال لهم إن رأيتمونى ومحمداً معى فامسكوا حتى آتيكم وإلا فليقتل كل رجل منكم جليسه ولا تنظرونى فوجدوه على باب أم هانى فاتى به بين يديه حتى وقف على ريش فعرفهم ما كان منه فاعظموا ذلك وجل فى صدورهم وعاهدوه وعاقدوه أنهم لا يؤذون رسول الله ولا يكون منهم اليه شىء يكرهه أبداً .

النذارة

وأمره الله عز وجل أن ينذر عشيرته الأقربين ، فوقف على المروة ثم نادى بأعلا صوته : يا آل فهر ، فاجتمعت اليه بطون قريش حتى لم يبق أحد منهم ، فقال له أبو لهب هذه فهر ، ثم نادى : يا آل غالب فانصرفت بنو محارب وبنو الحارث بن فهر ، ثم نادى : يا آل لوى فانصرفت بنو تيم الأدرم بن غالب ثم نادى: يا آل كعب فانصرفت بنو عامر وبنو عوف بن لؤى ، ثم نادى : يا آل مرة فانصرفت بنو عدى بن كعب وبنو سهم وجمح ابنى هصيص بن كعب ؛ ثم نادى : يا آل كلاب فانصرفت بنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة

ثم نادى : يا آل قصى فانصرفت بنو زهرة ، ثم نادى : يا آل عبد مناف فانصرفت بنو عبد الدار و بنو عبد العزى ابنى قصى ، ثم نادى : يا آل هاشم فانصرفت بنو عبد شمس و بنو نوفل . وأقام بنو عبد المطلب ؛ فقال أبو لهب هذه هاشم قد اجتمعت لجمعهم فى بعض دورهم .

(وحدثنى) أبو عبد الله الفضل بن عبد الرحمن الهاشمى من ولد ربيعة بن الحارث أنهم كانوا فى دار الحارث بن عبد المطلب وكانوا أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فصنع لهم طعاماً فأ كلوا عشرة عشرة حتى شبعوا ، وكان جميع طعامهم رجل شاة وشرابهم عس من لبن ، وإن منهم من يأ كل الجذعة ويشرب الفرق ، ثم أنذرهم كما أمره الله تعالى وأعلمهم تفضيل الله إياهم واختصاصه لهم إذ بعثه بينهم ؛ وأمره أن ينذرهم ؛ فقال أبو لهب خذوا على يدى صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم فان منعتموه قتلتم وان تركتموه ذللتم فقال أبو طالب : ياعورة ، والله لننصرنه ثم لنعيننه ، يا ابن أخى اذا أردت أن تدعو الى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح ، وأسلم يومئذ جعفر بن أبى طالب وعبيدة بن الحارث وأسلم خلق عظيم وظهر أمرهم وكثرت عدتهم وعاندوا ذوى أرحامهم من المشركين ؛ فأخذت قريش من استضعفت منهم الى الرجوع عن الاسلام والشتم لرسول الله ؛ فكان ممن يعذب فى الله عمار بن ياسر وياسر أبوه وسمية أمه حتى قتل أبو جهل سمية طعنها فى قبلها فماتت فكانت أول شهيدة فى الاسلام ، وخباب بن الأرت ، وصهيب بن سنان ، وأبو فكيهة الأزدى، وعامر بن فهيرة ، وبلال بن رباح ، وقال خباب بن الأرت : يارسول الله ادع لنا ؟ قال انكم لتعجلون ، لقد كان الرجل ممن كان قبلكم يمشط با مشاط الحديد ويشق بالمنشار فلا يرده ذلك عن دينه ، والله ليتممن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على عنزه واشتد على القوم العذاب ونالهم منه أمر عظيم فرجع عن الاسلام خمسة نفر

منهم : أبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة .

(فروى) أن فيهم نزلت هذه الآية (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) الى آخر الآية .

مهاجرة الحبشة

ولما رأى رسول الله ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب وما هو فيه من الأمن بمنع أبى طالب عمه اياه قال لهم : ارحلوا مهاجرين الى أرض الحبشة الى النجاشى فانه يحسن الجوار ، فخرج فى المرة الأولى اثنا عشر رجلا وفى المرة الثانية سبعون رجلا سوى أبنائهم ونسائهم وهم المهاجرون الأولون فكان لهم عند النجاشى منزلة ، وكان يرسل الى جعفر ويسأله عما يريد فلما بلغ قريشاً ذلك وجهت بعمرو بن العاص وعمارة بن الوليد المخزومى الى النجاشى بهدايا وسألوه أن يبعث اليهم بمن صار اليه من أصحاب رسول الله وقالوا سفهاء من قومنا خرجوا عن ديننا وضللوا أمواتنا وعابوا آلهتنا وإن تركناهم ورأيهم لم نأمن أن يفسدوا دينك . فلما قال عمرو وعمارة للنجاشى هذا ، أرسل الى جعفر فسأله فقال إن هؤلاء على شر دين يعبدون الحجارة ويصلون للأصنام ويقطعون الارحام ويستعملون الظلم ويستحلون المحارم وإن الله بعث فينا نبياً من أعظمنا قدراً وأشرفنا سرراً وأصدقنا لهجةً وأعزنا بيتاً فامر عن الله بترك عبادة الأوثان واجتناب المظالم والمحارم والعمل بالحق والعبادة له وحده فردّ على عمرو وعمارة الهدايا وقال أدفع اليكم قوماً فى جوارى على دين الحق وانتم على دين الباطل وقال لجعفر إقرأ علىّ شيئاً مما أنزل على نبيكم ؟ فقرأ عليه : (كٓهيعٓصٓ) فبكى وبكى من بحضرته من الأساقفة ، فقال له عمرو وعمارة إنهم يزعمون أن المسيح عبد مملوك فاوحشه ذلك وأرسل الى جعفر وقال له ما تقول وما يقول صاحبكم فى المسيح قال إنه يقول إنه روح الله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول

فاخذ عوداً بين اصبعيه ثم قال ما يزيد المسيح على ما قلت ولامقدار هذا ، وكان عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد تلاحيا فى طريقهما وكان عمارة رجلا مغرماً بالنساء وكان معه امرأته رابطة بنت منبه بن الحجاج السهمى فقال عمارة قل لها فلتقبلنى ، فقال سبحان الله أتقول هـــذا لابنة عمك ، قال والله لتفعلن او لأضربنك بهذا السيف فقال لها قبليه . ثم إن عمارة اعتقل عمرواً فالقاه فى البحر فعام عمرو وأوهمه أنه فعل هذا مزاحاً فقال ألق الى ابن عمك الحبل سبحان الله أهكذا يكون المزاح فالقى اليه الحبل فخرج ، فلما أراد عمرو وعمارة الإنصراف وأيسا من عند النجاشى . قال عمرو لعمارة لو أرسلت الى امرأة الملك النجاشى فلعلنا ننال منها حاجتنا عنده ففعل ذلك ولاطفها حتى أرسلت اليه بطيب من طيب الملك فكاد عمرو وعمارة وقال للنجاشى إن صاحبى هذا أرسل إلى امرأة الملك حتى اطمعته فى نفسها وبعثت اليه بطيب من طيب الملك فاخذه النجاشى فنفخ فى انثييه السم ، وقيل الزئبق فهام مع الوحوش على وجهه فلم يزل هائماً حتى قدم قوم من بنى مخزوم فسألوه ان يأذن لهم فى اخذه فنصبوا له فأخذوه فلم يزل يضطرب فى أيديهم حتى مات ؛ وانصرف عمرو الى المشركين خائباً وأقام المسلمون بارض الحبشة حتى ولد لهم الأولاد ، وجميع أولاد جعفر ولدوا بأرض الحبشة ، ولم يزالوا بها فى امن وسلامة . واسم النجاشى : اصحمة .

حصار قريش لرسول الله وخبر الصحيفة

وهمت قريش بقتل رسول الله واجمع ملأها على ذلك وبلغ أبا طالب فقال :

والله ان يصلوا اليك بجمعهم   حتى اوسد فى التراب دفينا
ودعوتنى وزعمت انك ناصح   ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت ديناً قد علمت بانه   من خير أديان البرية دينا

فلما علمت قريش انهم لا يقدرون على قتل رسول الله ﷺ وان أباطالب

لا يسلمه وسمعت بهذا من قول أبي طالب . كتبت الصحيفة القاطعة الظالمة أن لا يبايعوا أحداً من بنى هاشم ولا يناكحوهم ولا يعاملوهم حتى يدفعوا اليهم محمداً فيقتلوه . وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً وكان الذى كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار فشلت يده ثم حصرت قريش رسول الله وأهل بيته من بنى هاشم وبنى المطلب ابن عبد مناف فى الشعب الذى يقال له شعب بنى هاشم بعد ست سنين من مبعثه . فأقام ومعه جميع بنى هاشم وبنى المطلب فى الشعب ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله ﷺ ماله وأنفق أبو طالب ماله وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها وصاروا الى حد الضر والفاقة .

ثم نزل جبريل على رسول الله ﷺ فقال إن الله بعث الأرضة على صحيفة قريش فأكلت كل ما فيها من قطيعة وظلم إلا المواضع التى ذكر الله فخبر رسول الله (ص) أبا طالب بذلك ، ثم خرج أبو طالب ومعه رسول الله وأهل بيته حتى صار الى الكعبة فجلس بفنائها وأقبلت قريش من كل أوب فقالوا قد آن لك يا أبا طالب أن تذكر العهد وأن تشتاق الى قومك وتدع اللجاج فى ابن أخيك فقال لهم ياقوم احضروا صحيفتكم فلعلنا أن نجد فرجا وسبباً لصلة الأرحام وترك القطيعة وأحضروها وهى بخواتيمهم فقال هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها ؟ قالوا : نعم ، قال فهل أحدثتم فيها حدثاً ؟ قالوا . اللهم لا ، قال فان محمداً أعلمنى عن ربه أنه بعث الأرضة فأكلت كلما فيها إلا ذكر الله أفرأيتم إن كان صدقاً ماذا تصنعون ؟ قالوا : نكف ونمسك ، قال فان كان كاذباً دفعته اليكم تقتلونه ، قالوا قد أنصفت وأجملت . وفضت الصحيفة فاذا الأرضة قد اكلت كل ما فيها إلا مواضع بسم الله عز وجل . فقالوا : ما هذا إلا سحر وما كنا قط أجد فى تكذيبه منا ساعتنا هذه ، واسلم يومئذ خلق من الناس عظيم ، وخرج بنو هاشم من الشعب وبنو المطلب فلم يرجعوا اليه .

وفاة القاسم بن رسول الله

وتوفى القاسم ابن رسول الله فقال وهو فى جنازته ونظر الى جبل من جبال مكة يا جبل لو أن مابى بك لهدك ، وكان القاسم يوم توفى اربع سنين ، ثم توفى عبدالله ابن رسول الله بعده بشهر ولم يفطم ، فقالت خديجة يا رسول الله لو بقى حتى افطمه ، قال فان فطامه فى الجنة ، وسألت خديجة رسول الله فقالت فاين أولادى منك ؟ قال فى الجنة ، قالت بغير عمل ؟ قال الله اعلم بما كانوا عاملين ، قالت فأين اولادى من غيرك ؟ قال فى النار . قالت بغير عمل ؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين .

ما نزل من القرآن بمكة

ونزل من القرآن بمكة اثنتان وثمانون سورة على ما رواه محمد بن حفص ابن أسد الكوفى عن محمد بن كثير ، ومحمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس وكان اول مانزل على رسول الله ﷺ : (إقرأ باسم ربك الذى خلق) ثم نون والقلم وما يسطرون ، ثم والضحى ، ثم يا أيها المزمل ، ثم يا أيها المدثر . ثم فاتحة الكتاب ، ثم تبت ، ثم اذا الشمس كورت ثم سبح أسم ربك الاعلى ؛ ثم والليل اذا يغشى ؛ ثم والفجر ؛ ثم ألم نشرح لك صدرك ؛ ثم الرحمن ؛ ثم والعصر ثم انا أعطيناك الكوثر ؛ ثم ألهاكم التكاثر ؛ ثم أرأيت الذى يكذب بالدين . ثم ألم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل . ثم والنجم اذا هوى ثم عبس وتولى . ثم إنا أنزلناه فى ليلة القدر . ثم والشمس وضحاها . ثم والسماء ذات البروج . ثم والتين والزيتون . ثم لإيلاف قريش ثم القارعة . ثم لا أقسم بيوم القيامة . ثم ويل لكل همزة . ثم والمرسلات عرفا . ثم ق والقرآن المجيد . ثم لا أقسم بهذا البلد . ثم والسماء والطارق . ثم اقتربت الساعة . ثم ص والقرآن ذى الذكر .

ثم الأعراف . ثم سورة الجن . ثم سورة يس . ثم تبارك الذى نزل الفرقان . ثم حمد الملائكة . ثم سورة مريم . ثم سورة طه . ثم طسم الشعراء . ثم طس النمل . ثم طس القصص . ثم سورة بنى اسرائيل . ثم سورة يونس . ثم سورة هود . ثم سورة يوسف . ثم الحجر . ثم الأنعام . ثم الصافات . ثم لقمان . ثم حم المؤمن ثم حم السجدة ثم حم عسق . ثم الزخرف . ثم حمد سباء . ثم تنزيل الزمر ثم حم . الدخان . ثم حم الجاثيه . ثم الأحقاف . ثم والذاريات . ثم هل أتاك حديث الغاشيه . ثم سورة الكهف . ثم سورة النحل . ثم انا أرسلنا نوحاً . ثم سورة ابراهيم . ثم اقترب للناس حسابهم . ثم قد أفلح المؤمنون . ثم الرعد ثم والطور . ثم تبارك الذى بيده الملك . ثم الحاقة . ثم سأل سائل . ثم عم يتساءلون ثم والنازعات غرقاً . ثم اذا السماء انفطرت . ثم سورة الروم . ثم العنكبوت .

وقد اختلف الناس فى هذا التأليف (فى غير رواية ابن عباس) وكان الاختلاف ايضاً يسيراً .

(وروى) محمد بن كثير ومحمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس انه قال : كان القرآن ينزل مفرقاً لا ينزل سورة سورة فما نزل أولها بمكة أثبتناها بمكة وان كان تمامها بالمدينه وكذلك ما نزل بالمدينه وأنه كان يعرف فصل ما بين السورة والسورة اذا نزل بسم الله الرحمن الرحيم فيعلمون أن الأولى قد انقضت وابتديء بسورة أخرى .

(وروى بعضهم) أن التوراة أنزلت لست خلون من شهر رمضان . والزبور لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد التوراة بالف وخمسمائة عام . والانجيل لثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بثمانمائه . وقيل ستمائة .

(وروى آخرون) أن القرآن نزل لعشرين ليلة خلت من شهر رمضان .

(وروى) جعفر بن محمد ع ، أنه قال ان الله لم يبعث قط نبياً إلا بما هو أغلب على أهل زمانه فبعث موسى الى قوم كان الأغلب عليهم السحر فاتاهم بما ضل معه

سحرهم من العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفلاق البحر وانفجار الحجر حتى خرج منه الماء والطمس على وجوههم فهذه آياته . وبعث داود فى زمن أغلب الأمور على أهله الصنعة والملاهى فألان له الحديد وأعطاه حسن الصوت فكانت الوحوش تجتمع لحسن صوته . وبعث سليمان فى زمان قد غلب على الناس فيه حب البناء واتخاذ الطلسمات والعجائب فسخر له الريح والجن . وبعث عيسى فى زمان أغلب الأمور على أهله الطب فبعثه باحياء الموتى وابراء الاكمه والأبرص . وبعث محمداً ﷺ فى زمان أغلب الأمور على أهله الكلام والكهانة والسجع والخطب فبعثه بالقرآن المبين والمحاورة .

وفاة خديجة وأبى طالب

وتوفيت خديجة بنت خويلد فى شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين ولها خمس وستون سنة . ودخل عليها رسول الله ﷺ وهى تجود بنفسها فقال بالكره منى ما أرى ولعل الله أن يجعل فى الكره خيراً كثيراً ، اذا لقيت ضراتك فى الجنة يا خديجة فاقرئيهن السلام ، قالت ومن هن يا رسول الله ؟ قال إن الله زوجنيك فى الجنة وزوجنى مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم وكلثوم اخت موسى . فقالت بالرفاء والبنين . ولما توفيت خديجة جعلت فاطمة تتعلق برسول الله ﷺ وهى تبكى وتقول : أين أمى أين أمى . فنزل عليه جبريل فقال قل لفاطمة إن الله تعالى بنى لامك بيتاً فى الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب .

وتوفى أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام وله ست وثمانون سنة .

(وقيل) تسعون سنة . ولما قيل لرسول الله إن أبا طالب قد مات عظم ذلك فى قلبه واشتد له جزعه . ثم دخل فمسح جبينه الايمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات . ثم قال يا عم ربيت صغيراً وكفلت يتيماً ونصرت كبيراً

فجزاك الله عنى خيراً . ومشى بين يدى سريره وجعل يعرضه ويقول وصلتك رحم وجزيت خيراً .

(وقال) : اجتمعت على هذه الأمة فى هذه الأيام مصيبتان لا أدرى بأيهما أنا أشد جزعاً - يعنى مصيبة خديجة وأبى طالب - .

(وروى) عنه أنه قال : ان الله عز وجل وعدنى فى أربعة فى أبى وأمى وعمى وأخ كان لى فى الجاهلية .

عرض رسول الله نفسه على القبائل

وخروجه الى الطائف

واجترأت قريش على رسول الله ﷺ بعد موت أبى طالب وطمعت فيه وهموا به مرة بعد أخرى . وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ويكلم شريف كل قوم ، لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول لا اكره أحداً منكم إنما أريد أن تمنعونى مما يراد بى من القتل حتى ابلغ رسالات ربى . فلم يقبله أحد . وكانوا يقولون قوم الرجل أعلم به . فعمد لثقيف بالطائف فوجد ثلاثة نفر اخوة هم يومئذ سادة ثقيف وهم عبد ياليل بن عمرو وحبيب بن عمرو . ومسعود بن عمرو . فعرض عليهم نفسه وشكا اليهم الملأ فقال أحدهم انه يسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك . وقال الآخر أعجز على الله أن يرسل غيرك . وقال الآخر والله لا اكلمك ابداً لئن كنت رسولا كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن اكلمك وتهزأوا به وأفشوا فى قومهم ماقالوه له وقعدوا له صفين ، فلما مر رسول الله ﷺ رجموه بالحجارة حتى أدموا رجله . فقال رسول الله ﷺ ما كنت أرفع قدماً ولا أضعها إلا على حجر . ووافاه بالطائف

عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومعهما غلام لهما نصرانى يقال له عداس فوجها به الى رسول الله ﷺ فلما سمع كلامه أسلم ورجع رسول الله الى مكة .

قدوم الأنصار مكة

وكانت الأوس والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة ، أهل عز ومنعة فى بلادهم حتى كانت بينهم الحروب التى أفنتهم فى أيام لهم مشهورة . منها : يوم الصفينة وهو أول يوم جرت الحرب فيه . ويوم السرارة . ويوم وفاق بنى خطمة . ويوم حاطب بن قيس . ويوم حضير الكتائب . ويوم أطم بنى سالم . ويوم ابتروه (١) ويوم البقيع . ويوم بعاث ويوم مضرس ومعبس . ويوم الدار ويوم بعاث الآخر . ويوم فجار الانصار . وكانوا ينتقلون فى هذه المواضع التى تعرف أيامهم بها ويقتتلون قتالا شديدا . فلما ضرستهم الحرب والقت بركها عليهم وظنوا أنها الفناء ، واجترأت عليهم بنو النضير وقريظة وغيرهم من اليهود . خرج قوم منهم الى مكة يطلبون قريشا لتقويهم ويعزوا فاشترطوا عليهم شروطا لم يكن لهم فيها مقنع . وكان المشترط عليهم أبو جهل بن هشام المخزومى .

(وقد قيل) ان قريشا قد كانت اجابتهم حتى قدم أبو جهل من سفر له وكان غائباً فنقض الحلف واشترط عليهم شروطا لم يقنعوا بها ثم صاروا الى الطائف فسألوا ثقيفا فابطأوا عنهم فانصرفوا . وقدم رجل منهم بعد مبعث رسول الله ﷺ يقال له سويد بن الصامت من الأوس حاجاً أو معتمراً فبلغه أمر رسول الله ﷺ فلقيه وكلمه فدعاه رسول الله ﷺ الى الله فقال له سويد ان معى مجلة لقمان قال فاعرضها علىّ فعرضها عليه فقال رسول الله ﷺ ان هذا الكلام لحسن والذى معى احسن منه كلام الله .

---

(١) ـ كذا فى الأصل ، ولعله يوم البزوة . وبزوة : موضع قريب من المدينة ذكره ياقوت فى معجم البلدان فليراجع . (م . ص)

وقرأ عليه فقال يا محمد ان هذا الكلام حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتلته الخزرج ثم قدم نفر منهم ايضاً الى مكة وهم بنو عفراء يتفاخرون مع اسعد بن زرارة فلقيهم رسول الله (ص) ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال رجل منهم يقال له أياس بن معاذ يا قوم هذا والله النبي الذى كانت اليهود توعدكم به فلا يسبقنكم اليه أحد فاسلموا وأخذ عليهم رسول الله (ص) الإيمان بالله وبرسوله ثم انصرفوا فاخبروا قومهم الخبر . وقد كانوا سألوه ان يوجه معهم رجلا من قبله يدعو الناس بكتاب الله فبعث اليهم رسول الله (ص) مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ويعلمهم الاسلام وكان أول من قدم المدينة ثم خرج اثنا عشر رجلا منهم اليه فلقوه وهم أصحاب العقبة الاولى فآمنوا بالله وصدقوه وانصرفوا الى المدينة وكثر خبره وفشا الإسلام فيها فلما كان العام القابل خرج اليه جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج فوافى منهم سبعون رجلا وأمرأتان فأسلموا وصدقوه واخذ رسول الله (ص) عليهم بيعة النساء فسألوه ان يخرج معهم الى المدينة وقالوا انه لم يصبح قوم فى مثل ما نحن فيه من الشر ولعل الله ان يجمعنا بك ويجمع ذات بيننا فلا يكون أحد أعز منا فقال لهم رسول الله (ص) قولا جميلا ثم انصرفوا إلى قومهم فدعوهم الى الاسلام فكثر حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها ذكر حسن من ذكر رسول الله (ص) وسألوه الخروج معهم وعاهدوه ان ينصروه على القريب والبعيد والاسود والاحمر فقال له العباس بن عبد المطلب دعني - فداك أبي وأمي - آخذ العهد عليهم فجعل ذلك اليه وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم وعلى ان يحاربوا معه الاسود والاحمر وان ينصروه على القريب والبعيد وشرط (ص) لهم الوفاء بذلك والجنة .

خروج رسول الله ﷺ من مكة

واجتمعت قريش على قتل رسول الله ﷺ وقالوا : ليس له اليوم أحد ينصره وقد مات أبو طالب ، فأجمعوا جميعاً على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد فيجتمعوا عليه فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فلا يكون لبنى هاشم قوة بمعاداة جميع قريش . فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك وأنهم أجمعوا على أن يأتوه فى الليلة التى اتعدوا فيها ، خرج رسول الله (ص) لما اختلط الظلام ومعه ابو بكر، وإن الله عزوجل أوحى فى تلك الليلة الى جبريل وميكائيل (انى قضيت على احد كما بالموت فايكما يواسى صاحبه فاختار الحياة كلاهما ،فأوحى الله اليهما هلا كنتما كعلى بن أبى طالب آخيت بينه و بين محمد وجعلت عمر أحدهما أكثر من الآخر فاختار على الموت وآثر محمداً بالبقاء ونام فى مضجعه ، اهبطا فاحفظاه من عدوه) فهبط جبريل وميكائيل فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه يحرسانه من عدوه ويصرفان عنه الحجارة وجبريل يقول : بخ بخ لك يا ابن أبى طالب ؟ من مثلك يباهى الله بك ملائكة سبع سموات ،وخلف علياً (ع) على فراشه ولرد الودائع التى كانت عنده .

وصار إلى الغار فكمن فيه ، وأتت قريش فراشه فوجدوا علياً «ع» فقالوا : أين ابن عمك ؟ قال : قلتم له اخرج عنا فخرج عنكم ، فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه وأعمى الله عليهم المواضع فوقفوا على باب الغار وقد عششت عليه حمامة ، فقالوا : ما فى هذه الغار أحد وانصرفوا ، وخرج رسول الله (ص) متوجها الى المدينة ، ومر بأم معبد الخزاعية فنزل عندها ثم نفذ لوجهه حتى قدم المدينة ، وكان جميع مقامه بمكة حتى خرج منها الى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه .

(وروى بعضهم) انه قال : ما علمت قريش أين توجه رسول الله(ص)

حتى سمعوا هاتفاً من بعض جبال مكة يقول :

فان يسلم السعدان يصبح محمد   بمكة لا يخشى خلاف المخالف

وقال أبو سفيان من السعود ؟ سعد هذيم ، وسعد تميم ، وسعد بكر فسمعوا فى الليلة المقبلة قائلا يقول :

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً   ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
أجيبا الى داعى الهدى وتمنيا   على الله فى الفردوس منية عارف

فعلمت قريش أنه قد مضى الى يثرب ، واتبعه سراقة بن جشعم المدلجى لما صار الى ماء بنى مدلج فلما لحقه قال رسول الله ﷺ : اللهم اكفنا سراقة فساخت قوائم فرسه ، فصاح يا ابن أبى قحافة : قل لصاحبك أن يدعو الله باطلاق فرسى فلعمرى لئن لم يصبه منى خير لا يصبه منى شر ، فلما رجع الى مكة خبرهم الخبر فكذبوه ، وكان أشدهم له تكذيباً أبو جهل فقال سراقة :

أبا حكم والله لو كنت شاهداً   لأمر جوادى حيث ساخت قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً   رسول وبرهان فمن ذا يكاتمه

قدوم رسول الله ﷺ المدينة

وقدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول (وقيل) يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت منه ، والشمس يومئذ فى السرطان ثلاثاً وعشرين درجة وست دقائق ، والقمر فى الأسد ست درجات وخمساً وثلاثين دقيقة ، وزحل فى الأسد درجتان ، والمشترى فى الحوت ست درجات راجعاً ، والزهرة فى الأسد ثلاث عشرة درجة ، وعطارد فى الأسد خمس عشرة درجة . فنزل على كلثوم بن الهدم فلم يلبث الا أياماً حتى مات كلثوم وانتقل فنزل على سعد بن خيثمة فى بنى عمرو بن عوف فمكث أياماً . ثم كان سفهاء بنى عمرو ومنافقوهم يرجمونه فى الليل ! فلما رأى ذلك قال ما هذا الجوار

فارتحل عنهم وركب راحلته وقال : خلوا زمامها فجعل لا يمر بحى من أحياء الانصار الا قالوا له يا رسول الله انزل بنا فانك تنزل فى العدة والكثرة ، فيقول خلوا زمام الراحلة فانها مأمورة حتى وقفت على باب أبى أيوب الانصارى فبركت فنخست بقضيب فلم تبرح فنزل بأبى أيوب فأقام عنده أياماً ثم انتقل الى حجراته .

(وقيل) ان ناقته بركت فى موضع المسجد فنزل فجاء أبو أيوب فأخذ رحله فمضى بها الى منزله وكلمته الانصار فى النزول بها فقال المرء مع رحله وقدم على بن أبى طالب عليه السلام بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قبل نكاحه اياها وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم فنزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم زوجها رسول الله من على عليه السلام بعد قدومه بشهرين ، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما زوجها علياً عليه السلام قالوا فى ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا زوجته ولكن الله زوجه ، وقدم العباس بن عبد المطلب بزينب بنت رسول الله وكانت بالطائف حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبى العاص بن بشر بن عبد دهمان الثقفى ثم رجع العباس الى مكة ، وقدم المهاجرون فنزلوا منازل الانصار فواسوهم بالديار والأموال .

افتراض الصوم والصلاة

وافترض الله عز وجل شهر رمضان . وصرفت القبلة نحو المسجد الحرام فى شعبان بعد مقدمه بالمدينة بسنة وخمسة أشهر .

(وقيل) بسنة ونصف . وأنزل الله عز وجل (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) وكان بين نزول افتراض شهر رمضان وبين توجه القبلة الى الكعبة ثلاثة عشر يوماً .

(وروى بعضهم) أن رسول الله (ص) كان يصلى الظهر فى مسجد بنى

سلمة فلما صلى ركعتين نزل عليه صرف القبلة الى الكعبة فاستدار حتى جعل وجهه الى الكعبة فسمى ذلك المسجد (مسجد القبلتين) . وبنى مسجداً باللبن وسقفه بالجريد ، وقيل له يا رسول الله لو وسعت المسجد فقد كثر المسلمون ؟ فقال لا عرش كعرش موسى ، وعمل غلام للعباس يقال له كلاب منارة ولم تكن للمسجد منارة على عهد رسول الله (ص) وكان بلال يؤذن ثم أذن معه ابن أم مكتوم . وكان أيهما سبق أذن فاذا كانت الصلاة أقام واحد .

(وروى الواقدى) أن بلال كان اذا أذن وقف على باب رسول الله ﷺ فقال : الصلاة يا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح .

ما نزل من القرآن بالمدينة

ونزل عليه من القرآن بالمدينة اثنتان وثلاثون سورة ، أول ما نزل :ويل للمطففين ، ثم سورة البقرة ، ثم سورة الأنفال ، ثم سورة آل عمران ، ثم الحشر، ثم سورة الأحزاب ، ثم سورة النور ، ثم الممتحنة ، ثم إذا فتحنا لك ثم سورة النساء ، ثم سورة الحج ، ثم سورة الحديد ، ثم سورة محمد ، ثم هل أتى على الانسان ، ثم سورة الطلاق ، ثم سورة لم يكن ، ثم سورة الجمعة ، ثم تنزيل السجدة ، ثم المؤمن ، ثم إذا جاءك المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم التحريم، ثم التغابن. ثم الصف . ثم المائدة . ثم براءة . ثم إذا جاء نصر الله والفتح ثم إذا وقعت الواقعة . ثم والعاديات . ثم المعوذتين جميعاً . وكان آخر ما نزل (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) الى آخر السورة .

(وقد قيل) إن آخر ما نزل عليه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وهى الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة . وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه بغدير خم

(وقيل) آخر ما نزل : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) .

(وقال ابن عباس) كان جبريل اذا نزل على النبي بالوحي يقول له ضع هذه الآية فى سورة كذا فى موضع كذا . فلما نزل عليه (اتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله) قال ضعها فى سورة البقرة .

(قال ابن مسعود) نزل القرآن بأمر ونهى وتحذير وتبشير .

(وقال جعفر بن محمد عليه السلام) نزل القرآن بحلال وحرام وفرائض وأحكام وقصص وأخبار وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وعبر وأمثال وظاهر وباطن وخاص وعام .

وأقام رسول الله (ص) يتلوم ويتهيأ للقتال حتى أنزل الله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) والآية التى بعدها وقال (فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) الى آخر الآية . فكان الرجل من المؤمنين يعد بعشرة من المشركين حتى أنزل الله عز وجل (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا الفين) وأنزل الله عليه سيفاً من السماء له غمد فقال له جبريل ربك يأمرك أن تقاتل بهذا السيف قومك حتى يقولوا : لا إله الا الله وأنك رسول الله فاذا فعلوا ذلك حرمت دماؤهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله . فكان أول سرية سارت ولواء عقد فى الإسلام لحمزة بن عبد المطلب . وقد ذكرنا هذا وغيره فى كتابنا هذا بعد انقضاء الغزوات التى غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وقعة بدر العظمى

وكانت وقعة (بدر) يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد مقدمه بثمانية عشر شهراً .

وكان سببها : أن أبا سفيان بن حرب قدم من الشام بعير لقريش تحمل تجارات وأموالا فخرج رسول الله (ص) يعارضه وجاء الصريخ الى قريش بمكة

يخبرهم الخبر وكان الرسول بذلك ضمضم بن عمرو الغفارى فخرجوا نافرين مستعدين وخالف أبو سفيان الطريق فنجا بالعير وأقبلت قريش مستعدة لقتال رسول الله « ص » وعددتهم الف رجل . « وقيل » تسعمائة وخمسون . وكانوا ينحرون كل يوم من الجزور عشراً أو تسعاً فنحر أبو جهل بن هشام عشراً . وأمية بن خلف الجمحى تسعاً ، وسهيل بن عمرو عشراً . وعتبة بن ربيعة عشراً وشيبة بن ربيعة تسعاً . ومنبه ونبيه إبنا الحجاج السهميان عشراً . وأبو البخترى العاص بن هشام الأسدى عشراً . والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف عشراً والعباس بن عبد المطلب عشرا . « وقيل » ان العباس نحر يوم الوقعة فأكفئت القدور وأنه خرج مستكرها كالأسير ، وقال عبدالله بن العباس : ان أبى أطعم اسيرا وما أطعم أسير قبله .

(وروى ابن اسحاق) أن حكيم بن حزام كان من المطعمين ، وكان أبو لهب عليلا فلم يمكنه الخروج فأعانهم باربعة آلاف درهم . (وقيل) بل كان أبو لهب قامر العاص بن هشام المخزومى فقمره نفسه فدفعه اليهم مكانه .

وخرج رسول الله (ص) فى ثلاث مائة . « وقيل » تسعين رجلا منهم من المهاجرين واحد وثمانون ، ومن الأنصار مائتان واثنان وثلاثون رجلا . ومعه فرسان فرس للزبير بن العوام ، وفرس للمقداد بن عمرو البهرانى .

(ويقال) فرس لمرثد بن ابى مرثد الغنوى ، ومعه سبعون راحلة فالتقوا يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان فقتل من المسلمين أربعة عشر رجلا وقتل من المشركين من سادات قريش سبعون رجلا وأسر منهم سبعون رجلا فامر رسول الله برجلين من الأسارى فضربت أعناقهما ، وهما عقبة بن ابى معيط ابن ابى عمرو بن أمية ، والنضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار وأخذ الفداء من ثمانية وستين رجلا ، وافتدى العباس نفسه وأبنى أخيه عقيل ابن أبى طالب ونوفل بن الحارث وحليفا لهما من بنى فهر .

وقال العباس لرسول الله (ص) إنه لا مال لى فدعنى أسأل الناس بكفى فقال أين المال الذى دفعته الى أم الفضل - يعنى لبــابة بنت الحارث الهلالية امرأته - وقلت لها يكون عدة . فقال أشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على ذلك غيرى وغيرهـا فافتدى نفسه بسبعين أوقية ، وابنى أخيه بسبعين أوقية وقال رسول الله (ص) فى الليلة التى بات فيها العباس أسيرا لقد أسهرنى أنين العباس عمى فى القيدمنذالليلةوأسلم العباس وخرج إلى مكة يكتم إسلامه ،وتوفى ابو لهب بعد وقعة بدر بايام أو بعد أن أتاهم الخبر بتسعة ايام ; وكان اول من قدم مكة وخبر بخبر قريش ومن قتل منها عمرو بن جحدم الفهرى .

وأعز الله نبيه وقتل من قريش من قتل ، فأوفدت العرب وفودهـا الى رسول الله وحاربت ربيعة كسرى ; وكانت وقعتهم (بذى قار) ، فقالوا عليكم بشعارالتهامىفنادوا يا محمد يا محمدفهزموا جيوش كسرى وقتلوهم فقالرسول الله اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا ، وكان يومذىقاره بعد وقعة بدر بأشهر أربعة أو خمسة ، وضحى رسول الله (ص) بالمدينة . وخرج الناس الى المصلىبعدتهم ولم يخرج قبل ذلك . وكانت العنزة بين يديهوذبح شاتين بالمصلى بيده (وقيل) شاة . ومضى فى طريق ورجع فى أخرى .

وقعة أُحد

وكانت وقعة (أحد) فى شوال بعد بدربسنة . اجتمعت قريش واستعدت لطلب ثأرها يوم بدر واستعانت بالمال الذى قدم به أبو سفيان وقالوا لا تنفقوا منه شيئاً إلا فى حرب محمد . فكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله(ص) بخبرهم وبعث الكتاب مع رجل من جهينة فخبر رسول الله (ص) أصحابه بخبرهم وخرج المشركون وعدتهم ثلاثة آلاف ورئيسهم ابو سفيان بن حرب ، وكان

رأى رسول الله (ص) أن لا يخرج من المدينة لرؤياً رآها فى منامه أن فى سيفه ثلمة . وان بعيراً يذبح له وانه ادخل يده فى درع حصينة . وتأولها محمد ان نفراً من أصحابه يقتلون وان رجلا من أهل بيته يصاب . وان الدرع المدينة . فأشارت عليه الأنصار بالخروج فلما لبس لباس الحرب ردت اليه الانصار الأمر وقالوا لا نخرج عن المدينة . فقال الآن وقد لبست لامتى والنبى إذا لبس لامته لاينزعها حتى يقاتل ويفتح الله عليه . فخرج وخرج المسلمون وعدتهم الف رجل حتى صاروا الى أُحد . ووافى المشركون فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله رماه وحشى عبد لجبير بن مطعم بحربة فسقط ومثلت به هند بنت عتبة بن ربيعة وشقت عن كبده فاخذت منها قطعة فلاكتها وجدعت أنفه فجزع عليه رسول الله ﷺ جزعاً شديداً (وقال) لن أصاب بمثلك وكبر عليه خمساً وسبعين تكبيرة . وانهزم المسلمون حتى بقى رسول الله ﷺ وما معه إلا ثلاثة نفر على عليه السلام والزبير وطلحة . وقال المنافقون قتل محمد . ورماه عبد الله بن قمئة فأثر فى وجهه ، واقتحم خالد بن الوليد وكان على ميسرة المشركين الثغرة فقتل عبد الله بن جبير وجماعة من المسلمين ناشبة كان رسول الله صيرهم على تلك الثغرة ، ودخل عسكر رسول الله ﷺ وفيه كانت هزيمة المسلمين قال الله تعالى (إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم) وعاتب الله المسلمين فى آيات من كتابه ، وقتل من المسلمين ثمانية وستون رجلا ومن المشركين اثنان وعشرون رجلا ثم رجع المشركون وفرق الله جمعهم ، وجاء يهودى حتى وقف على باب الأطم الذى فيه النساء ، وكان حسان بن ثابت معهن فصاح اليهودى اليوم بطل السحر ثم ارتقى يصعد فقالت صفية بنت عبد المطلب يا حسان انزل اليه فقال رحمك الله يا بنت عبد المطلب لو كنت ممن ينازل الابطال خرجت مع رسول الله أقاتل ، فأخذت صفية

السيف (وقيل) أخذت هراوة فضربت اليهودى حتى قتلته ، ثم قالت انزل فاسلبه فقال لا حاجة لى فى سلبه .

(وروى) أن رسول الله ﷺ ضرب لصفية يومئذ بسهم . فلما كان من غد يوم أحد نادى رسول الله ﷺ فخرجوا على علتهم وعلى ما أصابهم من الجرح وخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيداً . فهم الذين أجابوا الله ورسوله من بعد ما أصابهم القرح .

وقعة بنى النضير

ثم كانت وقعة (بنى النضير) وهم فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له (النضير) فسموا به ، وكذلك قريظة بعد أحد باربعة أشهر وكان رسول الله بعث اليهم ـ بعد أن وجه من يقتل كعب بن الاشرف اليهودى الذى أراد أن يمكر برسول الله ـ أن أخرجوا من دياركم وأموالكم ، فوجه اليهم عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه المنافقون لا تخرجوا فإنا نعينكم فلم يخرجوا فسار اليهم رسول الله بعد العصر فقاتلهم فقتل منهم جماعة وخذلهم عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه فلما رأوا أنه لا قوة لهم على حرب رسول الله ﷺ طلبوا الصلح فصالحهم على أن يخرجوا من بلادهم ولهم ما حملت إلا بل من خرثى متاعهم لا يخرجون معهم بذهب ولا فضة ولا سلاح فتحملوا الى الشام وأسلم سلام بن (. . . . (١) . . .) ويامين النضيرى ، وكانت غنائمهم لرسول الله خالصة ففرقها بين المهاجرين دون الأنصار إلا رجلين . أبادجانة وسهل بن حنيف فانهما شكيا حاجة ، وفى هـذه الغزاة شرب المسلمون الفضيخ فسكروا فنزل تحريم الخمر .

---

(١) ـ بياض فى الأصل ، وسلام هذا هو ابن مشكم ، وهو الذى نهى القوم لما تآمروا على قتل النبى (ص) بإلقاء صخرة على رأسه وهو جالس الى جنب جدار بيت وكان حامل الصخرة عمرو بن جحاش . (م . ص)

وقعة الخندق

ثم كانت وقعة (الخندق) وهو يوم الأحزاب ؛ فى السنة السادسة بعد مقدم رسول الله بالمدينة بخمسة وخمسين شهراً ، وكانت قريش تبعث إلى اليهود وسائر القبائل فتحرضهم على قتال رسول الله ﷺ فاجتمع خلق من قريش إلى موضع يقال له (سلع) واشار عليه سلمان الفارسى (رض) ان يحفر خندقاً لحفر الخندق وجعل لكل قبيلة حداً يحفرون اليه وحفر رسول الله ﷺ معهم حتى فرغ من حفر الخندق وجعل له أبواباً وجعل على الأبواب حرساً من كل قبيلة رجلا وجعل عليهم الزبير بن العوام وأمره إن رأى قتالا أن يقاتل ، وكانت عـــدة المسلمين سبعمائة رجل ، ووافى المشركون فانكروا أمر الخندق وقالوا ما كانت العرب تعرف هذا ، وأقاموا خمسة أيام فلما كان اليوم الخامس خرج عمرو بن عبد ود وأربعة نفر من المشركين : نوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومى . وعكرمة بن أبى جهل . وضرار بن الخطاب الفهرى . وهبيرة ابن أبى وهب المخزومى . فخرج على بن أبى طالب عليه السلام الى عمرو بن عبد ود فبارزه وقتله وانهزم الباقون . وكبا بنوفل بن عبد الله بن المغيرة فرسه فلحقه على عليه السلام فقتله . وبعث الله على المشركين ريحاً وظلمة فانصرفوا هاربين (لا يلوون) على شىء حتى ركب أبو سفيان ناقته وهى معقولة فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك قال عوجل الشيخ ، وكانت الحرب ـ على ما روى بعضهم ـ ثلاثة أيام بالرمى بغير مجالدة ولا مبارزة واتصلت فى اليوم الثالث حتى فاتت صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء الآخرة فقال رسول الله (ص) شغلونا عن الصلاة ملأ الله بطونهم وقبورهم ناراً ، ثم أمر بلال فأقام الصلاة فصلى الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء وذلك قبل أن ينزل عليه (فان خفتم فرجالا أو ركباناً) وفى هذه الوقعة ظهر النفاق وقال المنافقون تعد يا محمـــد

بقصور كسرى وقيصر ولأحدنا لا يقدر على الغائط ما هذا إلا غرور، فانزل الله عز وجل سورة الأحزاب ؛ وقص فيها ما قص ؛ فكان قوم من اليهود صاروا الى رسول الله (ص) منهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق فقالوا له يا محمد نزل « الم » قال نعم ، قال جاءك بها جبريل من عندالله؟ قال نعم ، قال حيي بن اخطب مابعث الله نبياً إلا أعلمه قدر ملكه فالألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون فذلك إحدى وسبعون سنة ، فهل غير هذا؟ قال نعم « المص » قال هي أثقل وأطول الف واحد ولام ثلاثون والميم أربعون وصاد ستون (١) فهذه احدى وثلاثون ومائة سنة، فهل غير هذا؟ قال نعم (الر) قال هي أثقل وأطول الف واحد واللام ثلاثون والراء مائتان ؛ فهذه مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل غير هذا ؟ قال نعم « المر » قال هذه أثقل وأطول الف واحد ولام ثلاثون وميم أربعون وراء مائتان فهذه مائتان واحدى وسبعون . لقد لبس علينا أمرك يا محمد فلا ندرى أقليلا أعطيت أم كثيراً و لعلك أعطيت (الم و المص و الر و المر) فذلك سبعمائة وأربع وستون (٢) سنة ، وقتل يوم الخندق من المسلمين ستة ومن المشركين ثمانية .

وقعة بني قريظة

ثم كانت وقعة (بني قريظة) ـ وهي نخذ من جذام اخوة النضير .

(ويقال) إن تهودهم كان في أيام عاديا بن السموءل ، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا اليه .

---

(١) ـ هذا على حساب المغربيين فان الصاد تحسب عندهم بستين وإلا فهي بحساب الجمل الكبير المعروف تعد بتسعين .

(٢) ـ كذا في الأصل ، والظاهر زيادة (وستون) لأن مجموع الاعداد المذكورة سبعمائة وأربعة فليلاحظ . (م . ص)

(وقد قيل) إن قريظة اسم جدهم - بعقب الخندق ، وكان بينهم وبين رسول الله صلح فنقضوه ومالوا مع قريش فوجه اليهم سعد بن معاذ وعبدالله ابن رواحة وخوات بن جبير فذكروهم العهد وأساؤا الاجابة فلما انهزمت قريش يوم الخندق دعا رسول الله علياً فقال له قدم راية المهاجرين الى بنى قريظة وقال عزمت عليكم أن تصلوا العصر الا فى بنى قريظة ، وركب حماراً له فلما دنا منهم لقيه على بن أبى طالب « ع » فقال يا رسول الله لا تدن « فقال » أحسب أن القوم أساءوا القول فقال نعم يا رسول الله «فيقال» انه قال بيده هكذا وهكذا فانفرج الجبل حتى رأوه وقال يا عبدة الطاغوت يا وجوه القردة والخنازير فعل الله بكم وفعل ، فقالوا يا أبا القاسم ما كنت فاحشاً فاستحي فرجع القهقرى ، ولم يتخلف عنه من المهاجرين أحد وأفاه عامة الانصار فقتل من بنى قريظة ثم تحصنوا لحاصرهم رسول الله اياما حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ الانصارى لحضر سعد عليلا فقالوا له قل يا أبا عمرو واحسن فقال قد آن لسعد ان لا تأخذه فى الله لومة لائم ارضيتم بحكمى؟ قالوا نعم ، ثم قال قد حكمت ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتجعل اموالهم للمهاجرين دون الانصار ، فقال رسول الله لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سماوات ثم قدمهم عشرة عشرة فضرب اعناقهم وكانت عدتهم سبعمائة وخمسين فانصرف رسول الله واصطفى منهم ست عشرة جارية فقسمها على فقراء بنى هاشم واخذ لنفسه منهن واحدة يقال لها ريحانة ، وقسمت اموال بنى قريظة ونساؤهم واعلم سهم الفارس وسهم الراجل فكان الفارس يأخذ سهمين والراجل سهما .

وكان أول مغنم اعلم فيه سهم الفارس وكانت الخيل ثمانية وثلاثين فرساً .

وقعة بني المصطلق

ثم كانت وقعة (بنى المصطلق) من خزاعـة لقيهم رسول الله بالمريسيع وهزمهم وسباهم فكان ممن سبي فى غزاته : جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار وقتل أبوها وعمها وزوجها فوقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي فكاتبها فأتت رسول الله فى مكاتبتها فقضى عليها مكاتبتها وتزوجها وجعل صداقها عتقها ، فلم يبق عنده من سبي بنى المصطلق أحد الا أعتقه ، وتزوجوا من فيهم من النساء لتزويج رسول الله جويرية ، وفى هذه الغزاة قال أصحاب الافك فى عائشة ما قالوا ، فانزل الله عز وجل براءتها ، وكانت تخلفت لبعض شأنها فجاء صفوان بن المعطل السلمى فصيرها على بعيره وقادها ، فقال من قال فيها الافك وجلد رسول الله حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وعبدالله بن ابى بن سلول ، وهو الذى تولى كبره ، وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش وأسلم بنو المصطلق وبعثوا الى رسول الله بإسلامهم فبعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ليقبض صدقاتهم فانصرف الى رسول الله (١) فانزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنو إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين)

غزاة الحديبية

ثم كانت غزاة (الحديبية) خرج رسول الله ﷺ فى سنة ست يريد العمرة ومعه ناس وساق من الهدى سبعين بدنة وساق أصحابه أيضاً وخرجوا بالسلاح فصدته قريش عن البيت فقال ما خرجت أريد قتالا وإنما أردت زيارة هذا البيت

---

(١) - كذا فى الأصل وفى العبارة سقط ولعله « وقال إنهم منعوا صدقاتهم وكان الأمر بخلافه فغضب النبي (ص) وهم أن يغزوهم ، فانزل الله الخ . (م . ص)

وقد كان رسول الله رأى فى المنام أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ المفتاح فارسلت اليه قريش مكرز بن حفص فابى أن يكلمه وقال هذا رجل فاجر فبعثوا اليه الحليس بن علقمة من بنى الحارث بن عبد مناة وكان من قوم يتألهون فلما رأى الهدى قد اكلت أوبارها رجع فقال يا معاشر قريش إنى قد رأيت ما لا يحل صده عن البيت فبعثوا بعروة بن مسعود الثقفى فكلم رسول الله فقال له رسول الله يا عروة أفى الله أن يصد هذا الهدى عن هذا البيت ؟ فانصرف اليهم عروة بن مسعود فقال تالله ما رأيت مثل محمد لما جاء له فبعثوا اليه سهيل بن عمرو فكلم رسول الله وأرفقه وقال نخليها لك من قابل ثلاثة أيام فأجابهم رسول الله وكتبوا بينهم كتاب الصلح ثلاث سنين وتنازعوا بالكتاب لما كتب (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله) حتى كادوا أن يخرجوا الى الحرب ، قال سهيل بن عمرو والمشركون لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ، وقال المسلمون لا تمحها فامر رسول الله أن يكفوا وأمر علياً فكتب : (بسمك اللهم من محمد بن عبد الله) (١) وقال اسمى واسم أبى لا يذهبان بنبوتى . وشرطوا أن يخلوا مكة له من قابل ثلاثة ايام ويخرجوا عنها حتى يدخلها بسلاح الراكب وأن الهدنة بينهم ثلاث سنين لا يؤذون احداً من اصحاب رسول الله ولا يمنعونه من دخول مكة ولا يؤذى احد من أصحاب رسول الله احداً منهم ، ووضع الكتاب على يد سهيل بن عمرو فامر رسول الله المسلمين أن يحلقوا وينحروا هديهم فى الحل فامتنعوا وداخل اكثر الناس الريب فحلق رسول الله ونحر فحلق المسلمون ونحروا وانصرف رسول الله الى المدينة ثم خرج من قابل وهى عمرة القضاء فدخل مكة على ناقة بسلاح الراكب واخلتها قريش ثلاثاً وخلفوا بها حويطب ابن عبد العزى فاستلم رسول الله الركن بمحجنه وصدّق الله رسوله الرؤيا بالحق

(١) ـ ثم قال رسول الله (ص) لعلى «ع» : ولك مثلها ، أو كما قال ، وكان الأمر كما ذكر . فلم يذكره المصنف لبنائه على الاختصار (كذا فى هامش الأصل)

وخرج عنها بعد ثلاث فابتنى بميمونة بنت الحارث الهلالية زوجته بسرف وغدرت قريش فقتلت رجلا من خزاعة ممن دخل فى شرط رسول الله ﷺ .

وقعة خيبر

ثم كانت وقعة (خيبر) فى أول سنة سبع ؛ ففتح حصونهم وهى ستة حصون : السلالم والقموص والنطاة والقصارة والشق والمربطة . وفيها عشرون الف مقاتل ففتحها حصناً حصناً فقتل المقاتلة وسبى الذرية وكان القموص من أشدها وأمنعها وهو الحصن الذى كان فيه مرحب بن الحارث اليهودى فقال رسول الله لأدفعن الراية غداً ان شاء الله الى رجل كرار غير فرار يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا ينصرف حتى يفتح الله على يده ؛ فدفعها الى (على) فقتل مرحباً اليهودى واقتلع باب الحصن ، وكان حجارة طوله أربع أذرع فى عرض ذراعين فى سمك ذراع فرمى به على بن أبى طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون ، وقدم جعفر بن أبى طالب فى ذلك اليوم من أرض الحبشة فقام اليه رسول الله فقبل ما بين عينيه ثم قال والله ما أدرى بأيهما أنا اشد سروراً بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ، واصطفى صفية بنت حيى بن أخطب وأعتقها وتزوجها وقسم بين بنى هاشم نساءهم ورجالهم وأوساق التمر والقمح والشعير ، ثم قسم بين الناس كافة وبلغه ما فيه أهل مكة من الضر والحاجة والجدب والقحط فبعث اليهم بشعير ذهب .

(وقيل) نوى ذهب مع عمرو بن أمية الضمرى وأمره أن يدفعه الى أبى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية بن خلف وسهيل بن عمرو ويفرقه ثلاثاً ثلاثاً فامتنع صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو من أخذه وأخذه أبو سفيان كله وفرقه على فقراء قريش وقال : جزى الله ابن أخى خيراً فانه وصول لرحمه وجاءته زينب بنت الحارث أخت مرحب بالشاة المسمومة فاخذ منها لقمة

وكلمته الذراع فقالت انى مسمومة وكان يأكل معه بشر ابن البراء بن معرور فمات فقال الحجاج بن علاط السلمي لرسول الله قد أسلمت ولي بمكة مالى فتأذن لى أن أتكلم بشيء يطمئنون اليه لعلى أن آخذ مالى فأذن له فخرج حتى قدم مكة فاتته قريش فقالوا مرحباً بك يابن علاط هل عندك خبر من هذا القاطع ؟ قال نعم ان كتمتم عليّ فتعاهدوا أن يكتموا عليه حتى يخرج قال والله انى ما جئت حتى هزم محمد وأصحابه هزيمة وحتى أُخذ أسيراً وقالوا نقتله بسيدنا حيي بن أخطب فاستبشروا وشربوا الخمور، وبلغ العباس والمسلمين الخبر فاشتد جزعهم وأخذ الحجاج كل ما كان له ثم أتى العباس وأخبره بما فتح الله على نبيه وأن سهام الله قد جرت على خيبر وقتل ابن أبى الحقيق وبات رسول الله عروساً بابنة حيي ابن أخطب ثم خرج من مكة فأصبح العباس مسروراً فقال له أبو سفيان تجلداً للمصيبة يا أبا الفضل فقال العباس إن الحجاج والله خدعكم حتى أخذ ماله وقد أخبرنى باسلامه وأنه ما انصرف حتى فتح الله على نبيه وقتل ابن أبى الحقيق وبات عروساً بابنة حيي بن أخطب وفتح جميع الحصون فأعولت امرأة الحجاج واجتمع اليها نساء المشركين واشتدت كآبة المسلمين وغلهم .

فتح مكة

وكانت خزاعة فى عقد رسول الله ، وكنانة فى عقد قريش ، فأعانت قريش كنانة . فأرسلوا مواليهم فوثبوا على خزاعة فقتلوا فيهم . فجاءت خزاعة الى رسول الله فشكوا اليه ذلك فأحل الله لنبيه قطع المدة التى بينه وبينهم وعزم على غزوا مكة وقال : اللهم أعم الأخبار عنهم - يعنى قريشاً - فكتب حاطب بن ابى بلتعة مع سارة مولاة ابى لهب إلى قريش بخبر رسول الله وما اعتزم عليه فنزل جبريل فأخبره بما فعل حاطب فوجه بعلى بن أبى طالب والزبير وقال خذا الكتاب منها فلحقاها وقد كانت تنكبت الطريق فوجد الكتاب فى مشعرها

(وقيل) فى فرجها . فاتيا به الى رسول الله فأسر الى كل رئيس منهم بما أراد وأمره أن يلقاه بموضع سماه وأن يكتم ما قال له ، فأسر الى خزاعى بن عبد نهم أن يلقاه بمزينة بالروحاء ، وإلى عبدالله بن مالك أن يلقاه بغفار بالسقيا ، والى قدامة بن ثمامة أن يلقاه ببنى سليم بقديد ، وإلى الصعب بن جثامة أن يلقاه ببنى ليث بالكديد

وخرج رسول الله (ص) يوم الجمعة حين صلى صلاة العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثمان ، وقيل ، لعشر مضين من رمضان ، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ولقيته القبائل فى المواضع التى سماها لهم وأمر الناس فافطروا وسمى الذين لم يفطروا العصاة ودعا بماء فشربه وتلقاه العباس بن عبد المطلب فى بعض الطريق فلما صار بمر الظهران خرج ابو سفيان بن حرب يتجسس الأخبار ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وهو يقول لحكيم ماهذه النيران فقال خزاعة أحمشتها الحرب ، فقال خزاعة أقل وأذل وسمع صوته العباس فناداه يا أبا حنظلة فاجابه فقال له يا أبا الفضل ما هـــذا الجمع قال هذا رسول الله فاردفه على بغلته ولحقه عمر بن الخطاب وقال الحمد لله الذى أمكن منك بغير عهد ولا عقد فسبقه العباس الى رسول الله فقال يا رسول الله هـــذا أبو سفيان قد جاء ليسلم طائعاً فقال له رسول الله ﷺ قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وجعل يمتنع من أن يقول وأنك رسول الله فصاح به العباس فقال ، ثم سأل العباس رسول الله (ص) أن يجعل له شرفاً وقال إنه يحب الشرف فقال رسول الله (ص) من دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن واوقفه العباس حتى رأى جند الله فقال له يا أبا الفضل لقد أوتى ابن أخيك ملكا عظيماً فقال إنه ليس بملك إنما هى النبوة ، ومضى أبو سفيان مسرعاً حتى دخل مكة فاخبرهم الخبر وقال هو اصطلام إن لم تسلموا وقد جعل أن من دخل دارى فهو آمن فوثبوا عليه وقالوا وما يسع دارك ؟ فقال ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، وفتح الله نبيه وكفاه

القتال ودخل مكة ودخل أصحابه من أربعة مواضع وأحلها الله له ساعة من نهار ، ثم قام رسول الله ﷺ فخطب لحرمها ، وأجارت أم هانى بنت أبى طالب حموين لها الحارث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة فأراد على عليه السلام قتلهما فقال رسول الله ﷺ يا على قد أجرنا من أجارت أم هانى وآمنهم جميعاً إلا خمسة نفر أمر بقتلهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة ، وأربع نسوة ، وهم عبد الله ابن عبد العزى بن خطل من بنى تيم الاكرم بن غالب ؛ وكان رسول الله ﷺ وجهه مع رجل من الأنصار فشد على الأنصارى فقتله وقال لا طاعة لك ولا لمحمد ، وعبدالله بن سعد بن أبى سرح العامرى ؛ وكان يكتب لرسول الله ﷺ فصار الى مكة فقال أنا أقول كما يقول محمد والله ما محمد نبى ولقد كان يقول لى اكتب (عزيز حكيم) فاكتب (لطيف خبير) ولو كان نبياً لعلم فآواه عثمان وكان أخاه من الرضاع وأتى به الى رسول الله ﷺ فجعل يكلمه فيه ورسول الله ساكت ، ثم قال هلا قتلتموه ؟ فقالوا إنتظرنا أن تومىء فقال إن الأنبياء لا تقتل بالإيماء ، ومقيس بن صبابة أحد بنى ليث بن كنانة ، وكان أخوه قتل فاخذ الدية من قاتله ثم شد عليه فقتله ، والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصى ، كان ممن يؤذى رسول الله بمكة ويتناوله بالقول القبيح ، والنسوة سارة مولاة بنى عبد المطلب ، وكانت تذكر رسول الله بالقبيح وهند بنت عتبة ، وقريبة وفرتنا جاريتا ابن خطل كانتا تغنيان فى هجاء رسول الله واسلمت قريش طوعاً وكرهاً وأخذ رسول الله مفتاح البيت من عثمان بن أبى طلحة وفتح الباب بيده وستره ثم دخل البيت فصلى فيه ركعتين ثم خرج فأخذ بعضادتى الباب فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلله الحمد والملك لا شريك له .

ثم قال ما تظنون وما أنتم قائلون ؟ قال سهيل نظن خيراً ونقول خيراً أخ كريم وابن عم كريم وقد ظفرت ، قال فانى أقول لكم كما قال أخى يوسف :

(لاتثريب عليكم اليوم) ثم قال : ألا كل دم ومال ومأثرة فى الجاهلية فانه موضوع تحت قدمى هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فانهما مردودان الى أهليهما ألا وإن مكة محرمة بحرمة الله لم تحل لأحد من قبلى ولا تحل لأحد من بعدى وإنما حلت لى ساعة ثم أغلقت فهى محرمة الى يوم القيامة لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد ، ألا ان فى القتل شبه العمد الدية مغلظة ، والولد للفراش وللعاهر الحجر (ثم قال) ألا لبئس جيران الذين (١) كنتم فاذهبوا فأنتم الطلقاء ، ودخل مكة بغير احرام وأمر بلالا أن يصعد على الكعبة فأذن فعظم ذلك على قريش وقال عكرمة بن أبى جهل وخالد ابن أسيد ان ابن رباح ينهق على الكعبة وتكلم قوم معهما فأرسل اليهم رسول الله فقالوا قد قلنا فنستغفر الله فقال ما أدرى ما أقول لكم ولكن تحضر الصلاة فمن صلى فسبيل ذلك والا قدمته فضربت عنقه .

وأمر بكل ما فى الكعبة من صورة فمحيت وغسلت بالماء ، ودعا بعثمان ابن طلحة فقال رأيت فى الكعبة قرنى الكبش فخمرهما فانه لا ينبغى ان يكون فى الكعبة شىء فصيرا فى بعض الجدر .

(وروى بعضهم) أن رسول الله قسم ما كان فى الكعبة من المال بين المسلمين .

(وقال آخرون) أقره ونادى منادى رسول الله من كان فى بيته صنم فليكسره فكسروا الأصنام ، ودعا رسول الله بالنساء فبايعنه وكانت الخيل أربعمائة فرس ، ونزلت عليه ﷺ سورة اذا جاء نصر الله والفتح فقال نعيت الى نفسى .

وبعث رسول الله ﷺ وهو بمكة خالد بن الوليد الى بنى جذيمة بن عامر وهم بالغميصاء وقد كانوا فى الجاهلية أصابوا من بنى المغيرة وقتلوا عوفاً ابا عبد الرحمن بن عوف فخرج عبد الرحمن بن عوف مع خالد بن الوليد ورجال

(١) ـ كذا فى الأصل ولعل العبارة « لبئس جيران البيت كنتم » (م . ص)

من بنى سليم وقد كانوا قتلوا ربيعة بن مكدم فى الجاهلية فخرج جذل الطعان فقتل من بنى سليم بدم ربيعة مالك بن الشريد ، وبلغ جذيمة ان خالداً قد جاء ومعه بنو سليم فقال لهم خالد ضعوا السلاح فقالوا انا لانأخذ السلاح على الله ولا على رسوله ونحن مسلمون فانظر ما بعثك رسول الله له فان كان بعثك مصدقاً فهذه ابلنا وغنمنا فأعد عليها قال ضعوا السلاح قالوا انا نخاف أن تأخذنا باحنة الجاهلية فانصرف عنهم وأذن فى القوم وصلوا فلما كان فى السحر شنّ عليهم الخيل فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، فبلغ رسول الله (ص) فقال : اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد ، وبعث على بن أبى طالب عليه السلام فأدى اليهم ما أخذ منهم حتى العقال وميلغة الكلب وبعث معه بمال ورد من اليمن فودى القتلى وبقيت معه منه بقية فدفعها الى اليهم على أن يحللوا رسول الله مما علم ومما لا يعلم فقال رسول الله لما فعلت أحب الى من حمر النعم ، ويومئذ قال لعلى : (فداك أبواى) .

وقال عبد الرحمن بن عوف ! والله لقد قتل خالد القوم مسلمين ! فقال خالد انما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف فقال له عبد الرحمن : ما قتلت بابى ولكنك قتلت بعمك الفاكه بن المغيرة .

وقعة حنين

ثم كانت وقعة (حنين) بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمكة . أن هوازن قد جمعت بحنين جمعاً كثيراً ورئيسهم مالك بن عوف النصرى ومعهم دريدبن الصمة من بنى جشم شيخ كبير يتبركون برأيه وساق مع هوازن أموالهم وحرمهم فخرج اليهم رسول الله (ص) فى جيش عظيم عدتهم اثنا عشر الفاً ، عشرة آلاف أصحابه الذين فتح بهم مكة ممن أسلم طوعاً وكرهاً وأخذ من صفوان بن أمية مائةدرع وقال عارية مضمونة فأعجبت المسلمين كثرتهم . وقال بعضهم : ما نؤتى من قلة ،فكره رسول الله ذلك من قولهم ، وكانت هوازن قد كمنت فى الوادى فخرجوا على

المسلمين وكان يوم عظيم الخطب وانهزم المسلمون عن رسول الله (ص) حتى بقي في عشرة من بني هاشم .

(وقيل) تسعة وهم : علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وابو سفيان ابن الحارث ، ونوفل بن الحارث ، وربيعة بن الحارث ، وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب ، والفضل بن العباس ، وعبدالله بن الزبير بن عبد المطلب (وقيل) أيمن بن أم أيمن .

قال الله عز وجل (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها) وأبدى بعض قريش ما كان في نفسه ، فقال أبو سفيان : لا تنتهي والله هزيمتهم دون البحر ، وقال كلدة بن حنبل : اليوم بطل السحر ، وقال شيبة بن عثمان : أقتل محمداً ، فأراد رسول الله (ص) ليقتله فأخذ النبي الحربة منه فاشعرها فؤاده فقال رسول الله للعباس صح : يا للأنصار وصح : ياأهل بيعة الرضوان ، صح : يا أصحاب سورة البقرة ، يا أصحاب الشجرة ثم انفض الناس وفتح الله على نبيه وأيده بجنود من الملائكة ومضى على بن أبي طالب الى صاحب راية هوازن فقتله . وكانت الهزيمة ، وقتل من هوازن خلق عظيم وسبى منها سبايا كثيرة بلغت عدتهم الف فارس وبلغت الغنائم اثنتى عشر الف ناقة سوى الأسلاب ، وقتل دريد بن الصمة فأعظم الناس ذلك ، فقال رسول الله (ص) إلى النار وبئس المصير إمام من أئمة الكفر إن لم يكن يعين بيده فانه يعين برأيه ، قتله رجل من بني سليم ، وقتل ذو الخمار سبيع بن الحارث فقال رسول الله (ص) أبعده الله إنه كان يبغض قريشاً .

وصارت السبايا والأموال في أيدي المسلمين ، وبلغت هزيمة المسلمين الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وكان جميع من استشهد أربعة نفر ، وجاءت الشيماء بنت حليمة أخت رسول الله (ص) من الرضاعة إلى رسول الله فحباها

وأكرمها وبسط لها رداءه وكلمته فى السبايا وقالت: إنما هن خالاتك وأخواتك فقال ما كان لى ولبنى هاشم فقد وهبته لك فوهب المسلمون ما كان فى أيديهم من السبايا كافة إلا الأقرع بن حابس وعيينه بن حصن فقال رسول الله (ص) : اللهم نوه سهميهما فخرج لهما (١) عجوز وكلمته فى مالك بن عوف النصرى رئيس جيش هوازن وآمنه فجاء مالك وأسلم ووجهه رسول الله (ص) لحصار الطائف ، وأعطى المؤلفة قلوبهم من غنائم هـــوازن وأعطى اثنى عشر رجلا مائة من الابل وهم ابو سفيان بن حرب ومعاوية بن أبى سفيان وحكيم بن حزام والحارث بن الحارث ابن كلدة العبدرى والحارث بن هشام بن المغيرة وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية ابن خلف وحويطب بن عبد العزى والعلاء بن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة ومالك بن عوف النصرى وعيينة بن حصن الفزارى والأقرع بن حابس وأعطى الباقين مادون ذلك . وسألته الأنصار ودخلها غضاضة فقال رسول الله (ص) إنى اعطى قوماً تألفاً وأكلكم الى ايمانكم ، وتكلم بعضهم فقال قاتل بنا محمد حتى إذا ظهر أمره وظفر أتى قومه وتركنا فاسقط الله سهمهم وأثبت للمؤلفة قلوبهم سهماً فى الصدقات ، وخرج رسول الله (ص) الى الطائف ووجه بعلى بن أبى طالب عليه السلام فلقى نافع بن غيلان بن سلمة بن معتب فى خيل من ثقيف فقتله وانهزم اصحابه وحصرها رسول الله (ص) بضعة وعشرين يوماً ونزل اليه أربعون رجلا ، وأمر رسول الله (ص) بقطع الكروم فكلموه فتركها وأمر أن لا تقطع ثم انصرف رسول الله وخلف أبا سفيان بن حرب على حصار الطائف ووجه علياً عليه السلام لكسر الأصنام فكسرها .

---

(١) كذا فى الأصل وفيه سقط ولعله (فجاءته عجوز) الخ .

(م ٠ ص)

غزاة مؤتة

ووجه جعفر بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة: فى جيش الى الشأم لقتال الروم سنة ثمان .

(وروى بعضهم) أنه قال : أمير الجيش زيد بن حارثة فان قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب فإن قتل جعفر بن أبى طالب فعبد الله بن رواحة فان قتل عبدالله بن رواحة فليرتض المسلمون من أحبوا .

(وقيل) بل كان جعفر المقدم ثم زيد بن حارثة ثم عبدالله بن رواحة وصار الى موضع يقال له (مؤتة) من الشأم من البلقاء من أرض دمشق ، فأخذ زيد الراية فقاتل حتى قتل ثم أخذها جعفر فقطعت يده اليمنى فقاتل باليسرى فقطعت يده اليسرى ثم ضرب وسطه ، ثم أخذها عبدالله بن رواحة فقتل ، فرفع لرسول الله (ص) كل خفض وخفض له كل رفع حتى رأى مصارعهم وقال رأيت سرير جعفر المقدم فقلت يا جبريل إنى كنت قدمت زيداً فقال إن الله قدم جعفراً لقرابتك ، ونعاهم رسول الله (ص) فقال أنبت الله لجعفر جناحين من زبرجد يطير بهما فى الجنة حيث يشاء ، واشتدجزعه وقال على جعفر فلتبك البواكى ، وتأمر خالد بن الوليد على الجيش .

(قالت) أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت امرأة جعفر وأم ولده جميعاً دخل على رسول الله ويدى فى عجين فقال : يا أسماء أين ولدك ؟ فاتيته بعبدالله ومحمد وعون فأجلسهم جميعاً فى حجره وضمهم اليه ومسح على رؤوسهم ودمعت عيناه ، فقلت بأبى وأمى أنت يا رسول الله لم تفعل بولدى كما تفعل بالأيتام لعله بلغك عن جعفر شيء فغلبته العبرة وقال رحم الله جعفراً فصحت واويلاه واسيداه فقال لا تدعى بويل ولا حرب وكل ما قلت فانت صادقة ، فصحت واجعفراه وسمعت صوتى فاطمة بنت رسول الله (ص) فجاءت وهى تصيح

وا ابن عماه ، فخرج رسول الله (ص) يجر رداءه ما يملك عبرته وهو يقول على جعفر فلتبك البواكى ، ثم قال يا فاطمة اصنعى لعيال جعفر طعاماً فانهم فى شغل فصنعت لهم طعاماً ثلاثة أيام فصارت سنة فى بنى هاشم .

الغزوات التى لم يكن فيها قتال

وكانت غزوات فيما بين ذلك لم يكن فيها قتال كان رسول الله يخرج فلا يلقى كيداً وينصرف ، وانما قدمنا ما كان فيها القتال على التى لا قتال فيها لنفرد الغزوات التى لم يكن فيها قتال .

(غزاة الأبواء) خرج رسول الله (ص) الى ودان فرجع ولم يلق كيداً .

(وغزاة بواط) مثل ذلك .

(وغزاة ذى العشيرة) من بطن ينبع وادع بها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة وكتب بينهم كتاباً والذى قام بذلك بينهم مخشى بن عمرو الضمرى .

(وغزاة قرقرة الكدر) خرج رسول الله فى طلب مكدر بن جابر الفهرى ويقال كرز بن جابر حين كان أغار على سرح المدينة وذلك أن أبا سفيان ضاف سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير فقراه وسقاه خمراً ثم خرج من تحت ليلته حتى مرّ بمكان يقال له (العريض) فوجد بها رجلين من الانصار فى سور لهما من النخل فقتلهما وانصرف الى مكة فبلغ رسول الله الخبر فبلغ قرقرة الكدر ولم يلق كيداً وانصرف .

(وغزاة حمراء الأسد) خرج رسول الله (ص) من غد يوم أحد وقد ذكرناها مع خبر أحد .

(وغزاة بدر الصغرى) وهى بدر الموعد لميعاد أبى سفيان بن حرب فخرج رسول الله (ص) فى شعبان فى السنة الرابعة فاقام عليها ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ووافق السوق وكانت عظيمة فتسوق المسلمون فربحوا ربحاً حسناً، وقال

المنافقون للمؤمنين حين خرجوا لميعاد أبي سفيان قد قتلوكم عند بيوتكم فكيف اذا أتيتموهم فى بلادهم وقد جمعوا لكم والله لا ترجعون أبداً فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانزل الله فى ذلك : (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

وانصرف رسول الله ولم يلق كيداً ، وخلفهم أبو سفيان وقال هذا عام جدب ولا يصلحكم يا معشر قريش الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وانى راجع فرجعوا بعد أن كان قد بلغ مر الظهران .

(وغزاة تبوك) سار رسول الله (ص) فى جمع كثير الى تبوك من أرض الشأم يطلب بدم جعفر بن أبى طالب ووجه الى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرهم ويرغبهم فى الجهاد . وحض رسول الله أهل الغنى على النفقة فانفقوا نفقات كثيرة وقووا الضعفاء وقال رسول الله (ص) أفضل الصدقة جهد المقل فاتاه البكاؤن يستحملونه وهم هرمى بن (...(١)...) عمرو بن عوف ، وسالم بن عمير ، وعمرو بن الحمام ، وعبد الرحمن بن كعب ، وصخر بن سلمان ، فقال ما أجد ما أحملكم عليه وأتوه قوم من الاغنياء فاستاذنوه وقالوا دعنا نكن مع

(١) - بياض فى الأصل ، وهرمى هذا هو ابن عبد الله بن رفاعة بن بحرة بن مجدعة بن عدى بن نمير بن واقف ، ذكره ابن سعد فى الطبقات وقال : (كان قديم الإسلام وهو من البكائين الذين استحملوا النبى (ص) فى غزوة تبوك) وقد سقط فى محل البياض بعض البكائين وهما اثنان على أقل الروايات إذ لم يجعلهم أحد من المؤرخين أقل من سبعة ، أما عمرو بن عوف الذى ذكر فى (الكتاب) فليس من البكائين وإنما سالم بن عمير الذى ذكره فيه هو من بنى عمرو بن عوف ، فالذى يترجح فى النظر أن العبارة (ومن بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير) فزيدت الواو قبل سالم واسقط لفظ (ومن بنى) قبل عمرو ، كما عبر بذلك ابن هشام فى السيرة (ج ٢ ص ٣٧) —

من تخلف فقال الله تعالى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) وهم الجد بن قيس ومجمع بن جارية ؛ وخدام بن خالد فأذن لهم رسول الله ﷺ فقال الله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم) وخرج رسول الله (ص) غرة رجب سنة تسع واستخلف علياً على المدينة واستعمل الزبير على راية المهاجرين وطلحة على الميمنة وعبد الرحمن بن عوف على الميسرة وخرجت النساء والصبيان يودعونه عند الثنية فسماها ثنية الوداع .

وسار رسول الله (ص) فاصاب الناس عطش شديد فقالوا يا رسول الله لو دعوت الله اسقانا فدعا الله فسقاهم وقدم رسول الله (ص) تبوك فى شعبان فاتاه يحنة بن رؤبة أسقف أيلة فصالحه وأعطاه الجزية وكتب له كتاباً وانصرف رسول الله (ص) لجلس له أصحاب العقبة لينفروا به ناقته فقال لحذيفة نحهم وقل لهم لتنحن أو لأدعونكم بأسمائكم وأسماء آبائكم وعشائركم فصاح بهم حذيفة وكان خروجه (ص) فى رجب وانصرف فى شهر رمضان وكان حذيفة يقول إنى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم .

الأمراء على السرايا والجيوش

ووجه رسول الله (ص) على السرايا والجيوش الأمراء وعقد لهم الألوية والرايات ؛ فاول ذلك حمزة بن عبد المطلب على سرية إلى ساحل البحر .

(وقيل) إن أولهم عبيدة بن الحارث بن المطلب على سرية الى ثنية المرة فى ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى به جمعاً عظيماً من قريش فلم يكن منهم

— وجعلهم سبعة رجال وإن جعلهم الديار بكرى فى تاريخ الخميس (ج ٢ ص ١٣٧) خمسة عشر رجلا وبعضهم أقل ، والبكاؤن هم الذين نزلت فيهم آية (قل لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون)

قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم وكان أول سهم رمى فى الإسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية ، وجاء المقداد بن عمرو البهرانى حليف بنى زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر الحارثى حليف بنى نوفل وكانا مسلمين ولكنهما خرجا فتوصلا بالكفار وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل .

وسعد بن أبي وقاص على سرية الخرار وهو ماء من الجحفة فاصاب نعما لبنى ضمرة فارسلوا الى رسول الله (ص) فردها بالحلف الذى بينهم وبينه .

وحمزة بن عبد المطلب على سرية الى ساحل البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فلقى أبا جهل بن هشام فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان موادعاً للفريقين جميعاً وانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن قتال .

وعبدالله بن جحش بن رئاب على سرية الى نخلة فى ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار وكتب له كتاباً وأمره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره ولا يستكره من أصحابه احداً فلما سار عبدالله ابن جحش يومين فتح الكتاب ينظر فيه فاذا فيه اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف لترصد بها قريشاً وتعلم أخبارها فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم احد فلما نزل نخلة مرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة فيها عمرو بن الحضرمى فقاتلوه فأسروا منهم رجلين فكانا أول أسير من المشركين وأفلت القوم وأخذوا ما كان معهم فعزل رسول الله (ص) خمس العير وقسم سائرها لأصحابه فكان أول خمس قسم فى الاسلام .

ووجه مرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب على سرية الى جمع وذلك انه قدم على النبى نفر من ـ العضل وديش ـ وهما حيان من الهون بن خزيمة ـ فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا أصحابك يفقهوننا ويقرئوننا

القرآن فبعث فيهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن البكير حليف بني عدي ابن ثابت وعاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح العمري وزيد بن دثنة البياضي وعبدالله ابن طارق الظفري وخبيب بن عدي العمري ، فلما كانوا على ماء يقال له الرجيع لهذيل خرج بعض الناس حتى انتهى إلى هذيل فقال إن هاهنا نفراً من أصحاب محمد هل لكم أن نأخذهم ونسلبهم ونبيعهم من قريش فما راع المسلمين إلا الرجال بأيديهم السيوف فقالوا : استأسروا فلكم العهد والعقد ولا نقتلكم ولكن نبيعكم من قريش ، فنادى مرثد وهو أمير القوم وعاصم وخالد فصاحوا بالقوم وسلوا سيوفهم وتهيأوا للقتال وأما خبيب وعبدالله وزيد فلانوا وأعطوا بأيديهم فقاتل أصحابهم قتالاً شديداً وقتل مرثد وخالد بن البكير وقاتل عاصم ابن ثابت حتى قتل .

وزيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله (ص) على سرية الى قردة لما انصرف رسول الله (ص) من « بدر الصغرى » ميعاد أبي سفيان هابت قريش أن يأخذوا طريقهم الى الشام على بدر فتركوا ذلك الطريق وسلكوا طريق العراق فخرج ابو سفيان وأبو العاص ابن الربيع في عير قريش في مال كثير الى الشام فبعث رسول الله (ص) فأصابهم وما فيها وخرج القوم هاربين ، ابو سفيان واصحابه فسبقوهم فقدم زيد بذلك المال وأسر معاوية بن المغيرة بن ابي العاص جد عبد الملك بن مروان .

(وقيل) إنه قدم به وأقبل أبو العاص بن الربيع حتى دخل المدينة فاستجار بزينب ابنة رسول الله فلما صلى رسول الله (ص) الغداة نادت زينب ألا إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فقال رسول الله (ص) حين انصرف أسمعتم قالوا نعم قال قد أجرت من أجارت ، إن أدنى المؤمنين يجير على أقصاهم وقام فدخل (ص) عليها فقال لا يفوتنك أكرمي مثواه ، ورد عليه ما أخذ منه

فرجع الى مكة فرد الى كل ذى حق حقه ثم أسلم ورجع الى رسول الله (ص) فرد عليه زينب بالنكاح الأول .

وأيضاً زيد بن حارثه على سرية الى الجحوم أو الجموم . فأصاب امرأة من مزينة يقال لها (حليمة) فدلتهم على محلة من محال بنى سليم فاصابوا فى تلك المحلة نعما وأسارى وكان فى اولئك الأسارى زوج حليمة فلما قفل بها وهب رسول الله (ص) للمزينية زوجها ونفسها .

ومرة أخرى لزيد على جيش الى جذام . وكان ابن خليفة الكلبى لما انصرف من عند قيصر مرّ بأرض جذام فأغار عليه الهنيد بن عارض الجذامى فسلبه ما كان معه وأدركه نفر من المسلمين فاستنقذ ما أخذ منه فدفعوه الى دحية فوجه رسول الله (ص) زيد بن حارثة فسبي وقتل وأخذ الهنيد وابنه فضرب أعناقهما .

ووجه ايضاً زيداً على جيش الى وادى القرى وكانت أم قرفة ابنة ربيعة ابن بدر وقد تزوجها مالك بن حذيفة بن بدر - بعثت الى رسول الله (ص) باربعين رجلا من بطنها وقالت ادخلوا عليه المدينة فبعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة فى خيل فلقيهم بوادى القرى فهزم وارتث زيد من القتلى فحلف أن لا يغسل ولا يدهن حتى يغزوهم فسأل رسول الله (ص) أن يبعث به اليهم فبعثه فى خيل عظيمة فالتقوا بوادى القرى فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمت بنو فزارة وقتلوا وسبيت يومئذ أم قرفة فقتلها قتلا عنيفاً شقها بين بكرين ، وأما ابنتها فوقعت فى سهم قيس بن المحسر فاستوهبها رسول الله (ص) منه لخاله حزن بن أبى وهب ابن عائذ بن عمران بن مخزوم فولدت عبد الرحمن بن حزن .

ومرة على جيش الطرف الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله (ص) سار اليهم فاصاب من نعمهم عشرين بعيراً ولم يكن بينهم قتال .

والمنذر بن عمرو الأنصارى على سرية الى بئر معونة ، وذلك ان أسد بن معونة قدم على رسول الله (ص) بهدية من قبل عمه أبى براء بن مالك ملاعب الأسنة وأهدى له فرسين ونجائب وكان صديقاً للنبى (ص) فقال رسول الله (ص) والله لا أقبل هدية مشرك . فقال لبيد بن ربيعة ما كنت أرى أن رجلا من مضر يرد هدية أبى براء ، فقال لو كنت قابلا من مشرك هدية لقبلتها منه ، قال فانه يستشفيك من دبيلة فى بطنه قد غلبت عليه فتناول رسول الله (ص) جبوبة (١) من تراب فأمرها على لسانه ثم دافها بماء ثم سقاه إياه فكأنما أنشط من عقال وكان أبو براء سأل رسول الله (ص) أن يبعث اليه بنفر من أصحابه ليفقهوهم فى الدين ويبصروهم شرايع الإسلام فقال رسول الله (ص) إنى أخاف أن يقتلهم بنو عامر فارسل أبو براء أنهم فى جوارى فبعث اليه المنذر بن عمرو ونفراً من أصحابه فى تسعة وعشرين عامتهم بدرى فاغار عليهم عامر بن الطفيل وتابعه ثلاثة أحياء من بنى سليم ، رعل وذكوان وعصية فلذلك لعنهم رسول الله (ص) وأقبل عامر الى حرام بن ملحان وهو يقرأ كتاب رسول الله (ص) فطعنه بالرمح فقال الله اكبر فزت بالجنة ، واقتتل القوم قتالا شديداً وكثرتهم بنو سليم فقتلوا من عند آخرهم ما خلا المنذر بن عمرو فانه قال لهم دعونى أصلى على أخى حرام بن ملحان قالوا نعم فصلى عليه ثم أخذ سيفاً وأعنق نحوهم فقاتلهم حتى قتل ، وقال الحارث بن الصمة ما كنت لأرغب بنفسى عن سبيل مضى فيه المنذر والله لأذهبن فلئن ظفر لأظفرن ولئن قتل لأقتلن فذهب وقتل ، واعتق عامر بن الطفيل أسعد بن زيد الدينارى عن رقبة كانت على أمه .

وبعث (ص) جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة الى البلقاء من أرض الشأم فاصيبوا بمؤتة وقد قدمنا ذكرهم قبل هذا الموضع .

وبعث رسول الله (ص) غالب بن عبد الله الكنانى الى بنى مدلج وهم

(١) - الجبوبة : المدرة .

حلفاؤه وهم الذين قال الله فيهم (إذ جاء وكم حصرت صدورهم) فقالوا لسنا عليك و لسنا معك ولم يجيبوه فقال الناس اغزهم يا رسول الله فقال إن لهم سيداً أديباً إن يأخذ إلا خيرة أموره وإنهم اذا نحروا نجوا ، وإذا لبوا عجوا ، رب غاز من بنى مدلج شهيد فى سبيل الله .

وبعث صلى الله عليه وآله وسلم نميلة بن عبدالله الليثى إلى بنى ضمرة فرجع الى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله قالوا لا نحاربه ولا نسالمه ولا نصدقه ولا نكذبه فقال الناس يا رسول الله اغزهم فقال دعوهم فان فيهم عدداً وسؤدداً ورب شيخ صالح من بنى ضمرة غاز فى سبيل الله .

وبعث (ص) عمرو بن أمية الضمرى إلى بنى الديل فرجع فقال يا رسول الله أدركتهم فلولا . وجئتهم حلولا ، دعوتهم الى الله ورسوله فأبوا أشد الاباء فقال الناس اغزهم يا رسول الله فقال رسول الله (ص) دعوا بنى الديل إيا كم ألا إن سيدهم قد صلى وأسلم فيقول أسلموا فيقولون نعم .

وبعث رسول الله (ص) عبدالله بن سهيل بن عمرو العامرى الى بنى معيص ومحارب بن فهر ومن يليهم من السواحل فى خمس مائة فلقيهم على المديرا فلما واقعهم دعاهم الى الاسلام فجاء معه نفر فقال رسول الله « ص » تهامة قطيعة الايمان كجذع النخل حلو أوله حلو آخره ،

وبعث صلى الله عليه وآله وسلم أبا عبيدة بن الجراح على جيش الى ذات القصة وكان بها قوم من محارب وثعلبة وأنمار فخرج أبو عبيدة وأصحابه يسيرون ليلتهم حتى أصبحوا فلما أبصر القوم بهم هربوا وخلفوا إبلهم فغنموا الأموال وأخذوا رجلا واحداً فأتوا به رسول الله فخمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخذ الخمس وفرق الباقى على أصحاب السرية وأسلم الرجل فتركه ،

وعمر بن الخطاب على جيش الى زبية قريبة من الطائف فلم يلق كيداً .

وعلى بن أبى طالب عليه السلام على جيش إلى فدك وبلغ رسول الله ﷺ

أن بها جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار علي بن أبي طالب عليه السلام الليل وكمن النهار حتى صبحهم فقتلهم .

وأبو العوجاء السلمي على سرية فاستشهد كل من كان في السرية فلم ينصرف منهم أحـــد .

وعكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي ـ أسد بن خزيمة ـ على سرية الى الغمرة .

وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي الى قطن .

ومحمد بن مسلمة الانصاري أخو بني حارثة على جيش الى القرطاء من هوازن.

وبشير بن سعد الأنصاري على سرية إلى فدك فاصيب أصحابه جميعاً ولم يرجع منهم أحد ، ثم بعث اليهم غالب بن عبدالله الملوحي فجاء بمرداس بن نهيك الفدكي .

ومرة أخرى الى فروحان من أرض خيبر .

وعبدالله بن رواحة الأنصاري على سرية الى خيبر مرتين إحداهما الى أصحاب اليسير بن رزام اليهودي وأصحابه وكان يجمع غطفان لغزو رسول الله (ص) .

وعبدالله بن أنيس الأنصاري إلى خالد بن سفيان بن نبيح وكان يجمع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس ليغزوه فقتله .

(ويقال) لم تكن سرية انما كان وحده .

وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على جيش الى بلعنبر فأصابهم وهم خلوف فجاء بسباياهم فطرحهم في المسجد فركب اليه رجالاتهم فلما دخلوا المسجد صاحوا يا محمد اخرج الينا وكان فيهم بسامة بن الاعور وسمرة بن عمرو قال الله عز وجل (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم) فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه وطلبوا اليه أن يحكم سمرة بن جندب وأن يهب لهم ثلثاً ويؤخر ثلثاً ويأخذ ثلثاً فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من أراد أن يعتق من ولد اسماعيل فليعتق من هؤلاء .

وكعب بن عمير الأنصارى على سرية الى ذات أطلاح - ويقال الى ذات أباطح - فاستشهدوا جميعاً ولم يرجع من السرية أحد .

وبعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص على جيش الى ذات السلاسل من أرض الشام وبها ناس من بنى عذرة وبلى وقبائل من اليمن ، وكان معه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وأعطاه مالا وقال استنفر من قدرت عليه فلما شارف القوم نهاهم أن لا يوقدوا ناراً ، فشق ذلك على المسلمين لشدة القر فقال قد أمركم رسول الله (ص) أن تسمعوا لى وتطيعوا فكلموا أبا بكر فى ذلك فاتى عمراً فلم يأذن له فصاح به أبو بكر يابن بياعة العباء اخرج إلى فابى فلما كان فى السحر أغار عليهم فأصاب وظفر فقال لأبى بكر كيف رأيت رأى ابن بياعة العباء ، وصلى عمرو بن العاص بالناس وهو جنب فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره أبو عبيدة بن الجراح فقال عمرو يا رسول الله كان البرد شديداً ولو اغتسلت لمت فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعبدالله بن أبى حدرد الأسلمى على سرية الى اضم فلقى عامر بن الاضبط الأشجعى فحمل عليه محلم بن جثامة بن قيس فطعنه فخاصمه عيينة بن حصن الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بديته فجعل نصفاً وأخر نصفاً فقام اليه محلم ابن قيس فقال يارسول الله استغفر لى قال قتلت مسلماً لعنك الله. فما لبث بعدها إلا خمساً حتى مات .

وعبد الرحمن بن عوف على سرية الى كلب وعممه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعمامة سوداء وأسدل لها بين يديه ومن خلفه وقال هكذا فاعتم فانه اشبه وأعرف وأمره ان فتح الله عليه أن يزوجه ابنة سيدهم ففتح الله عليه فتزوج تماضر بنت الأصبغ التى صولحت عن ربع الثمن بثمانين الف دينار .

وأمر صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب عليه السلام حين خرج

الى تبوك (. . «١» . .) وكان المهاجر ابن أمية أميره على صنعاء ، وزياد بن لبيد البياضى على حضرموت وصدقاتها ، وعدى بن حاتم على صدقات طى ، ومالك ابن نويرة اليربوعى على صدقات حنظلة ، والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات بنى سعد ، وعلى بن أبى طالب عليه السلام الى أهل نجران بجمع صدقاتهم وأخذ جزيتهم وخالد بن الوليد على سرية الى دومة الجندل ، وعتاب بن أسيد ابن أبى أمية على مكة وأبو سفيان بن حرب على نجران ، ويزيد بن أبى سفيان على تيماء ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية على صنعاء فقبض النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو عليها ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية على قرى عربية ، وأبان بن سعيد ابن العاص بن أمية على الخط بالبحرين ، والوليد بن عقبة بن أبى معيط الى بنى المصطلق - وكذب عليهم وقد جئنا بحديثه فى غزاة بنى المصطلق - والعلاء حليف سعيد بن العاص على القطيف بالبحرين ، ومعيقب بن أبى فاطمة الدوسى على الغنائم ، وأبو رهم الغفارى أميره على المدينة حين غزا خيبر (ويقال) أبو رهم كلثوم بن الحصين الغفارى وأبو رهم الغفارى أيضاً على المدينة فى غزاة الفتح وأميره على الموسم والناس بعد على الشرك ، عتاب بن أسيد فوقف عتاب بالمسلمين ووقف المشركون على حدتهم ، وأبو بكر أميره على الموسم فى سنة تسع وبعض الناس مشركون فوقف أبو بكر بالمسلمين ووقف المشركون ناحية على

---

(١) بياض فى الأصل ، وقد ذكر ابن الأثير فى الكامل (ج ٢ ص ١٠٦) (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - حين خرج الى تبوك - استخلف على أهله بالمدينة على بن أبى طالب «ع» فارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه إلا استثقالا له فلما سمع على ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله (ص) فاخبره ما قال المنافقون فقال صلى الله عليه وآله وسلم كذبوا وانما خلفتك لما ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى فرجع) وذكر مثله ابن عساكر فى التاريخ (ج ١ ص ١٠٧) (م . ص)

مواقفهم . وفى تلك السنة وجه على بن أبى طالب عليه السلام بسورة براءة فأخذها من أبى بكر ، فقال أبو بكر يا رسول الله هل نزل فىَّ شيء ؟ فقال لا ، ولكن جبريل قال لى : لا يبلغ هذا إلا أنت أو رجل من أهلك فقرأها على أهل مكة .

(ويقال) قرأها على سقاية زمزم وأمن فنادى إن من كان له عهد من رسول الله فى تأجيله أربعة أشهر فهو على عهده ومن لم يكن له عنده عهده فقد أجله خمسين ليلة .

وأميره على صلاة وفد ثقيف عثمان بن أبى العاص الثقفى ، ومعاذ بن جبل على بعض اليمن ، وعلى المقاسم يوم بدر محمية بن جزء بن عبد يغوث الزبيدى حليف بنى جمح ، وأسامة بن زيد مولى رسول الله ﷺ على جيش الى ناحية الشأم فانفذه أبو بكر بعد وفاة رسول الله (ص) وكان أبو بكر وعمر فى الجيش وكان رسول الله (ص) اذا بعث السرايا والجيوش قال اغزوا بسم الله فى سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً .

ووجه رسول الله (ص) الى الملوك يدعوهم الى الإسلام فوجه عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى وكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله الى الناس كافة (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) فاسلم تسلم فإن أبيت فإن عليك آثام المجوس .

وكتب اليه كسرى كتاباً جعله بين سرقتى حرير وجعل فيهما مسكاً فلما دفعه الرسول الى النبى فتحه فأخذ قبضة من المسك فشمه وناوله أصحابه وقال لا حاجة لنا فى هذا الحرير ليس من لباسنا وقال : لتدخلن فى امرى أو لآتينك بنفسى ومن معى وأمر الله أسرع من ذلك فأما كتابك فانا أعلم به منك فيه كذا وكذا ، ولم يفتحه ولم يقرأه ورجع الرسول الى كسرى فاخبره .

(وقد قيل) ان كسرى لما وصل اليه الكتاب وكان (. . . . .) ذراع أدم قدّه شتورا فقال رسول الله (ص) يمزق الله ملكهم كل ممزق .

ووجه دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر وكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من أتبع الهدى أما بعد : فإنى أدعوك بداعية الإسلام فاسلم تسلم ويؤتك الله أجرك مرتين (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنامسلمون) فإن توليت فان عليك إثم الأريسيين .

فكتب هرقل : (الى أحمد رسول الله الذى بشر به عيسى من قيصر ملك الروم أنه جاءنى كتابك مع رسولك وإنى أشهد أنك رسولك الله نجدك عندنا فى الانجيل بشرنا بك عيسى بن مريم وإنى دعوت الروم الى أن يؤمنوا بك فابوا ولو أطاعونى لكان خيراً لهم ولوددت أنى عندك فاخدمك وأغسل قدميك) فقال رسول الله (ص) يبقى ملكهم ما بقى كتابى عندهم .

ووجه عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ، وشجاع بن وهب الى الحارث ابن أبى شمر الغسانى ، وحاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية وجرير بن عبد الله البجلى الى ذو الكلاع الحميرى ، والعلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى من بنى تميم بالبحرين ، وعمار بن ياسر الى الأيهم بن النعمان الغسانى وسليط بن عمرو بن عبد شمس العامرى الى ابنى هوذة بن على الحنفى باليمامة والمهاجر بن أبى أمية الى الحارث بن عبد كلال الحميرى ، وخالد بن الوليد الى الديان وبنى قنان ، وعمرو بن العاص الى جيفر ، وعباد بن الجلندى الى عمان وكتب اليهم جميعاً بمثل ما كتب به الى كسرى وقيصر وسليم بن عمرو الأنصارى الى حضرموت ، وبعث قوماً من أصحابه فى قتل قوم من المشركين ، فوجه عمرو بن أمية الضمرى لقتل أبى سفيان بن حرب فلم يقتله ، وبعث محمد بن مسلمة وأبا

نائلة سلكان بن سلامة وعباد بن بشر وأباعبس بن جبر والحارث بن أوس فى قتل كعب بن الأشرف اليهودى فقتلوه فى النضير ، وبعث عبد الله بن رواحة الى اليسير بن رزام اليهودى الخيبرى فقتله ، وبعث عبدالله بن عتيك وأبا قتادة ابن ربعى وخزاعى بن الأسود ومسعود بن سنان وابن عتيك أميرهم ، فى قتل سلام بن أبى الحقيق فقتلوه بخيبر ، وبعث فى قتل ابن ابى جذعة وقال للموجه إن أصبته حياً فاقتله وأحرقه بالنار فأصابه(و)قد لسعته حية فمات . وبعث عبدالله ابن أبى حدرد فى قتل رفاعة بن قيس الجشمى فقتله ، وبعث على بن أبى طالب عليه السلام فى قتل معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية فقتله .

وفود العرب الذين قدموا على رسول الله ﷺ

وقدمت عليه وفود العرب ولكل قبيلة رئيس يتقدمهم فقدمت مزينة ورئيسهم خزاعى بن عبدنهم ، وأشجع ورئيسهم عبدالله بن مالك ، وأسلم ورئيسهم بريدة وسليم ورئيسهم وقاص بن قمامة ، وبنو ليث ورئيسهم الصعب بن جثامة وفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن ، وبنو بكر ورئيسهم عدى بن شرحبيل وطىء ورئيسهم عدى بن حاتم ، وبجيلة ورئيسهم قيس بن غربة ، والأزد ورئيسهم صرد بن عبدالله وخثعم ورئيسهم عميس بن عمرو ، ووفد نفر من طىء ورئيسهم زيد بن مهلهل وهو زيد الخيل ، وبنو شيبان ...... وعبد القيس ورئيسهم الأشج العصرى ثم وفد الجارود بن المعلى فولاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قومه . وأوفدت ملوك حمير باسلامهم وفوداً وهم الحارث بن عبدكلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذى رعين ، وكتبوا اليه باسلامهم فبعث اليهم معاذ بن جبل وعكل ورئيسها خزيمة بن عاصم ، وجذام ورئيسها فروة بن عمرو وحضرموت ورئيسها وائل بن حجر الحضرمى ، والضباب ورئيسها ذو الجوشن وبنو أسد ورئيسها ضرار بن الأزور .

(وقيل) نقادة بن العايف . وعامر بن الطفيل فى بنى عامر فرجع ولم يسلم وأربد بن قيس رجع ولم يسلم ، وبنو الحارث بن كعب رئيسهم يزيد بن عبد المدان وبنو تميم وعليهم عطارد بن حاجب ، والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ومالك ابن نويرة ، وبنو نهد وعليهم ابو ليلى خالد بن الصعب ، وكنانة ورئيسهم قطن وأنس ابنا حارثة من بنى عليم . وهمدان ورئيسهم مسلمة بن هزان الهمدانى ، وباهلة ورئيسهم مطرف بن كاهن الباهلى ، وبنو حنيفة ومعهم مسيلمة بن حبيب الحنفى ، ومراد ورئيسهم فروة بن مسيك، ومهرة ورئيسهم مهرى بن الابيض .

كتاب النبي ﷺ

وكتب صلى الله عليه وآله وسلم الى رؤساء القبائل يدعوهم الى الاسلام وكان كتابه الذين يكتبون الوحى والكتب والعهود على بن أبى طالب وعثمان ابن عفان وعمرو بن العاص بن أمية ومعاوية بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة وعبدالله بن سعد بن أبى سرح والمغيرة بن شعبة ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وحنظلة بن الربيع وأبى بن كعب وجهيم بن الصلت والحصين النميرى .

وكتب صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل اليمن بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله إلى أهل اليمن ، فانى أحمد الله اليكم الذى لا إله إلا هو وقع بنا رسولكم مقدمنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغنا ما أرسلتم به وأخبرنا ما كان قبلكم ونبأنا باسلامكم وأن الله قد هداكم أن اصلحتم واطعتم الله واطعتم رسوله وأقتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي والصفى ، وما على المؤمنين من الصدقة عشر ما سقى البعل وسقت السماء وما سقى بالقرب نصف العشر وإن فى الابل من الاربعين حقة قد استحقت الرحل وهى جذعة ، وفى الخمس والعشرين بن مخاض ، وفى كل ثلاثين من الابل ابن لبون ، وفى كل عشرين من الابل أربع شياه ، وفى كل أربعين من البقرة

بقرة وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ذكر او جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم شاة فانها فريضة الله الذى افترض على المؤمنين . فمن زاد خيراً فهو خير له ، فمن أعطى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على الكافرين فانه من المؤمنين له ذمة الله وذمة رسوله محمد رسول الله ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فانه من المؤمنين له مثل مالهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فانه لا يغير عنها وعليه الجزية فى كل حالم من ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف من قيمة المعافرى أو عرضه فمن أدى ذلك الى رسول الله فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين وأن رسول الله مولى غنيكم وفقيركم وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا أهله انما هى زكاة تؤدونها الى فقراء المؤمنين فى سبيل الله وأن مالك بن مرارة قد أبلغ الخبر وحفظ الغيب فآمركم به خيراً ، إنى قد أرسلت اليكم من صالحى أهلى وأولى كتابهم وأولى علمهم فآمركم به خيراً . فانه منظور اليه والسلام ، وكان الرسول بالكتاب معاذ بن جبل .

وكتب الى همدان بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله الى عمير ذى مران ومن أسلم من همدان سلم فانى أحمد الله اليكم الذى لا إله إلا هو أما بعد ذلك فانه بلغنى إسلامكم مرجعنا من أرض الروم فابشروا فان الله قد هداكم بهداه وانكم اذا شهدتم أن لا اله الا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فان لكم ذمة الله وذمة رسوله على دمائكم وأموالكم وأرض البور التى أسلمتم عليها سهلها وجبلها وعيونها وفروعها غير مظلومين ولا مضيق عليكم . وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته انما هى زكاة تزكونها عن اموالكم لفقراء المسلمين ، وان مالك بن مرارة الرهاوى قد حفظ الغيب وبلغ الخبر فآمركم به خيراً فانه منظور اليه وكتب على بن ابى طالب .

وكتب الى نجران بسم الله من محمد رسول الله الى اسقفة نجران بسم الله

فانى أحمد اليكم إله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب أما بعد : ذلكم فانى ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد فان ابيتم فالجزية وان ابيتم آذنتكم بحرب والسلام .

وكتب الى أهل هجر (بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله الى أهل هجر سلم أنتم فانى أحمد الله اليكم الذى لا اله الا هو أما بعد فانى أوصيكم بالله وأنفسكم أن لا تضلوا بعد اذ هديتم ولا تغووا بعد اذ رشدتم أما بعد ذلكم فانه قد جاءنى وفدكم فلم آت فيهم الا ما سرّهم وانى لو جهدت حقى كله فيكم أخرجتكم من هجر فشفعت شاهدكم ومننت على غائبكم ، اذكروا نعمة الله عليكم أما بعد فانه قد أتانى ما صنعتم وأن من يحمل منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء فاذا جاءكم امراؤكم فاطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفى سبيله فانه من يعمل منكم عملا صالحاً فلن يضل له عندالله ولا عندى أما بعد يا منذر بن ساوى فقد حمدك لى رسولى وأنا ان شاء الله مثيبك على عملك) .

وقدم اليه أهل نجران ورئيسهم ابو حارثة الأسقف ومعه العاقب والسيد وعبد المسيح وكوز وقيس والأيهم . فوردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما دخلوا أظهروا الديباج والصلب ودخلوا بهيئة لم يدخل بها أحد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعوهم فلقوا رسول الله فدارسوه يومهم وساءلوه ما شاء الله فقال ابو حارثة يا محمد ما تقول فى المسيح ؟ قال هو عبد الله ورسوله ، فقال تعالى الله عما قلت يا أبا القاسم هو كذا وكذا ونزل فيهم (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الى قوله (فمن حآجك فيه من بعد ماجآءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنآءنا وأبنآءكم ونسآءنا ونسآءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فرضوا بالمباهلة فلما أصبحوا قال ابو حارثة أنظروا من جاء معه وغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخذا بيد الحسن والحسين عليهما السلام تتبعه فاطمة وعلى بن أبى طالب (ع)

بين يديه وغدا العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدر والحلى وقد حفوا بابى حارثة فقال أبو حارثة من هؤلاء معه ؟ قالوا هذا ابن عمه وهذه ابنته وهذان ابناها فجثا رسول الله (ص) على ركبتيه ثم ركع فقال أبو حارثة جثا والله كما تجثو النبيون للمباهلة ، فقال له السيد أدن يا أبا حارثة للمباهلة فقال إنى أرى رجلا حريا على المباهلة وإنى أخاف أن يكون صادقاً فان كان صادقاً لم يحل الحول وفى الدنيا نصرانى يطعم الطعام . قال أبو حارثة يا أبا القاسم لا نباهلك ولكنا نعطيك الجزية فصالحهم رسول الله على الفى حلة من حلل الأواقى قيمة كل حلة أربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك ، وكتب لهم رسول الله كتاباً (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من النبى محمد رسول الله لنجران وحاشيتها إذ كان له عليهم حكمه فى كل بيضاء وصفراء وثمرة ورقيق كان أفضل ذلك كله لهم غير الفى حلة من حلل الاواقى قيمة كل حلة أربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى هـــذا الحساب ، الف فى صفر والف فى رجب ، وعليهم ثلاثون ديناراً مثواه رسلى شهراً فما فوق ، وعليهم فى كل حرب كانت باليمن دروع عارية مضمونة لهم بذلك جوار الله وذمة محمد ، فمن أكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتى منه بريئة) فقال العاقب يارسول الله إنانخاف أن تأخذنا بجناية غيرنا قال فكتب ، ولا يؤخذ أحد بجناية غيره ، شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، وكتب على بن أبى طالب ، فلما قدموا نجران أسلم الأيهم وأقبل مسلماً .

أزواج رسول الله ﷺ

وتزوج إحدى وعشرين إمرأة (وقيل) ثلاثاً وعشرين ، دخل ببعضهن وطلق بعضاً ولم يدخل ببعض ، واللاتى دخل بهن أولهن « خديجة » ابنة خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصى ، وولدت أولاده أجمعين خلا ابراهيم ولم يتزوج عليها حتى ماتت .

ثم « سودة » بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لوى ؛ تزوجها بمكة .

ثم « عائشة » بنت أبى بكر بن أبى قحافة ، تزوجها ودخل بها بالمدينة .

ثم « غزية » بنت دودان بن عوف بن جابر بن ضباب من بنى عامر بن لوى وهى أم شريك التى وهبت نفسها للنبى (ص) .

ثم (حفصة) بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوى .

ثم (زينب) بنت خزيمة بن الحارث من بنى عامر بن صعصعة ؛ وهى أم المساكين ولم تمت من نسائه عنده غيرها وغير خديجة .

ثم (أم حبيبة) بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

ثم (زينب) بنت جحش بن رئاب بن قيس بن يعمر بن صبرة من بنى أسد بن خزيمة .

ثم (أم سلمة) بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

ثم (جويرية) واسمها « برّة » بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية من خزاعة .

ثم (صفية) بنت حيى بن اخطب من بنى النجار من سبط هارون النبى .

ثم (ميمونة) بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالى .

ثم (مارية) أم ابراهيم .

هؤلاء اللاتى دخل بهن طلق منهن أم شريك وأرجأ منهن سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة ، وآوى عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة .

والنسوة اللاتى لم يدخل بهن « خولة » بنت الهذيل بن هبيرة الثعلبية هلكت فى الطريق قبل وصولها اليه « وشراف » أخت دحية بن خليفة الكلبى حملت اليه فهلكت قبل دخولها عليه « وسنا » بنت الصلت بن حبيب بن حارثة السلمى ماتت قبل أن تصل اليه « وريحانة » بنت شمعون القريظية ، عرض عليها

النبي ﷺ الإسلام فأبت إلا اليهودية فعزلها ثم أسلمت بعد فعرض عليها التزويج فاجابت وضرب الحجاب فقالت بل تتركني في ملكك يا رسول الله فلم تزل في ملكه حتى قبض « وأسماء » بنت النعمان الكندي من بني آكل المرار كانت من أجمل نسائه وأتمهن فقلن لها نساؤه إن أردت أن تحظى عنده فتعوذي بالله إذا دخلت عليه ، فلما دخل وأرخى الستر قالت أعوذ بالله منك فصرف وجهه عنها ثم قال أمن عائذ الله الحق باهلك ، فخلف على أسماء بنت النعمان الكندي المهاجر بن أمية المخزومي ، ثم خلف عليها بعد المهاجر قيس بن مكشوح المرادي « وقتيلة » بنت قيس بن معدي كرب ، وهي أخت الأشعث بن قيس بن فلان (١) قبض رسول الله (ص) قبل خروجها اليه من اليمن فخلف عليها عكرمة بن أبي جهل « وعمرة » بنت يزيد بن عبيد بن رواس الكلابي ، بلغه أن بها بياضاً فطلقها ولم يدخل بها « والعالية » بنت ظبيان بن عمرو الكلابي طلقها « والجونية » امرأة من كندة وليست بأسماء كان أبو أسيد الساعدي قدم بها عليه فوليت عائشة وحفصة مشطها وإصلاح أمرها فقالت إحداهما لها إن رسول الله يعجبه من المرأة اذا دخل عليها ومد يده اليها أن قالت أعوذ بالله منك ففعلت ذلك فوضع يده على وجهه واستتر بها وقال عذت فماذت (٢) ثلاث مرات ثم خرج وأمر أبا أسيد الساعدي أن يمتعها برازقيتين ويلحقها باهلها ، فزعموا انها ماتت كمداً « وليلى » بنت الحطيم الأوسي أتته وهو غافل فخطأت منكبه فقال من هذا أكله الأسود قالت أنا بنت الحطيم وأبي مطعم الطير وقد جئتك اعرض نفسي عليك قال قد قبلتك فاتت نساءها فقلن لها بئس ما صنعت أنت امرأة غيور ورسول الله كثير الضرائر إنا نخاف أن تغاري فيدعو عليك فتهلكي إستقيليه فاتته

---

(١) ـ فلان ـ هو معدي كرب .

(٢) ـ كذا في الأصل ، ولعل الصحيح (عذت بمعاذ) كما في نهاية ابن الأثير وغيرها . (م . ص)

فاستقالته فاقالها فدخلت حائطاً من حيطان المدينة فا كلها الأسود (وصفية) بنت بشامة العنبرية ، عرض عليها المقام عنده أوردها الى أهلها فاختارت أهلها فردها (وضباعة) بنت عامر القيسية كانت عند عبد الله بن جدعان فطلقها ثم تزوجها هشام بن المغيرة فاولدها سلمة فخطبها رسول الله (ص) الى سلمة فقال استأمرها فقالت أفى رسول الله قد رضيت فبلغه عنها كبر فأمسك عنها .

مولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ

وولد ابراهيم ابن رسول الله (ص) وأمه مارية القبطية فى ذى الحجة سنة ثمان ولما ولد هبط جبريل الى رسول الله (ص) فقال السلام عليك يا أبا ابراهيم وتنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه فدفعه رسول الله (ص) الى أم بردة بنت المنذر بن زيد من بنى النجار . وعق عنه رسول الله (ص) بكبش ، وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله امرأة أبى رافع فجاء أبو رافع الى رسول الله فاخبره فوهب له عبداً وغارت نساء رسول الله واشتد عليهن حيث رزق منها ولداً .

(فروى) الزهرى : عن عروة عن عائشة قالت : دخل على رسول الله ومعه ابنه ابراهيم يحمله فقال : انظرى الى شبهه بى ، قالت عائشة : أرى شبهها قال : أما ترين بياضه ولحمه ، قالت من قصر عليه اللقاح أبيض وسمن .

(وتوفى) ابراهيم فى سنة عشر وله سنة وعشرة أشهر ، وكسفت الشمس ساعتين من النهار ، فقال الناس كسفت لموت ابراهيم ، فقال رسول الله ﷺ إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم فافزعوا الى مساجدكم ، وقال ﷺ : إن العين تدمع والقلب يخشع وإنا بك يا ابراهيم لمحزونون ولكنا لا نقول ما يسخط الرب .

واعتق ﷺ جماعة عبيداً واماء منهم : زيد بن حارثة بن شراحيل وأسامة بن زيد ، وأبو رافع - قبطى أهداه له المقوقس - وأنسة وكان حبشياً وأبو كبشة وكان فارسياً ، وأبو لبابة ، وأبو اقيط ، وأبو أيمن ، وأبو هند ورافع ، وسفينة ، وثوبان ، وصالح (وهو شقران) وأم أيمن حبشية كان أبو طالب خلفها عليه واسمها « بركة » ويقال « خضرة » ويقال إنه ورثها عن أبيه وكان يسمى كل شيء له .

وكانت رايته ﷺ : العقاب ، وكانت سوداء على عمل الطيلسان ، وكان له سيف يقال له : المخذم ، وسيف يقال له الرسوب ، وسيفه الذى يلزمه ذو الفقار. (وقد روى) أن جبريل نزل به من السماء فكان طوله سبعة أشبار وعرضه شبر وفى وسطه كال (١) .

وكانت عليه (ص) قبيعة فضة وفيه حلقتان فضة ورمحه المثوى (٢) وحربته العنزة وكان يمشى بها فى الأعياد بين يديه ويقول هكذا أخلاق السنن ، وقوسه الكتوم ، وكنانته الكافور ، ونبله المتصلة . وترسه الزلوق . ومغفره السبوغ ودرعه ذات الفضول وفيها زردتان زائدتان ، وفرسه السكب ، وفرس آخر المرتجز وفرس آخر السجل ، وفرس آخر البحر .

وأجرى (ص) الخيل فجاء فرسه سابقاً فجثا على ركبتيه وقال ما هو إلا البحر وكان يقول (الخيل فى نواصيها الخير) وكانت له ناقة يقال لها القصوى ، وناقة يقال لهـا العضباء . وناقة يقال لها الجدعاء .

وسابق صلى الله عليه وآله وسلم بالابل فجاءت ناقته العضباء سابقة وعليها

(١) كذا فى الأصل ، ولعل الصحيح (فقار) وفى النهاية لابن الأثير : بمادة (فقر) إنه كان اسم سيف النبى (ص) ذا الفقار ، لأنه كان فيه حفر صغار .

(٢) فى الحديث ، إن رمح النبى (ص) كان اسمه المثوى - بصيغة اسم الفاعل - سمي به لأنه يثبت المطعون به من الثوى الاقامة (نهاية ابن الأثير)

أسامة بن زيد فقال الناس سبق رسول الله . فقال رسول الله (ص) سبق أسامة.

وكانت بغلته الشهباء يقال لها (الدلدل) أهداها له المقوقس . وبغلة أخرى طويلة مرتفعة يقال لها « الإيلية » وحماره اليعفور .

وكانت له شاة يشرب من لبنها يقال لها « غيثة » وقدح يقال له « الريان» وقدح يقال له العير ، وقضيب يقال له الممشوق ، وجبة يقال لها الكن ، وعمامة سوداء يقال لها السحاب .

(وذكر ابو البختري) أنه كان له منطقة من أديم مبشورة فيها إبزيم وثلاث حلقات كالفلك من فضة فانه كان يلبس برود الحبر أزراً أو أردية البيضاء ، والقلنسوة الحبر ، والجبة السندس الخضراء ، وليس بالذي عنّ عن لبسها فما لبس الصوف حتى قبضه الله اليه .

وكان له فراش أدم ، وكان يلبس الملحفة المصبوغة بالزعفران والورس ويلبس الازار الواحد يعقده بين كتفيه .

وكان ﷺ يتطيب حتى يصبغ الطيب رداءه من موضع رأسه وحتى يرى وميض المسك من مفرقه ، وحتى يعرف مجيئه بطيب رائحته من بعيد قبل ان يرى ، وكان يقول أطيب الطيب المسك ، وكان لا يعرض عليه طيب الا تطيب منه .

وكان ﷺ إذا أراد الخروج من منزله امتشط وسوى جمته وأصلح شعره وكان يقول إن الله يحب من عبده أن يكون له حسن الهيئة (ويروى) أنه كان يلبس البرنس والشملة . وكان له ثوبان ، وكان يلبس الخاتم ويصير فضة فصهما يلي الكف ويلبسه في اليد اليمنى واليد اليسرى ويضعه في إصبعه الوسطى في المفصل ويديره في أصابع يده .

خطب رسول الله ﷺ ومواعظه

وتأديبه بالأخلاق الشريفة

وكان يخطب أصحابه ويعضهم ويعلمهم محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال .

(خطب) ﷺ فقال فى خطبته : أيها الناس ، إن لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم . وإن المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى ولا يدرى ما الله صانع فيه وأجل قد بقى ما يدرى ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه . ومن دنياه لآخرته فى الشبيبة قبل الكبر . وفى الحياة قبل الممات . فوالدى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .

(وخطب) يوماً فقال فى خطبته : إن الله ليس بينه وبين أحد قرابة يعطيه بها خيراً ولا حق يصرف به سوء إلا بطاعته واتباع مرضاته واجتناب سخطه إن الله تبارك وتعالى على إرادته ولو كره الخلق ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان * واتقوا الله إن الله شديد العقاب) .

(وخطب) رسول الله (ص) فقال فى خطبته : طوبى لعبد طاب كسبه وحسنت خليقته . وصلحت سريرته وأنفق الفضل من ماله وترك الفضول من قوله . وكف عن الناس شره . وأنصفهم من نفسه . إنه من عرف الله خاف الله . ومن خاف الله شحت نفسه عن الدنيا .

(وخطب ﷺ) يوماً فقال فى خطبته : اذكروا الموت فانه آخذ بنواصيكم إن فررتم منه أدرككم وان أقمتم أخذكم (. . . .) لا خير بعده ابداً . وفرقة لا الفة بعدها . وان العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه

وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله مما اكتسبه . وفيما انفقه . وعن امامه من هو قال الله عز وجل (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) الى آخر الآية .

« وقال (ص) » من نظر فى دينه الى من هو فوقه فاقتدى به . ونظر فى دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به . كتبه الله شاكراً وصابراً . ومن نظر فى دينه الى من هو دونه . ونظر فى دنياه الى من هو فوقه . فأسف على ما فضله الله لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً .

(وقال «ص») من أعطى قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وبدناً صابرا وزوجة صالحة فقد أعطى الدنيا والآخرة .

(وقال ﷺ) الرغبة فى الدنيا تورث الهم والحزن . والزهد فيها يريح القلب والبدن .

(وقال ﷺ) السعادة فى اثنتين : الطاعة والتقوى .

(وقال ﷺ) يقول الله عز وجل : حسب عبدى المؤمن حقيقة ايمانه فى ضميره وصدق ورع نيته حتى أجعل نومه عملا وصمته ذكراً .

(وقال ﷺ) من أتى الناس بما يحبون وبارز الله بما يكره لقى الله وهو عليه غضبان آسف .

(وقال) ﷺ إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره ثلاثاً ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه أمركم ويكره لكم قالا وقيلا ويكره السؤال وإضاعة المال .

(وقال) ﷺ يقول : ابن آدم مالى مالى وإن مالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت .

(وقال ﷺ) الدنيا حلوة خضرة والله مستعملكم فيها ، فانظروا كيف تعملون .

(وقال ﷺ) : إن أحبكم الى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحسنكم

أخلاقاً الموطؤن اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون (١) .

وقال له رجل أوصنى يا رسول الله ، فقال ، ﷺ : اكثر ذكرت الموت يسلك عن الدنيا ، وعليك بالشكر تزاد فى النعمة ، واكثر الدعاء فانك لا تدرى متى يستجاب لك . وإياك والبغى فان الله عز وجل قضى أن لا ينصر من بغى عليه ، وإياك والمكر فان الله قضى أن لا يحيق المكر السيء الا بأهله .

(وقيل) له أى الأعمال أفضل ؟ (فقال) (ص) : اجتناب المحارم وأن لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل . (قيل) فأى الأصحاب أفضل ؟ (قال ﷺ) الذى اذا نسيت ذكرك ، واذا دعوت أعانك .

(قيل) أى الناس شر ؟ قال : العلماء اذا فسدوا (وقال) اذا ساد القبيل فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم واكرم الرجل الذى اتقى شره فانتظروا البلاء .

(وقال «ص») من ذب عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقيقاً على الله أن يحرم لحمه على النار .

(وقال «ص») يقول الله تبارك وتعالى : يابن آدم بمشيئتى كنت أنت تشاء لنفسك ماتشاء ، وبارادتى كنت تريد لنفسك ما تريد . وبقوتى أديت فريضتى وبنعمتى قويت على معصيتى ، فأنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك منى بذلك ، وانى لا أسأل عما أفعل وهم يسألون .

(وقال) ﷺ ان الله فرض على الأغنياء ما يكفى الفقراء فان جاع الفقراء كان حقيقاً على الله أن يحاسب أغنياءهم ويكبهم فى نار جهنم على وجوههم .

(وقال «ص») يقول الله عز وجل انى لم أغن الغنى لكرامة به علىَّ ولكنه مما ابتليت به الأغنياء ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة .

(١) ـ المتفيهقون هم الذين يتوسعون فى الكلام ويفتحون به افواههم ، مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء والاتساع . (نهاية ابن الاثير)

(وقال) ﷺ أربع من أتى الله عز وجل بواحدة منهن وجبت له الجنة من سقى هامة صادية ، أو أطعم كبدا جائعة ، أو كسا جلدة عارية ، أو أعتق رقبة عانيـــة .

(وقال «ص») كل عين ساهرة يوم القيامة الا ثلاث عيون عين سهرت فى سبيل الله وعين غضت عن محارم الله ، وعين فاضت من خشية الله .

(وقال «ص») يقول الله عز وجل عبدى اذا صليت ما افترضت عليك فانت أعبد الناس واذا قنعت بما رزقتك فأنت أغنى الناس .

وجمع صلى الله عليه وآله وسلم بنى عبد المطلب فقال : يابنى عبد المطلب أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وتهجدوا والناس نيام ، وأطعموا الطعام ؛ وأطيبوا الكلام ؛ تدخلوا الجنة بسلام .

(وقال) ﷺ أربعة من كنوز البر : كتمان الحـــاجة وكتمان الصدقة وكتمان الوجع ؛ وكتمان المصيبة .

« وقال (ص) » أقربكم منى غـــدا فى الموقف أصدقكم فى الحديث وآداكم للأمانة وأوفاكم بالعهد وأحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس .

(وقال) الابقاء على العمل أشد من العمل ان الرجل ليعمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يحدث به أو يظهره فيسبح فى العلانية فيكتب فى الرياء .

(وقال) ان علامة النفاق جمود العبرة وقساوة القلب والاصرار على الذنب والحرص على الدنيا .

(وقال) السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ؛ والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار .

(وقال) العبد اذا استوت سريرته وعلانيته قال الله عز وجل عبدى حقاً .

(وقال) المؤمن من خلط حلمه بعلمه ينطق ليفهم ويجلس ليعلم ويصمت

ليسلم ويحدث أمانته الأصدقاء ويكتم شهادته الأعداء ولا يعمل شيئاً من الحق رياءً ولا يتركه حياءً حتى اذا زكى خاف ما يقولون فاستغفر مما لا يعلمون والمنافق لا يغيره قول من ينهى ولا ينتهى ويأمر بما لا يأتى اذا قام الى الصلاة (. . . . . .) واذا ركع ربض واذا سجد نقر واذا جلس سمد ، يمسى وهمه الطعام وهو مفطر ، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر ، ان حدثك كذبك ، وان وعدك أخلفك ، وان ائتمنته خانك ، وان خالفك اغتابك .

(وقال) من أجهد نفسه لدنياه ضر بآخرته ، ومن اجتهد لآخرته كفاه الله ما أهمه .

(وقال) من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه .

(وقال) إياكم وجدال المفتتنين فان كل مفتتن ملقن حجته الى انقضاء مدته فاذا انقضت أحرقته فتنته بالنار .

(وقال) سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر ، وا كل لحمه معصية لله عز وجل وحرمة ماله كحرمة دمه .

(وقال) الحياء من الإيمان والايمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار . والله عز وجل يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف . وان الله يبغض البذى السائل الملحف . ان أسرع الخير ثواباً البر . وأسرع الشر عقوبة البغى .

(وقال) ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال « المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العيب . ومن كف عن أعراض الناس أقاله الله نفسه . ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذابه يوم القيامة .

(وقال) بئس العبد عبداً ذا وجهين وذا لسانين يطرى أخاه فى وجهه ويأ كله غائباً عنه ان أعطى حسده . وان ابتلى خذله .

(وقال) ان الله حرم الجنة على المنان والنمام ومدمن الخمرة .

(وقال) ﷺ لعلى بن أبى طالب عليه السلام عليك بالصدق فلا تخرجن من

فيك كـذبة أبداً . والورع فلا تجترىء على خيانة ابداً . والخوف من الله كأنك تراه . والبكاء من خشية الله يبن لك بكل دمعة بيتاً فى الجنة . والأخذ بسنتى (١) .

(وقال) السعيد من سعد فى بطن أمــــه ، والشقى من وعظ به غيره وأ كيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور ، وشر الرواية الكذب ، وشر الامور محدثاتها وشر العماء عماء القلب . وشر الندامة يوم القيامة . وأعظم الخطاء عند الله لسان كـذاب وشر المآكل أ كل مال اليتيم ظلماً . وأحسن زينة الرجل هدى حسن مع ايمان وأملك أمر يديه (٢) قوله وخواتمه . من يتبع السمعة يسمع الله به . ومن ينوى الدنيا تعجز عنه . ومن يعرف الله يصير اليه . ولا تسخطوا الله برضا أحدولا تنفروا الى أحد من الخلق بما يباعد من الله .

(وقال) ولا تستصغروا قليل الحسنات فانه لا تصغر ماينفع يوم القيامة وخافوا الله فى السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف . وسارعوا الى طاعة الله وأصدقوا الحديث . وأدوا الأمانة . فانما ذلك لكم . ولا تظلموا . ولا تدخلوا فيما لا يحل لكم فانما ذلك عليكم .

(وقال) إذا كثر الربا كثر موت الفجأة . واذا طفف المكيال أخذهم الله بالسنين والنقص واذا منعوا الزكاة منعت الأرض من زكاتها . واذا جاروا فى الأحكام وتعاونوا وخانوا العهود سلط عليهم عدوهم . واذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فى أيدى الأشرار . واذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويتبعوا الأخيار سلط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم .

(وقال) أصل المرء قلبه وحسبه خلقه وكرمه تقواه . والناس فى آدم شرع سواء .

---

(١) ـ وهكذا كان خلق على عليه السلام .

(٢) ـ كـذا فى الأصل ، ولعل الصحيح (بوادىء قوله) « م . ص »

(وقال) إن الله خص أولياءه بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم فان كانت فيكم فاحمدوا الله وإلا فارغبوا اليه .

« قيل له » وما هى ؟ « قال » اليقين والقنوع والصبر والشكر والعقل والمروة والحلم والسخاء والشجاعة .

« وقال » ثلاث لا يموت صاحبهن حتى يرى ما يكره : البغى وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وان أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم . وان القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون فتنموا أموالهم ويثرون ؛ وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تترك الديار بلاقع ، وتقطع السبل (١) ومن صدق لسانه زكا عمله ؛ ومن حسنت نيته زاد الله فى رزقه ؛ ومن حسن بره بأهل بيته زاد الله فى عمره .

« وقال » ثلاث لم يجعل الله لأحد فيها رخصة بر الوالدين برين كانا أو فاجرين ، ووفاء العهد للبر والفاجر وأداء الأمانة الى البر والفاجر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره وليكرم ضيفه ، وليقل خيراً أو ليشكر .

« وقال » المؤمن أخو المؤمن لا يخذله ولا يحزنه ولا يغتابه ولا يحسده ولا يبغى عليه فان إبليس يقول لجنوده القوا بينهم البغى والحسد فانه يعدل عند الله الشرك .

« وقال » من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فاياكم وما تعتذرون منه فان المؤمن لا يسىء ويعتذر وان المنافق يسىء كل يوم ولا يعتذر ؛ وللغيبة أسرع فى دين المسلم من الأكلة فى جوفه ، إن أهل الأرض مرحومون ماتحابوا وأدوا الأمانة وعملوا بالحق .

« وقال » يقول الله عز وجل ابن آدم أنا الحى لا أموت فأطعنى أجعلك حياً لا تموت وأنا على كل شىء قدير ، ابن آدم صل رحمك أفكّ عنك عسرك وأيسرك ليسرك .

---

(١) ـ كذا فى الأصل ولعل الصحيح « وتقطع النسل » (م . ص)

« وقال » من أصبح وهو على الدنيا حزين أصبح على الله ساخطاً ، ومن شكا مصيبة نزلت به فانما يشكو ربه ، ومن أتى ذا ميسرة فخشع له لينال من دنياه ذهب ثلثا دينه ، ومن تمنى شيئاً هو لله رضى لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه .

« وقال » يقول الله عز وجل ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ولا أكلك فى طلب معاشك الى طلبك وعليّ أن أسد فاقتك وأملأ قلبك خوفاً منى وإن لا تفرغ لعبادتى أملأه شغلا بالدنيا ثم أسدها عنك وأكلك الى طلبك .

« وقال » لاتصلح الصنيعة إلا عند ذى حسب أو دين فمن سألكم بالله فاعطوه . ومن استعاذكم بالله فأعيذوه . ومن دعاكم فأجيبوه . ومن اصطنع معروفاً فكافوه . فان لم تكافوه فاشكروه .

« وقال » من حق جلال الله على العباد إجلال الامام المقسط . وذى الشيبة فى الاسلام . وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه . أربع من فعلهن فقد خرج من الاسلام . من رفع لواء ضلالة . ومن أعان ظالماً أو سار معه أو مشى معه وهو يعلم أنه ظالم . ومن احترم بذمة . ورجلان لا تنالهما شفاعتى يوم القيامة . أمير ظلوم . ورجل غال فى الدين مارق منه . والامير العادل لا ترد دعوته .

« قال » لا يشغلنك طلب دنياك عن طلب دينك فان طالب الدنيا ربما أدرك فهلك بما أدرك وربما فاته فهلك بما فاته . الا كثرون فى الدنيا هم الأقلون فى الآخرة . إلا من قال هكذا وهكذا وحثا بيده . وما أعطى أحد من الدنيا شيئاً إلا كان أنقص من حقه فى الآخرة حتى سليمان بن داود فانه آخر من يدخل الجنة من الأنبياء لما اعطى من الدنيا . ورأس كل خطيئة حب الدنيا .

(وقال) جاء الموت بما فيه الراحة والكرة المباركة الى جنة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لهاسعيهم وفيها رغبتهم . وجاء الموت بمافيه الشقوة والندامة

والكرّة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم .

(وقال) أفضل ما توسل به المتوسلون الايمان بالله والجهاد فى سبيل الله وكلمة الاخلاص فانها الفطرة وتمام الصلاة فانها الملة . وإيتاء الزكاة فانها مثراة فى المال منسأة فى الأجل . وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وتطفىء غضب الرب وصنائع المعروف فانها تدفع ميتة السوء وتقى مصارع الهوان . ألا فاصدقوا فان الصادق على شفاء منجاة وكرامة . وان الكاذب على شفا مخزاة ومهلكة . ألا وقولوا خيراً تعرفوا به . واعملوا به تكونوا من أهله وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم . وصلوا أرحام من قطعكم . وعودوا بالفضل على من جهل عليكم

« وقال » من تعرض لسلطان جائر فاصابته بلية لم يؤجر فيها ولم يرزق الصبر عليها . فحسب المؤمن عزاء اذا رأى المنكر أن يعلم الله من قلبه أنه كاره

(وقال) إن لله عباداً من خلقه يخصهم بنعمه . يقرهم فيها ما بذلوها فاذا منعوها نقلها منهم وحولها الى غيرهم .

(وقال) ما عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت مؤونة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرض النعمة للزوال .

وقال لبنى سلمة من سيدكم اليوم يا بنى سلمة ؟ قالوا الجد بن قيس يارسول الله قال فكيف حاله فيكم ، قالوا من رجل نبخله (١) قال وأى داء أدوأ من البخل ، لا سؤدد لبخيل بل سيدكم الأبيض الجعد عمرو بن الجموح ، أو قال قيس ابن البراء .

(وقال) لوافد وفد عليه واطلع منه على كذبة ، لولا سخاء فيك (٢) ومعك الله تشرب بلبن وافد .

---

(١) أى نرميه بالبخل ، ولعل الصحيح بخلة ، وهو بالتحريك شديد البخل .

(٢) هكذا فى الأصل ، والعبارة مضطربة فليراجع الحديث (م . ص)

(وقال) خلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق (وقال)تجافوا عن زلة السخى فان الله عز وجل يأخذ بناصيته كلما عثر .

(وقال) الجنة دار الاسخياء .

(وقال) الشاب الجواد الزاهد هو أحب إلى الله من الشيخ البخيل العابد

(وقال) إن الله جواد يحب الجواد ويحب مكارم الأخلاق ويبغض سفاسفها .

(وقال) ان لله عباداً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم فهم الآمنون يوم القيامة .

(وقال) أحسنوا مجاورة نعم الله ولا تملوها ولا تنفروها فانها قلما تفوت من قوم فرجعت اليهم .

(وقال) الحوائج الى الله وأسبابها الى النـاس فاطلبوهـا الى الله بهم فمن اعطاكموها فخذوها عن الله بشكر ومن منعكموها فخذوها عن الله بصبر .

(وقال) إنكم لن تسعوا الناس باموالكم فليسعهم منكم بسط الوجوه وحسن الخلق .

(وقال) رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس فان عرض بلاء فقدم مالك قبل نفسك ودينك فان تجاوز البلاء فقدم مالك ونفسك دون دينك .واعلم أن المحروب من حرب دينه .

(وقال) ان لكل شيء شرفاً وان أشرف المنـازل ما استقبل به القبلة من أحب أن يكون أعز الناس فليتق بالله ومن أحب أن يكون أغنى النـــاس فليكن بمـا فى يد الله أوثق منه بمـا فى يده ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله .

« ثم قال » ألا أنبئكم بشرار الناس؟ من أ كل وحده ومنع رفده وجلد عبده ، ألا أنبئكم بشر من ذلك من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ألا أنبئكم بشر من ذلك من يبغض الناس ويبغضونه .

قيل له ما أفضل ما أعطى العبـد ؟ « قال : نحيزة (١) من عقل يولد معه قالوا فأذا أخطأه ذلك ؟ « قال » : فليتعلم عقلا ، قالوا فان أخطأه ذلك ؟ قال : فليتخذ صاحباً فى الله غير حسود ، قالوا فان أخطأه ذلك ؟ « قال » عليه بالصمت قالوا فان أخطأه ذلك « قال » فميتة قاضية .

« وقال » لرجل من ثقيف ما المروة فيكم ؟ فقال : الصلاح فى الدين واصلاح المعيشة وسخاء النفس وحسن الخلق فقال : كذلك هى فينا .

« وقال » من اتق ربه كل لسانه ولم يشف غيظه ان الله عند لسان كل قائل فلينظر قائل ما يقول .

« وقال » ما أتانى جبريل الا ووعظنى .

« وقال » فى آخر قوله اياك والمشازرة (٢) فانها تكشف العورة وتذهب بالعز .

« وسأله » ﷺ رجل فقال له ما عندى شيء ، فقال له عدنى فقال انى لأستعمل الرجل وغيره يكون أيقظ عيناً وأمثل رجلة وأشد مكيدة وانى لأعطى الرجل وغيره أحب الى منه أعطيه تألفاً .

« وقال » من لم يحمد عدلاً ويذم جورا فقد بارز الله بالمحاربة .

« وقال » أشرف الأعمال ثلاثة ذكر الله عز وجل على كل حال وانصاف الناس من نفسك ، و مواساة الاخوان .

« وقال » موت البنات من المكرمات .

« وقال » الصبر عند الله ضد الغيرة ولا يملكه احد ، وعظم الجزاء مع عظم البلاء ، واذا أحب الله عبدا ابتلاه .

« وقال » ان أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم أخلاقاً .

---

(١) ـ النحيزة . الطبيعة (يقال هو كريم النحيزة) .

(٢) ـ المشازرة : المعاداة . (المنجد)

« وقال » كل معروف صدقة وما وقى به اللسان صدقة فقيل لمحمد بن المنكدر وما ذاك . قال اعطاء الشاعر وذى اللسان .

« وقال » مامن ذنب الا وله عند الله التوبة إلا سوء الخلق انه لا يخرج من شيء إلا وقع فى شر منه .

« وقال » اياك ومهلك فان ذا مهل قتل أخاه ونفسه وسلطانه .

وأتاه رجل فقال له ألك مال ؟ قال نعم من أكل المال . فقال اذ الله انعم عليك بنعمته فليثن (١) عليك .

« وقال » لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يارسول الله إنى لأحب أن تكون دابتى فارهة وثيابى جياداً حتى ذكر شراك نعله وعلاقة سوطه ، فقال : إن الله جميل يحب الجمال فانما الكبر أن يمنع الحق ويغمص الباطل .

« وسأل » سائل رسول الله فقال ما أصبح فى بيت آل محمد غير صاع من طعام وانهم لأهل تسعة أبيات فهل لهم عنه غنى ، ولم يرد (ص) سائلا قط وإنه كان يعالج حظاء (٢) من جريد فمر به رجل ، فقال أكفيكه يا رسول الله ، فقال شأنك فلما فرغ منه ، قال له ألك حاجة قال نعم تضمن لى على الله الجنة فأطرق طويلا ثم رفع رأسه اليه . فقال ذلك لك فلما ولى ناداه يا عبد الله أعنى بطول السجود .

وخطب ﷺ على ناقته فقال : يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا كتب وكأن الحق على غيرنا وجب وكأن الذين يشيعون من الأموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وآمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال

---

(١) ـ كذا فى الأصل ولعل الصحيح (فلتتبين عليك) أى فلتظهر عليك آثارها .

(٢) ـ حظاء بكسر الحاء المهملة جمع حظوة وهو السهم الصغير الذى لا نصل له ويعالجه أى يصلحه . (نهاية)

قد اكتسبه من غير معصية ، ورحم ، وصاحب أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ؛ طوبى لمن أذل نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره ووسعته السنة ولم يبعدها (١) الى البدعة .

(وقال ﷺ) وعظنى جبريل فقال لى أحبب (٢) من شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك ملاقيه .

« وقال » (ص) من طلب الرزق من حله فليبذر على الله .

« وقال » استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا .

« وقال » لاطلاق إلا بعد نكاح ولا عتق إلا بعد ملك ولا صمت إلا من غدوه الى الليل ولا وصال فى صيام ولا رضاع بعد فطام ولا يتم بعد احتلام ولا يمين لامرأة مع زوجها ولا يمين لولد مع والده ولا يمين للمملوك مع سيده ولا تعرب بعد الهجرة ولا يمين فى قطيعة رحم ولا نذر فى معصية ، ولو أن أعرابياً حج عشر حجج ثم هاجر كان فريضة الاسلام عليه اذا استطاع اليه سبيلا ، ولو أن مملوكا حج عشر حجج ثم عتق كان فريضة الاسلام عليه إن استطاع اليه سبيلا .

« وقال » أعظم الذنوب عند الله أصغرها عند العباد وأصغر الذنوب عند الله أعظمها عند العباد .

« وقال » لا يلسع المؤمن من جحر مرتين ، والناس سواء كأسنان المشط والمرء كثير بأخيه ، ولا خير لك فى صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ماترى له ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، والمسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من

(١) ـ كذا فى الأصل والظاهر (ولم يتعدها) .

(٢) ـ كتب فى هامش الأصل بدل هذه النسخة (أحبب من أحببت فانك مفارقه ، وافعل ما شئت فانك مجزى عليه ، وعش ما شئت فانك ميت) (م ص)

سواهم ، والمستشار مؤتمن ، ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم .

« وذكر » الخيل فقال ﷺ : الخيل معقود فى نواصيها الخير ، بطونها كنز ، وظهورها حرز .

« وأجرى » الخيل فجاء فرس له أدهم سابقاً فجثا على ركبتيه ثم قال ما هو إلا البحر .

« وقال » يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

« وقال » ان الله عز وجل يقول ويل للذين يختلون الدنيا بالدين ، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وويل الذين يسير المؤمن فيهم بالتقية . اياى يغرون ، أم على يجترئون ، فإنى حلفت لأتيحنهم فتنة تترك الحليم منهم حيران .

« وروى عنه » ﷺ أنه قال : كان تحت الجدار الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه « كنز لهما » كان الكنز لوحاً من ذهب مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم : عجباً لمن يوقن بالموت كيف يفرح ، عجباً لمن يوقن با لقدر كيف يحزن عجباً لمن يوقن بالنار كيف يضحك ، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمأن اليها . لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

« وقال » للطاعم الشاكر أجر الجائع الصابر ولئن يعافى أحدكم فيشكر خير له من أن يبيت قائماً ويصبح صائماً معجباً .

« وقال » لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه ، قيل يا رسول الله فكيف يذل نفسه ؟ قال يعرضها لما لا تطيق من البلاء .

« وقال » اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله .

« ووجد » فى كتاب عند أسماء بنت عميس من كلام رسول الله ﷺ

الآجلات الجانيات المعقبات رشداً باقياً خير من العاجلات العابدات المعقبات غياً باقياً . المسلم عفيف من المظالم عفيف من المحارم ، بئس العبد عبد هواه يضله بئس العبد عبد رغب اليه بذلة ، بئس العبد عبد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا .

(وقال) أربع من قواصم الظهر إمام تطيعه ويضلك ، وزوجة تأمنها وتخونك ، وجار سوء إن علم سوءاً أذاعه وإن علم خيراً ستره ، وفقير اذا نحل لم يجد صاحبه .

« وقال » ما من عبد إلا وفى علمه وحلمه نقص ألا ترون أن رزقه يجرى بالزيادة فيظل مسروراً مغتبطاً وهذان الليل والنهار يجريان بنقص عمره لايحزنه ذلك ولا يحتفل به ، ضل ضلاله ما أغنى عنه رزق يزيد وعمر ينقص .

« وقال » إن بنى اسرائيل أذهبوا خشية الله من قلوبهم فحضرت أبدانهم وغابت قلوبهم وإن الله لا يقبل من عبد لا يحضر من قلبه ما يحضر من بدنه .

« وقال » من ازداد علماً ثم لم يزدد زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً ، من أعان إماماً جائراً ولم يخطئه لم يفارق قدمه بين يدى الله حتى يأمر به « الى النار » .

« وأتاه رجل » من بنى قشير يقال له قرة بن هبيرة فقال يا رسول الله كانت لنا أرباب وربات فهدانا الله بك ، فقال ﷺ اكثر أهل الجنة البله وأهل عليين ذووا الألباب .

« وقال » الأئمة من قريش لكم عليهم حق ولهم عليكم حق ما حكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وعاهدوا فوفوا .

« ووقف ﷺ » على بيت فيه جماعة من قريش فقال إنكم ستولون هذا الأمر ومن وليه منكم فاسترحم فلم يرحم وحكم فلم يعدل وعاهد فلم يف فعليه لعنة الله .

« وقال » الدين النصيحة الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة الحق .

« وقال » بالخيف من منى نضر الله وجه امرىء سمع مقالتى فوعاهـا حتى يبلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن ، اخلاص العمل وصحة الورع ، والنصيحة لولاة الأمر .

« وقال » للمسلم على أخيه المسلم من المعروف ست يسلم عليه اذا لقيه وينصح له اذا غاب عنه ويعوده اذا مرض ويشيع جنازته اذا مات ويجيبه اذا دعاه ويسمته اذا عطس .

« وقال » أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا يا رسول الله كيف ننصره ظالماً ؟ قال بكفه عن الظلم .

« وقال » اذا مات الإنسان انقطع عنه عمله الا من ثلاثة : من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له .

« وقال » ثلاثة لا ترد لهم دعوة : المظلوم ، وامام عادل ، والصائم حتى يفطر .

« وقال » ثلاث يتبعن ابن آدم بعد موته سنة سنها فى المسلمين فعمل بها فله أجرها وأجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، وصدقة تصدق بها من مال أو ثمر فما جرت تلك الصدقة فهى له ، ورجل ترك ذرية يدعون له .

وقال ﷺ فى خطبته : شر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ولكل شيء آفة ، وآفة هذا الرأى الهوى .

« وقال » اكفلوا الى ستاً اكفل لكم الجنة اذا حدثتم فلا تكذبوا ، واذا ائتمنتم فلا تخونوا . واذا وعدتم فلا تخلفوا . كفوا ألسنتكم . وغضوا أبصاركم وصونوا فروجكم « وقال ص » يقول الله عز وجل لا يزال عبدى يصدق حتى يكتب صديقاً ولا يزال عبدى يكذب حتى يكتب كذابا .

« وقال » ويل للذى يتحدث بالكذب ليضحك به القوم ويل له وويل له

(وروى) أنه قال عليكم بالصدق وان ظننتم فيه الهلكة فان عاقبته النجاة وإياكم والكذب وإن ظننتم فيه النجاة فان عاقبته الهلكة .

(وقال) من حلف على مال أخيه ظالماً فليتبوأ مقعده من النار، فقال رجل وإن كان يسيراً يا رسول الله؟ فقال ولو كان قضيباً من أراك ، ومن اقتطع حق امرىء مؤمن بيمينه فقد أوجب الله عليه النار وحرم عليه الجنة .

وكان ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون فى شهر رمضان .

(وقال) ﷺ والذى نفسى بيده لو كان لى مثل شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونى كذوباً ولا جباناً ولا بخيلا .

(وقال) له رجل يا رسول الله أعطنى رداءك فألقاه عليه فقال ما أريده قال قاتلك الله أردت أن تبخلنى ولم يجعلنى الله بخيلا .

(وقال) خياركم من يرجى خيره ولا يتقى شره وشراركم من يتقى شره ولا يرجى خيره فان الله أكرمكم بالاسلام فزينوه بالسخاء وحسن الخلق

(وقال) ﷺ الخير أسرع البيت الذى يغشى من الشفرة الى سنان البعير

(وقال ﷺ) إياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم، الشح أمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالفجور ففجروا ، اللؤم كفر والكفر فى النار ، قال الله عز وجل .

(ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) .

(وقال ﷺ) رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة وإن أول أهل الجنة دخولا أهل المعروف .

(وقال ﷺ) لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تعطى صلة الحبل ولو شسع النعل ، ولو أن تفرغ من دلوك فى أناء المستسقى ، ولو أن تنحى الشىء عن طريق الناس يؤذيهم ، ولو أن تلقى أخاك فتسلم عليه ، ولو أن تلقاه ووجهك

اليه منطلق ، ولو أن رجلا سبك بأمر يعلمه فيك تعلم فيه نحوه فلا تسبه ليكون لك أجر ذلك ويكون عليه وزره .

وقال إن الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم إعطاءه كما ييسر الغيث الى الأرض الجدبة ليحييها ويحيي بها أهلها وإن الله جعل للمعروف أعداء من خلقه بغّض اليهم المعروف وبغّض اليهم فعاله وحظر على طلاب المعروف الطلب وحظر عليهم إعطاءه كما يحظر الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلها أو يعفو الله عن اكثره .

(وقال) الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق الى الله أحسن الناس الى عياله

(وسأله رجل) فقال أى الناس أحب الى الله ؟ فقال أنفع الناس للناس .

(قيل) فأى الأعمال أحب الى الله ؟ قال ادخال سرور على مسلم إطعام جوعته وكساء عورته وقضاء دينه .

(وقال) إن الله ينصب للغادر لواءاً يوم القيامة فيقال ألا إن هذا لواء فلان

« وقال له » بعضهم أخبرنا بخصال يعرف المنافق بها .

« فقال » من حلف فكذب ووعد فأخلف وخاصم ففجر وأوتمن فخان وعاهد فغدر .

« وقال » إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى أنه يقول له فما منعك أن رأيت المنكر أن تنكره فاذا لقن الله عبده حجته قال يا رب إنى وثقت بك وخفت من الناس .

« وقال » من أعطى عطاء ووجد فليجزه فان لم يجزه فليثن به ومن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ، وقال له قوم من المهاجرين يا رسول الله إخواننا من الأنصار واسونا وبذلوا لنا وقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله .

« فقال » إلا ما أثنيتم به عليهم ودعوتم الله لهم .

« وقال » والذى نفسى بيده لا يأخذ أحد شيئاً بغير حقه إلا لقى الله بحمله يوم القيامة .

« وقال » الهدية تذهب السخيمة وتجدد الأخوة وتثبت المودة .

« وقال » لو أهدى الى كراع لقبلته ولو دعيت اليه لأجبت .

« وقال » ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ، وصدقة المؤمن ظله أوظله من صدقته .

« وروى عنه » ﷺ أنه قال مامن الأعمال شيء أحب الى من ثلاثة إشباع جوعة المسلم وقضاء دينه وتنفيس كربته ، من نفس عن مؤمن كربته نفس الله عنه كرب يوم القيامة والله فى عون عبده ما كان العبد فى عون أخيه .

« وقال » إن المسألة لا تحل الا لثلاثة لذى فقر مدقع ولذى عسر مفظع ولذى دم مفجع .

« وقال » من سأل وله أوقية والأوقية أربعون درهماً فقد سأل الناس الحافاً (وسأله) رجلان وهو يقسم مغانم خيبر (فقال) لا حظ لغنى ولا لقوى مكتسب .

« وقال » لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة (١) سوى .

« وقال » من سأل وعنده ما يغنيه؟ فانما يستكثر من جمر جهنم .

« قيل » يا رسول الله ما يغنيه قال لغدائه أو لعشائه .

« وقيل له » يا رسول الله ما الغناء؟ قال غداء وعشاء .

« وقال » من سأل عن ظهر غنى جاء يوم القيامة بوجهه كدوح يعرف بها .

« قالوا » يا رسول الله ما ظهر غنى ؟ قال قوت ليلة أو قوت يوم .

« وسأله » حكيم بن حزام فاعطاه فقال ان هذا المال خضر فمن أخذه

---

(١) ـ المرة بفتح الميم وتشديد الراء القوة والشدة . والسوى الصحيح الأعضاء (نهاية)

بطيب نفس بستربورك له فيه ومن أخذه باشراف لم يبارك له فيه فكان كالذى يأكل ولا يشبع : وسأله : الانصار فلم يسألوه شيئاً الا أعطاهم حتى أنفذوا ما عنده .

« ثم قال » أما بعد يا معشر الأنصار ما يكن عندنا من خير فلن أوخره عنكم وانه من يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يصبر يصبره الله ولن يعطى عبد أفضل ولا أوسع من الصبر : وقال : من يضمن لى خلة أضمن له الجنة فقيل ما هى يا رسول الله ؟ قال أن لا تسال أحداً شيئاً .

« وقال » ﷺ لأبى ذر (رض) يا أبا ذر أرأيت ان أصاب الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تنهض من فراشك الى مسجدك كيف تصنع؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال تتعفف .

« وقال » لا يفتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر .

« وقال » الأيدى ثلاث فيد الله العليا ويد المعطى التى تليها ويد السائل السفلى الى يوم القيامة ، فاستعفف عن السؤال ما استطعت .

« وقال » لبعضهم ما أتاك من هـذا المال وأنت غـير سائل ولا مسرف فخذه فتموله أو تصدق به .

« وقال » لا صدقة إلا عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول ولا تلام على كفاف .

« وقال » المسألة خروج فى وجه الرجل يوم القيامة الا أن يسال سلطانه أو من لا بد منه .

« وقيل له » أى الصدقة أفضل ؟

« فقال » أن تصدّق وأنت صحيح تخاف الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كـذا ولفلان كـذا وقد كان لفلان كـذا .

« وقال » من أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهو له صدقة ، ومن سره الانساء فى الأجل والمد فى الرزق فليصل رحمه .

« وقال » ﷺ ما من ذنب أجـدر أن يعجل الله عقوبته فى الدنيا مع

مايدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم « وأتاه رجل » فقال من أبر؟ قال أمك وأباك وأخاك وأختك وأدناك أدناك .

« وقال » يقول الله تبارك وتعالى من وقر أباه أطلت فى أيامه ومن وقر أمه رأى لبنيه بنين .

« وقال » ألا أنبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور .

« وقال » من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة .

« وقال » أربع من سنن المرسلين الحياء والنكاح والحلم والسواك .

« وقال (ص) » قال الله سبحانه وتعالى لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لأولين عليكم شراركم ولأجعلن أموالكم فى أيدى بخلائكم ولأمنعنكم قطر السماء ثم ليدعونى خياركم فلا أستجيب لهم ويسترحمونى فلا أرحمهم ويستسقونى فلا أسقيهم .

« وقال » أربع من كن فيه كمل اسلامه وان كان ما بين قرنه الى قدمه خطاء الامر بالمعروف والحياء والشكر وحسن الخلق ، وأربع من كن فيه بنى الله له بيتاً فى الجنة ايواء اليتيم ورحمة . . (١) . . ورفق بمملوكه وشفق على والديه .

« وقال (ص) » التودد الى الناس نصف الايمان والرفق نصف العيش وما عال امرؤ وفى اقتصاده .

---

(١) ـ بياض فى الاصل ، وقد ذكر هذا الحديث الصدوق ابن بابويه فى باب الاربعة من الخصال ص ١٠٦ كما يلى (أربع من كن فيه بنى الله له بيتاً فى الجنة من آوى اليتيم ورحم الضعيف وأشفق على والديه ورفق بمملوكه) (م . ص)

حجة الوداع

وحج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر وهى حجة الإسلام خرج رسول الله ﷺ من المدينة حتى أتى ذا الحليفة لبس ثوبين صحاريين أزار ورداء .

(وقيل) خرج من المدينة وقد لبس الثوبين ودخل المسجد بذى الحليفة وصلى ركعتين وكنّ نساؤه جميعاً معه ثم خرج فاشعر بُدْنه من الجانب الأيمن ثم ركب ناقته القصوى فلما استوت به على البيداء أهل بالحج .

(وقال الواقدى) عن الزهرى عن سالم عن أبيه ، وعن الزهرى فى اسناد له عن سعد بن أبى وقاص قالا أهل رسول الله متمتعاً بالعمرة الى الحج .

(وقال بعضهم) بالحج مفرداً ، وقال بعضهم ، بحجة وعمرة ، ودخل مكة نهاراً من كداء ـ وهى عقبة المدنيين ـ على راحلته حتى انتهى الى البيت فلما رأى البيت رفع يديه فوق زمام ناقته ، وبدأ بالطواف قبل الصلاة وخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر ويوم عرفة حين زالت الشمس على راحلته قبل الصلاة من الغد يوم منى ، فقال ﷺ فى خطبته ، نضر الله وجه عبد سمع مقالتى فوعاها وحفظها ثم بلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم ، إخلاص العمل لله والنصيحة لأئمة الحق ، واللزوم لجماعة المؤمنين ، فان دعوتهم محيطة من ورائهم ودعا بالبدن فصفت بين يديه وكانت مائة بدنة فنحر منها بيده ستين بدنة .

(وقيل) أربعاً وستين وأعطى علياً عليه السلام سائرها فنحرها وأخذ من كل ناقة بضعة فجمعت فى قدر واحدة فطبخت بالماء والملح ثم اكل هو وعلى عليه السلام وحسا من المرق ورمى جمرة العقبة على ناقته ووقف عند زمزم وأمر ربيعة ابن أمية بن خلف فوقف تحت صدر راحلته وكان صبياً فقال يا ربيعة قل يا أيها

الناس إن رسول الله يقول لعلكم لا تلقونني على مثل حالي هذه وعليكم هذا هل تدرون أي بلد هذا؟ وهل تدرون أي شهر هذا؟ وهل تدرون أي يوم هذا ؟ فقال الناس نعم هذا البلد الحرام والشهر الحرام واليوم الحرام قال ﷺ فان الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة بلدكم هذا وكحرمة شهركم هذا وكحرمة يومكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال ، اللهم اشهد واتقوا الله ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها .

(ثم قال ص) الناس في الإسلام سواء ، الناس طف الصاع (١) لآدم وحواء لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بتقوى الله ، ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال اللهم اشهد .

(ثم قال ص) لا تأتوني بأنسابكم واتوني بأعمالكم فأقول للناس هكذا ولكم هكذا ، ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم . قال اللهم اشهد .

(ثم قال ص) كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي وأول دم أضعه دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان آدم بن ربيعة مسترضعاً في هذيل فقتله بنو سعد بن بكر .

(وقيل) في بني ليث فقتلته هـــذيل ، ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال اللهم اشهد .

(قال ص) وكل ربا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ، ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال اللهم إشهد .

(قال) يا أيها الناس (انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله) ألا وان الزمان قـــد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض (وان عدة الشهور عند الله اثنا

---

(١) أي قريب بعضكم من بعض ، يقال هذا طف المكيال وطفافه أي ماقرب من ملئه ، وقيل هو ما علا فوق رأسه .

عشر شهراً فى كتاب الله منها أربعة حرم) رجب الذى بين جمادى وشعبان يدعونه رجب مضر (١) وثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ألا هل بلغت قالوا نعم ، قال اللهم اشهد .

(قال ص) أوصيكم بالنساء خيراً فانما هن عوار عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً وانما اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق كسوتهن ورزقهن بالمعروف ولكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحداً ولا يأذن فى بيوتكم الا بعلمكم واذنكم فان فعلن شيئاً من ذلك فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح . ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال اللهم اشهد .

(قال ص) فاوصيكم بمن ملكت أيمانكم فاطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون وأن أذنبوا فكلوا عقوباتهم الى شراركم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال اللهم اشهد قال (ص) ان المسلم أخو المسلم لا يغشه ولا يخونه ولا يغتابه ولا يحل له دمه ولا شيء من ماله الا بطيب نفسه ، ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال اللهم اشهد .

(ثم قال ص) ان الشيطان قد يئس أن يعبد بعد اليوم ولكن يطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التى تحتقرون فقد رضى به ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم قال : اللهم اشهد .

(ثم قال ص) أعدى الأعداء على الله قاتل غير قاتله وضارب غير ضاربه ومن كفر نعمة مواليه فقد كفر بما أنزل الله على محمد ومن انتمى الى غير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ألا هل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد .

---

(١) فى الحديث (رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) أضاف رجباً الى مضر لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم فكأنهم اختصوا به . (نهاية)

(ثم قال ص) ألا انى انما امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إآله إلا الله وأنى رسول الله واذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق وحسابهم على الله ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال اللهم اشهد .

(ثم قال ص) لا ترجعوا بعدى كفاراً مضلين يملك بعضكم رقاب بعض انى قد خلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال اللهم اشهد .

(ثم قال ص) انكم مسئولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

ولم ينزل ﷺ مكة ، وقيل له فى ذلك لو نزلت يا رسول الله بعض منازلك فقال ما كنت لأنزل بلداً أخرجت منه . ولما كان يوم النفر دخل البيت فودع ونزل عليه :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) .

وخرج (ص) ليلا منصرفا الى المدينة فصار الى موضع بالقرب من الجحفة يقال له « غدير خم » لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة وقام خطيباً واخذ بيد على بن أبى طالب « ع » فقال ، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

(ثم قال ص) أيها الناس : إنى فرطكم وأنتم واردون علىّ الحوض وإنى سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفونى فيهما ، قالوا وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا وعترتى أهل بيتى .

الوفاة

ولما قدم ﷺ المدينة أقام أياماً وعقد لأسامة بن زيد بن حارثة على جلة المهاجرين والأنصار وأمره أن يقصد حيث قتل أبوه من أرض الشام .

(وروى) عن أسامة أنه قال : أمرني رسول الله أن أغزو (يبنى) من ارض فلسطين صباحاً ثم أحرق .

(وروى آخرون) أن رسول الله (ص) أمره أن يوطىء الخيل أرض البلقاء وكان فى الجيش أبو بكر وعمر وتكلم قوم وقالوا حدث السن وابن سبع عشرة سنة فقال ﷺ لئن طعنتم عليه فقبله طعنتم على أبيه وإن كانا لخليقين للامارة ، واشتكى رسول الله ﷺ قبل أن ينفذ الجيش وكان أسامة مقيماً بالجرف فلما اشتدت عليه قال أنفذوا جيش أسامة فقالها مراراً واعتل أربعة عشر يوماً .

(وتوفى) يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ، ومن شهور العجم أذار ، وكان قران العقرب .

(قال ما شاء الله المنجم) كان طالع السنة التى توفى فيها رسول الله وهو القران الرابع من مولده الجدى ثمانى عشرة درجة والزهرة فى . . . . . سبع عشرة درجة ، والشمس فى الحمل دقيقة ، والقمر فى الحمل درجتين وثلاثين دقيقة وعطارد . . . . . . احدى عشرة درجة وثلاث عشرة دقيقة والمشترى فى الميزان ثلاثاً وعشرين درجة واربع دقائق راجعاً ، والمريخ فى الجدى خمس دقائق .

(وقال الخوارزمى) كانت الشمس يوم توفى رسول الله فى الجوزاء ست درجات ، والقمر فى الجوزاء ثلاثاً وعشرين درجة ، وزحل فى القوس تسعاً وعشرين درجة ، والمريخ فى الحوت احدى عشرة درجة ، والزهرة فى السرطان

ثمانى عشرة درجة ، وعطارد فى الجوزاء ثمانى وعشرين درجة ، والرأس فى الجدى خمساً وعشرين درجة .

وكان سنه ثلاثاً وستين سنة ، وغسله على بن أبى طالب عليه السلام والفضل بن العباس بن عبدالمطلب وأسامة بن زيد يناولان الماء وسمعوا صوتاً من البيت يسمعون الصوت ولا يرون الشخص فقال (السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور ، إن فى الله خلفاً من كل هالك ، وعزاء من كل مصيبة . عظم الله أجوركم والسلام ورحمة الله) فقيل لجعفر بن محمد من كنتم ترونه ؟ فقال جبريل .

وكفن صلى الله عليه وسلم فى ثوبين صحاريين وبرد حبرة ونزل قبره على بن أبى طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب .

(وقيل) الفضل بن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونادت الأنصار اجعلوا لنا فى رسول الله نصيباً فى وفاته كما كان لنا فى حياته فقال على عليه السلام ينزل رجل منكم فانزلوا أوس بن خولى أحد بنى الحبلى ، وكان حفر قبره أبو طلحة بن سهل الأنصارى ولم يكن بالمدينة من يحفر غيره وغير أبى عبيدة بن الجراح ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يشق ويحفر وسطاً وأبو طلحة يلحد .

(وقيل) إنهما سابقا حفراً فسبق أبو طلحة بالحفر وصلى عليه أياماً والناس يأتون ويصلون إرسالا ، ودفن ليلة الأربعاء فى بعض الليل وطرحت تحته قطعة رحله وكانت ارجوان وربع قبره ولم يسنم .

ولما توفى ﷺ قال الناس ما كنا نظن أن رسول الله يموت حتى يظهر على الارض ، وخرج عمر فقال والله ما مات رسول الله ولا يموت وانما تغيب كما غاب موسى بن عمران أربعين ليلة ثم يعود والله ليقطعن أيدى قوم وارجلهم وقال أبو بكر بل قد نعاه الله الينا فقال انك ميت وانهم ميتون ، فقال عمر و الله لكأنى ما قرأتها قط ثم قال لعمرى لقد أيقنت أنك ميت ولكنما أبدى الذى قلته الجزع .

ولم يخلف ﷺ من الولد إلا فاطمة وتوفيت بعده باربعين ليلة .

(وقال قوم) بسبعين ليلة (وقال آخرون) ثلاثين ليلة (وقال آخرون) ستة أشهر ، وأوصت علياً زوجها أن يغسلها فغسلها وأعانته أسماء بنت عميس وكانت تخدمها وتقوم عليها . وقالت ألا ترين الى ما بلغت أفأحمل على سرير ظاهراً قالت لا لعمرى يابنت رسول الله ولكنى أصنع لك شيئاً كما رأيته يصنع بالحبشة ، قالت فارينيه فارسلت الى جرائد رطبة فقطعتها ثم جعلتها على السرير نعشاً . وهـــو أو ما كانت النعوش . فتبسمت وما رؤيت متبسمة إلا يومئذ ودفنت ليلا ولم يحضرها أحد إلا سلمان وأبو ذر . (وقيل) عمار .

وكانـــ بعض نساء رسول الله أتينها فى مرضها فقلن يابنت رسول الله صيرى لنا فى حضور غسلك حظاً ؟ قالت : أتردن تقلنـــ فى كما قلتن فى أمى لا حاجة لى فى حضوركن . ودخلن اليها فى مرضها نساء رسول الله وغيرهن من نساء قريش فقلن كيف أنت؟ قالت أجدنى كارهة لدنيا كن مسرورة لفراقكن ألقى الله ورسوله بحسرات منكن فما حفظ لى الحق ولا رعيت منى الذمـة ولا قبلت الوصية ولا عرفت الحرمة وكان سنها ثلاثاً وعشرين سنة .

صفة رسول الله ﷺ

وكان رسول الله ﷺ فخما مفخما ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن الخلق أطول من المربوع وأقصر من المشذب لم تعبه ثجلة (١) ولم تزر به صعلة (٢) وسيما قسيما لم يماشه أحد من الناس إلا طاله وإن كان الماشى له طويلا . عظيم الهامة رجل الشعر . إن تفرقت (٣) عقيقته انفرقت فرقاً لا يجاوز شعره شحمة أذنه أزهر اللون . مشرباً حمرة . فى عينيه دعج . وفى أشفاره وطف . وفى صوته صحل (٤) وفى لحيته كثافة . وكان اكثر شيبه فى لحيته حول الذقن وفى رأسه فى فودى رأسه ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، حلو المنطق لا نزر (٥) ولا هذر دقيق المسربة ، معتدل الخلق . عريض الصدر والكتف . بعيد ما بين المنكبين . واسع الظهر غير ما تحت الأزرار من الفخذ والساق . أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط . عارى ما سوى ذلك من الشعر . أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر . طويل الزندين رحب الراحتين شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف . خمصان الأخمصين . ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب أو يتقلع من صخر . وإذا التفت التفت معاً . خافض الطرف نظره الى الأرض اكثر من نظره الى السماء . جل نظره الملاحظة يبدأ من لقى بالسلام . وكان جل جلوسه القرفصى وكان يأكل على الأرض

(١) ـ الثجلة بضم الثاء المثلثة وسكون الجيم ضخم البطن .

(٢) ـ الصعلة بفتح الصاد وسكون العين المهملتين صغر الرأس (نهاية)

(٣) ـ الذى ورد فى الحديث فى صفة شعره صلى الله عليه وآله وسلم « إن انفرقت عقيقته فرق » أى شعره سمى عقيقة تشبيها بشعر المولود . (م . ص)

(٤) ـ الصحل بالتحريك البحة .

(٥) ـ النزر القليل أى ليس بقليل فيدل على عى ولا كثير فاسد . (نهاية)

وكان اذا دعاه رجل فقال يا رسول الله قال لبيك ، واذا قال يا أبا القاسم قال يا أبا القاسم . واذا قال يا محمد قال يا محمد ، واذا أخذ الرجل بيده لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذى ينزعها واذا نازعه رداءه لا يجاذبه حتى يخليه ، واذا سأله سائل حاجة لم يرده إلا بحاجته أو بميسور من القول .

المشبهون برسول الله ﷺ

وكان المشبهون برسول الله (جعفر) بن أبي طالب ، قال رسول الله (ص) أشبهت خلقي وخلقي (والحسن) بن علي عليه السلام ، وكانت فاطمة عليها السلام تقول : -

بأبي شبيه بأبي غير شبيه بعلي

(ويقال) إن أبا بكر قال له وقد لقيه فى بعض طرق المدينة :

بأبي شبيه بالنبي غير شبيه بعلي

(وقثم) بن العباس بن عبد المطلب (وأبو سفيان) بن الحارث بن عبد المطلب (وأسهد) (١) بن العترة (وهاشم) بن عبد المطلب بن عبد مناف (ومسلم) بن معتب بن أبي لهب .

---

(١) - وهكذا كان فى نسخة الأصل ، ولكن الصحيح : (السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف) .

وقد ذكر السائب هذا إبن حجر العسقلاني فى الاصابة (ج ٢ ص ١١) وعده من المشبهين برسول الله (ص) . أما أسهد بن العترة فهو من المهملين فى المعاجم ولا وجود له أصلا والراجح أنه تصحيف ، السائب بن عبيد كما أن هاشم بن عبد المطلب لا وجود له فى المعاجم والصحيح هاشم بن المطلب ، ففي العبارة تصحيف وزيادة وسقط، فلاحظ ، وقد عد ابن رستة فى الاعلاق النفيسة (صفحة ٢٠١ من طبع ليدن سنة ١٨٩١ (م) جماعة من المشبهين برسول الله (ص) وعد منهم من ذكروا فى كتابنا هذا وغيرهم فليراجع . (م . ص)

نسبة رسول الله وأمهاته الى ابراهيم والعواتك

والفواطم اللاتي ولدنه

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن اد بن أدد بن هميسع بن يشجب بن أمين بن أمين بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ ـ وهو إدريس النبي ـ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم عليه السلام .

« وأم » رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى .

« وأم » عبد الله بن عبد المطلب ، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم .

« وأم » عبد المطلب ـ وهو شيبة الحمد ـ بن هاشم ، سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، واسمه زيد مناة (ويقال) بل اسمه تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج .

« وأم » هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم .

« وأم » عبد مناف ـ واسمه المغيرة بن قصى ـ حبى بنت حليل بن حبشية ابن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة .

« وأم » قصى ـ واسمه زيد بن كلاب ـ فاطمة بنت سعد بن سيل بن عامر

الجادر . . (١) . . من الأزد أزد شنوءة وهم حلفاء بنى نفاثة بن عدى بن الدئل ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

« وأم » كلاب بن مرة ، هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك ابن كنانة بن خزيمة .

« وأم » مرة بن كعب بن لوى . ماوية بنت القين بن جسر بن شيع الله ابن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

« وأم » كعب بن لؤى . وحشية بنت شيبان .

« وأم » لؤى بن غالب . سلمى بنت عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن خزاعة .

« وأم » غالب بن فهر . ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس ابن مضر .

« وأم » فهر بن مالك جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر بن سعد بن الحارث بن مضاض بن عامر بن دب بن جرهم .

« وأم » مالك بن النضر عاتكة - وهى عكرشة وهى الحصان - بنت عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر .

(وأم) النضر بن كنانة ، برة بنت مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر .

(وأم) كنانة بن خزيمة ، هند بنت قيس عيلان .

(وام) خزيمة بن مدركة ، سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار .

---

(١) بياض فى الأصل . وعامر هذا الملقب بـ « الجادر » هو ابن عمرو بن خثعمة بن بكر بن يشكر بن قسى بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران الأزدى لقب بالجادر لأنه بنى جداراً للكعبة دون السيل الذى دخلها وصدع بنيانها . يسمى ذلك الجدار الجادر ، قاله فى تاج العروس بمادة (جدر) (م . ص)

(وأم) مدركة بن الياس ، خنـدف وهى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

(وأم) الياس بن مضر الحنفاء بنت أياد بن نزار بن معد بن عـدنان .

(وأم) مضر بن نزار ، شقيقة بنت عك بن عدنان بن أدد .

(وأم) نزار بن معد ، ناعمة بنت جوشم بن عدى بن دب بن جرهم .

(وأم) معد بن عدنان ، تيمة بنت يشجب بن يعرب بن قحطان (١)

(وأم) أد بن أدد ، البهحا بنت عمرو بن تبع بن سعد ذى فائش بن حمير .

(وأم) أدد بن الهميسع ، حية بنت قحطان .

(وأم) الهميسع بن يشجب ، حارثة بنت مراد بن زرعـة بن ذى رعين ابن حمير .

(وأم) يشجب بن أمين ، قطامة بنت على بن جرهم (٢) .

(وأم) إسماعيل بن ابراهيم هاجر أمة كانت لسارة أم اسحاق وهى قبطية .

(ويزعم آخرون) أنها رومية .

(وأم) ابراهيم ـ وهو ابراهيم بن تارخ ـ ادنيا بنت بر بن ارغو بن فالغ ابن عابر بن شالخ .

وروى أن رسول الله ﷺ كان يكثر أن يقول انا ابن العواتك وربما قال أنا ابن العواتك من سليم ، واللاتى ولدنه من العواتك اثنتا عشرة عاتكة عشر منهن مضريات ، وقحطانية وقضاعيـة ، والمضريات ثلاث من قريش ، وثلاث من سليم ، وعدوانيتان ، وهذلية واسديه .

---

(١) بياض فى الأصل ، وقد سقط منه ذكر أم عدنان ونسبها ولم نجد لها ذكراً فيما بايدينا من التواريخ .

(٢) بيـاض فى الأصل ، وقد سقط منه ذكر أم أمين ونسبها كما انه سقط بين امين وبين اسماعيل من آبائه (ص) وذكر أمهاتهم وأنسابها . (م . ص)

فأما القرشيات فولدنه من قبل أسد بن عبد العزى ، أم أسد بن عبدالعزى الحطيا وهى ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وأمها قيلة بنت حذافة بن جمح وأمها أمية بنت عامر بن الحان بن الحارث ، وهو غسان بن خزاعة ، وأمها عاتكة بنت هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وأم هلال بن وهيب عاتكة بنت عتوارة بن الطرب بن الحارث بن فهر ، وأمها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة بن خزيمة .

وأما السليميات فولدنه من قبل هاشم ، أم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن سليم بن منصور ، وأم مرة بن هلال عاتكة بنت مرة بن عدى بن سليمان بن قصى بن خزاعة ، ويقال هى عاتكة بنت جابر بن قنفذ بن مالك ابن عوف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم .

وأما العدوانيتان فولدتاه من قبل أمهات أبيه عبدالله ومن قبل مالك بن النضر فاما التى ولدته من قبل عبدالله فهى السابعة من أمهاته .

(ويقال) الخامسة وهى عاتكة بنت عامر بن ظرب بن عمرو بن يشكر ابن الحارث ، وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، ومن قال هى الخامسة فيقول عاتكة بنت عبدالله بن الحارث بن وائلة بن ظرب بن عمرو ، وأما العدوانية الثانية فأم مالك بن النضر بن كنانة ، وهى عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان .

وأما الهذلية فولدته من قبل هاشم . وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال وامها ماوية بنت حورة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فأم معاوية بن بكر بن هوازن عاتكة بنت سعد بن هذيل .

واما الاسدية فولدته من قبل كلاب بن مرة . وهى الثالثة من امهاته وهى عاتكة بنت دودان بن اسد بن خزيمة .

وأما القحطانية فولدته من قبل غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة

وأم غالب بن فهر ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة ، وأمها سلمى بنت طابخة ابن الياس بن مضر، وأمها عاتكة بنت الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وهى الثالثة من أمهات النضر بن كنانة .

وأما القضاعية فولدته من قبل كعب بن لوى ، وهى الثالثة من أمهاته عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جهينة بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة

تسمية من ولدته من الفواطم

قال وأخبرنى غير واحد من أهل العلم أنه كان يكثر يوم حنين ويقول أنا ابن الفواطم ، فاخبرنى النسابون أنه ولدته من الفواطم أربع فواطم قرشية وقيسيتان وأزدية فاما القرشية فولدته من قبل أبيه عبدالله بن عبد المطلب ، وهى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

والقيسيتان أم عمرو بن عائذ بن عمران ، وهى فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزى بن رزام بن بكر بن هوازن وأمها فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور ، والأزدية أم قصى بن كلاب ، وهى فاطمة بنت سعد بن سهل .

وكان عمال رسول ﷺ - لما قبضه الله على مكة عتاب بن أسيد بن العاص وعلى البحرين العلاء بن الحضرمى والمنذر بن ساوى التميمى .

(وبعضهم) يقول مكان العلاء أبان بن سعيد بن العاص ، وعلى عمان عباد وجيفر ابنا الجلندى .

(وقال بعضهم) عمرو بن العاص ، وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص وعلى اليمن معاذ بن جبل وابو موسى عبدالله بن قيس الأشعرى يفقهان الناس وعلى مخاليف الجند وصنعاء المهاجرين أبى أمية المخزومى ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد الأنصارى ، وعلى مخاليف اليمن خالد بن سعيد بن العاص وعلى

ناحية من نواحيها يعلى بن منبة التميمى ، وعلى نجران فروة بن مسيك المرادى .

(وقال بعضهم) أبو سفيان بن حرب ، وعلى صدقات أسد وطىء عدى بن حاتم وعلى صدقات حنظلة مالك بن نويرة الحنظلى .

(وقال بعضهم) على صدقات بنى يربوع ؛ وعلى صدقات بنى عمرو وتميم . سمرة بن عمرو بن جناب العنبرى ؛ وعلى صدقات بنى سعد الزبرقان بن بدر وعلى صدقات مقاعس والبطون قيس بن عاصم .

خبر سقيفة بنى ساعدة وبيعة أبى بكر

واجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة يوم توفى رسول الله ﷺ . . . (١) . . . يغسل فاجلست سعد بن عبادة الخزرجى وعصبته بعصابة وثنت له وسادة وبلغ أبا بكر وعمر والمهاجرين فاتوا مسرعين فنحوا الناس عن سعد وأقبل أبو بكر وعمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح فقالوا يا معاشر الأنصار منا رسول الله فنحن أحق بمقامه ، وقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر منا الأمراء وأنتم الوزراء ، فقام ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الأنصار فتكلم وذكر فضلهم ، فقال أبو بكر ما ندفعكم عن الفضل وما ذكرتم من الفضل فانتم له أهل ولكن قريش أولى بمحمد منكم وهذا عمر بن الخطاب الذى قال رسول الله أعز الدين به ، وهذا أبو عبيدة بن الجراح الذى قال رسول الله أمين هذه الأمة فبايعوا أيهما شئتم فابيا وقالوا والله ما كنا لنتقدمك وأنت صاحب رسول الله وثانى اثنين فضرب أبو عبيدة على يد أبى بكر وثنى عمر ثم بايع من كان معه من قريش ، ثم نادى أبو عبيدة يا معشر الأنصار انكم كنتم أول من نصر فلا تكونوا أول من غير وبدل . وقام عبد الرحمن بن عوف وتكلم فقال يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل فليس فيكم مثل أبى بكر

(١) بياض فى الأصل وفيه سقط ولعله (وهو بعد) لم يغسل الخ . (م . ص)

وعمر وعلي . وقام المنذر بن الأرقم فقال ما ندفع فضل من ذكرت وإن فيهم لرجلا لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد - يعني علي بن أبي طالب - فوثب بشير بن سعد من الخزرج فكان أول من بايعه من الأنصار وأسيد بن حضير الخزرجي وبايع الناس حتى جعل الرجل يطفر وسادة سعد بن عبادة وحتى وطئوا سعداً وقال عمر اقتلوا سعداً قتل الله سعداً ، وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر ، فقال بعضهم ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمد ، فقال العباس فعلوها ورب الكعبة ، وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي عليه السلام فلما خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس وكان لسان قريش فقال يا معشر قريش إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم وقام عتبة بن أبي لهب فقال :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف ... عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن
عن أول الناس ايماناً وسابقة ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسن

فبعث اليه علي عليه السلام فنهاه ، وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس بن عبد المطلب ، والفضل ابن العباس ، والزبير بن العوام بن العاص ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب وأبي بن كعب ، فارسل أبو بكر الى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة ابن شعبة فقال ما الرأي قالوا الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب حجة لكم على علي اذا مال معكم فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن

الجراح والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلا ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ، ثم قال (إن الله بعث محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس أموراً ليختاروا لأنفسهم فى مصلحتهم مشفقين فاختارونى عليهم والياً ولأمورهم راعياً فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وما أنفك يبلغنى عن طاعن يقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجأ فتكونوا حصنه المنيع وخطبه البديع فامادخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه وإما صرفتموهم عما مالوا اليه ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك فى هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك إذ كنت عم رسول الله وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك . . (١) . . عنكم، على رسلكم بنى هاشم فان رسول الله منا ومنكم) .

فقال عمر بن الخطاب إى والله وأخرى إنا لم نأتكم لحاجة اليكم ولكن كرهاً أن يكون الطعن فى ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم .

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال : إن الله بعث محمداً كما وصفت نبياً وللمؤمنين وليا فمنّ على أمته به حتى قبضه الله اليه واختار له ما عنده فخلى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحق لا مائلين بزيغ الهوى فان كنت برسول الله فحقا أخذت وان كنت بالمؤمنين فنحن منهم فما تقدمنا فى أمرك فرطاً ولا حللنا وسطاً ولا برحنا سخطاً وإن كان هذا الأمر إنما وجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك ومالوا اليك وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلى

(١) ـ بياض فى الاصل ، ولعل الساقط (فعدلوا بالأمر) عنكم الخ . كما فى الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٦ . (م . ص)

على الناس امورهم ليختاروا فاختاروك فأما ما قلت إنك تجعله لى فان كان حقاً للمؤمنين فليس لك ان تحكم فيه وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رسلك فان رسول الله من شجرة نحن اغصانها وانتم جيرانها .

فخرجوا من عنده ، وكان فيمن تخلف عن بيعة أبي بكر ابو سفيان بن حرب وقال أرضيتم يا بنى عبد مناف أن يلى هذا الأمر عليكم غيركم وقال لعلى ابن أبي طالب أمدد يدك أبايعك وعلى معه قصى فقال :

بنى هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدى
فما الأمر إلا فيكم واليكم وليس لها إلا أبو حسن على
أبا حسن فاشدد بها كف حازم فانك بالأمر الذى يرتجى ملى
وإن امرءاً يرمى قصياً وراءه عزيزالحمى والناس من غالب قصى

وكان خالد بن سعيد غائباً فأتى علياً فقال هلم أبايعك فوالله ما فى الناس أحد أولى بمقام محمد منك واجتمع جماعة إلى على بن أبي طالب عليه السلام يدعونه الى البيعة له فقال لهم اغدوا على هذا محلقين الرؤوس فلم يغد عليه الا ثلاثة نفر .

وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع على بن أبي طالب فى منزل فاطمة بنت رسول الله فاتوا فى جماعة حتى هجموا على الدار وخرج على (١) ومعه السيف فلقيه عمر فصارعه عمر فصرعه وكسر سيفه ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت والله لتخرجن أو لأكشفن شعرى ولأعجن الى الله فخرجوا وخرج من كان فى الدار وأقام القوم أياماً ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ولم يبايع على عليه السلام إلا بعد ستة أشهر وقيل أربعين يوماً .

(١) - لعل الصحيح (فخرج الزبير) لاتفاق المؤرخين على أن الذى خرج من البيت وكسر عمر سيفه هو الزبير لا على فالظاهر أن ذلك وقع من غلط الناسخ أو الطابع فراجع . (م . ص)

أيام أبي بكر

وكانت بيعة أبي بكر يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة فى اليوم الذى توفى فيه رسول الله ﷺ ، واسم أبي بكر عبدالله بن عثمان بن عامر ، وكان يسمى عتيقاً لجماله ؛ وأمه سلمى بنت صخر من بنى تيم بن مرة ؛ وكان منزله بالسنح (١) خارج المدينة ، وكانت امرأته حبيبة بنت خارجة فيه ، وكان له ايضاً منزل بالمدينة فيه أسماء بنت عميس فلما ولى كان منزله المدينة وأتته فاطمة ابنة رسول الله ﷺ تطلب ميراثها من أبيها فقال لها : قال رسول الله (إنا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة) فقالت : أفى الله أن ترث أباك ولا أرث أبى ؟ أما قال رسول الله : المرء يحفظ فى ولده ؟ فبكى ابو بكر بكاء شديداً .

وأمر أسامة بن زيد أن ينفذ فى جيشه وسأله أن يترك له عمر يستعين به على أمره فقال فما تقول فى نفسك فقال يابن أخى فعل الناس ما ترى فدع لى عمر وانفذ لوجهك فخرج أسامة بالناس وشيعه ابو بكر فقال له ما أنا بموصيك بشيء ولا آمرك به وإنما آمرك بما أمرك به رسول الله وامض حيث ولاك رسول الله فنفذ أسامة فاقام منذ خرج الى أن قدم المدينة منصرفاً ستين يوماً أو أربعين يوماً ثم دخل المدينة ولواؤه معقود حتى دخل المسجد فصلى ثم دخل الى بيته ولواؤه الذى عقده رسول الله ﷺ معه .

وصعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر فجلس دون مجلس رسول الله ﷺ بمرقاة ثم حمد الله وأثنى عليه وقال (إنى وليت عليكم ولست بخيركم فان استقمت فاتبعونى وإن زغت فقومونى لا أقول إنى أفضلكم فضلا ولكنى

---

(١) ـ بالضم ، كقفل .

أفضلكم حملا) وأثنى على الأنصار خيراً وقال أنا وإياكم معشر الانصار كما قال القائل :

جزى الله عنا جعفراً حين ازلقت بنا نعلنا فى الواطئين فوّلت
أبوا أن يملونا ولو أن امنـــا تلاقى الذى يلقون منا لملت

فاعتزلت الأنصار عن أبى بكر فغضبت قريش وأحفظها ذلك فتكلم خطباؤهم وقدم عمرو بن العاص فقالت له قريش قم فتكلم بكلام تنال فيه من الأنصار ففعل ذلك فقام الفضل بن العباس فرد عليهم ثم صار الى على عليه السلام فأخبره وأنشده شعراً قاله فخرج على مغضباً حتى دخل المسجد فذكر الأنصار بخير وردّ على عمرو بن العاص قوله فلما علمت الانصار ذلك سرّها وقالت ما نبالى بقول من قال مع حسن قول على واجتمعت الى حسان بن ثابت فقالوا أجب الفضل فقال إن عارضته بغير قوافيه فضحنى فقالوا فاذكر علياً فقط ، فقال :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه أبا حسن عنا ومن كأبى حسن
سبقت قريشاً بالذى أنت أهله فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
تمنت رجال من قريش أعزة مكانك هيهات الهزال من السمن
وأنت من الإسلام فى كل منزل بمنزلة الطرف البطين من الرسن
وكنت المرجى من لوى بن غالب لما كان منه والذى بعد لم يكن
حفظت رسول الله فينا وعهده اليك ومن أولى به منك من ومن
ألست أخاه فى الاخا ووصيه وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن

وتنبأ جماعة من العرب . وارتد جماعة ووضعوا التيجان على رؤوسهم وامتنع قوم من دفع الزكاة الى أبى بكر ، وكان ممن تنبأ طليحة بن خويلد الأسدى بنواحيه وكان أنصاره غطفان ورئيسهم عيينة بن حصن الفزارى ، والأسود العنسى باليمن ومسيلمة بن حبيب الحنفى باليمـــامة ، وسجاح بنت الحارث التميمية ثم تزوجت بمسيلمة وكان الاشعث بن قيس مؤذنها . فخرج أبو بكر فى جيشه

الى ذي القصة (١) ودعا عمرو بن العاص فقال ياعمرو إنك ذورأى قريش وقد تنبأ طليحة فما ترى فى علي قال لايطيعك قال فالزبير قال شجاع جسر قال فطلحة قال للخفض والطعن قال فسعد قال محش حرب قال فعثمان قال أجلسه واستعن برأيه قال فخالد بن الوليد قال بسوس للحرب نصير للموت له أناة القطاة ووثوب الأسد ، فلما عقد له قام ثابت بن قيس بن شماس وقال (يامعشر قريش أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له أما والله ما نحن عمياً عما نرى ولا صماً عما نسمع ولكن أمرنا رسول الله بالصبر فنحن نصبر) وقام حسان فقال :

يا للرجال لخلفة الأطوار ولما أراد القوم بالأنصار

لم يدخلوا منا رئيساً واحداً ياصاح فى نقض ولا إمرار

فعظم على أبى بكر هذا القول فجعل على الأنصار ثابت بن قيس وأنفذ خالداً على المهاجرين فقصد طليحة ففرق جمعه وقتل خلقاً من أتباعه وأخذ عيينة ابن حصن فبعث به الى أبى بكر مع ثلاثين أسيراً وهو مكبل بالحديد فجعل الصبيان يصيحون به لما دخل المدينه يا مرتد فيقول ما أمنت طرفة عين قط فاستتابه وأطلق سبيله ولحق طليحة بالشأم وجاور بنى حنيفة وبعث بشعر الى أبى بكر يعتذر اليه ويراجع الإسلام يقول فيه :

فهل يقبل الصديق أنى مراجع ومعط بما أحدثت من حدث يدى

وأنى من بعد الضلالة شاهد شهادة حق لست فيها بملحد

فلما انتهى قوله الى أبى بكر رق له وبعث اليه فرجع ، وقد هلك أبو بكر وقام عمر على قبره وبعث به مع سعد بن أبى وقاص الى العراق وأمره أن لا يستعمله .

---

(١) ـ ذو القصة بفتح القاف موضع على أربعة وعشرين من المدينة المشرفة (تاج العروس)

وأما الأسود بن عنزة (١) العبسي فقد كان تنبأ على عهد رسول الله ﷺ فلما بويع أبو بكر ظهر أمره واتبعه على ذلك قوم فقتله قيس بن مكشوح المرادى وفيروز الديلمى دخلا عليه منزله وهو سكران فقتلاه .

وقد كان ابو بكر عقد لشرحبيل بن حسنة وأمره ان يقصد لمسيلمة الكذاب وإلا يأتيه برأيه ثم عقد لخالد وبعثه على شرحبيل فكتب خالد الى شرحبيل أن لا تعجل حتى آتيك ، ونفذ خالد بن الوليد مسرعاً إلى اليمامة الى مسيلمة الحنفى الكذاب وكان قد أسلم ثم تنبأ فى سنة عشر وزعم أنه شريك لرسول الله ﷺ فى النبوة وكان كتب الى رسول الله (ص) إنى أشركت معك فلك نصف الأرض ولى نصفها ولكن قريش قوم لا يعدلون فكتب اليه رسول الله ﷺ (من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) فلقى خالد مجاعة فى جماعة فأسرهم وضرب أعناقهم واستبقى مجاعة وزحف الى مسيلمة فخرج مسيلمة فقاتله بمن معه من ربيعة وغيرها قتالاً شديداً وقتل من المسلمين خلق عظيم ثم قتل مسيلمة فى المعركة طعنه أبو دجانة الأنصارى فمشى اليه مسيلمة فى الرمح فقتله ورماه وحشى بحربته فقتله وهو يومئذ ابن مائة وخمسين سنة وأتى بمجاعة الحنفى الى خالد فأوهمه أن فى الحصن قوماً بعد وقال ما أتاك إلا سرعان الناس ، ودعا الى الصلح فصالحهم خالد على الصفراء والبيضاء ونصف السبي ثم نظروا وليس فى الحصن أحد إلا النساء والصبيان فألبسهم السلاح ووقفهم على الحصون ثم أشار الى خالد فقال أبو على فتأخذ الربع ففعل ذلك خالد وقبل منهم فلما فتحت الحصون لم يجدوا إلا النساء والصبيان فقال أمكراً يا مجاعة قال إنهم قومى وأجاز لهم وافتتحت

---

(١) ـ كذا فى الأصل ، وذكره ابن الأثير فى الكامل فى حوادث سنة ١١ وسماه عيهلة بن عوف بن كعب العنسى ـ بالنون ـ وعنس بطن من مذحج ، وكان يلقب ذا الخمار لأنه كان معتماً متخمراً أبداً . (م . ص)

اليمامة وهربت سجاح فماتت بالبصرة ، وكان فتح مسيلمة فى سنة إحدى عشرة وقتل فى شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة ، وخطب خالد إلى مجاعة ابنته فزوجه إياها ، فكتب اليه ابو بكر تتوثب على النساء وعند أطناب بيتك دماء المسلمين .

وأمر ابو بكر خالداً أن يسير الى العراق فسار ومعه المثنى بن الحارثة حتى صار الى مدينة « بانقيا » فافتتحها وسبى من فيها ثم صار الى مدينة « كسكر » فافتتحها وسبى من فيها . ثم سار حتى لقى بعض ملوك الأعاجم يقال له « جابان » فهزمه وقتل أصحابه ثم سار حتى انتهى الى فرات بادقلى يريد (الحيرة) وملكها النعمان فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم النعمان فلحق بالمدائن ، ونزل خالد (الخورنق) وسار حتى صير الحيرة خلف ظهره وكانوا على محاربته ثم دعوا الى الصلح فصالحهم على سبعين الفاً عن رؤوسهم (وقيل) مائة الف درهم .

وتجرد أبو بكر لقتال من ارتد ، وكان ممن ارتد وممن وضع التاج على رأسه من العرب (النعمان) بن المنذر بن ساوى التميمى بالبحرين فوجه العلاء بن الحضرمى فقتله « ولقيط » بن مالك ذو التاج بعمان وجه اليه حذيفة بن محصن فقتله بصحار من أرض عمان ، وكان ذو التاج « . . (١) . . . » من بنى ناجية وبشر كثير من عبد القيس فقتل الله ذا التاج وسبى المسلمون ذراريهم وبعثوا بها الى ابى بكر فباعها باربع مائة درهم . ثم وجه لقتال من منع الزكاة وقال لو منعونى عقالاً لقاتلتهم ، وكتب الى خالد بن الوليد أن ينكفىء الى مالك بن نويرة اليربوعى فسار

(١) بياض فى الأصل ، قال ابن الأثير فى الكامل ج ٢ ص ١٤٣ « جمع لقيط ذو التاج جموعه وعسكر بدبا وخرج جيفر وعياذ وعسكرا بصحار وارسلا الى حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما . . فاقتتلوا وجاءت المسلمين موادهم العظمى من بنى ناجية) الخ .

اليهم (وقيل) انه كان نداهم (١) فأتاه مالك بن نويرة يناظره واتبعته امرأته فلما رآها خالد أعجبته فقال والله لا نلت ما فى مثابتك حتى أقتلك فنظر مالكا فضرب عنقه وتزوج امرأته فلحق ابو قتادة بابى بكر فاخبره الخبر وحلف أن لا يسير تحت لواء خالد لأنه قتل مالكا مسلماً ، فقال عمر بن الخطاب لأبى بكر يا خليفة رسول الله ان خالداً قتل رجلا مسلماً وتزوج امرأته من يومها فكتب ابو بكر الى خالد فأشخصه فقال يا خليفة رسول الله انى تأولت وأصبت وأخطأت وكان متمم بن نويرة شاعراً فرثى أخاه بمراث كثيرة ولحق بالمدينة الى أبى بكر فصلى خلف ابى بكر صلاة الصبح فلما فرغ ابو بكر من صلاته قام متمم فاتكأ على قوسه ثم قال :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت　　خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور

أدعوته بالله ثم غدرته　　لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال ما دعوته ولا غدرت به ، وكتب ابو بكر الى زياد بن لبيد البياضى فى قتال من ارتد باليمن ومنع الزكاة فقاتلهم ، وكان لكندة ملوك عدة يتسمون بالملك ولكل واحد منهم حمى لا يرعاه غيره فأغار زياد ليلا وهم فى محاجرهم فأصاب الملوك (جمداً ومخوصاً ومشرح وأبضعة) وسبى النعم وسبايا كثيرة فعارضهم الأشعث بن قيس فانتزع السبايا من أيديهم وانتهى الى ابى بكر بارتداد الأشعث ومافعل فوجه عكرمة بن أبى جهل فى جيش لمحاربتهم فوافى وقد حصرهم زياد بن لبيد والمهاجر بن أبى أمية وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغنموا غنائم كثيرة فقال المهاجر وزياد لمن معهما قد قدم اخوانكم من الحجاز فأشركوهم وأعطوهم وطلب الأشعث الصلح وأخذ الأمان لعشيرته ونسى نفسه فلما قرأ عكرمة الصحيفة وليس فيها اسم الأشعث كبر وأخذه فاتى به أبا بكر فى وثاق فمن عليه أبو بكر وأطلق سبيله وزوجه أم فروة أخته .

(١) كذا فى الأصل ، ولعله تصحيف (بدأهم)　　(م . ص)

وأراد ابو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقدموا وأخروا فاستشار على بن أبى طالب عليه السلام فأشار أن يفعل فقال ان فعلت ظفرت فقال بشرت بخير ، فقام أبو بكر فى الناس خطيباً وأمرهم أن يتجهزوا الى الروم فسكت الناس فقام عمر فقال لوكان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لانتدبتموه فقام عمرو بن سعيد فقال لنا تضرب أمثال المنافقين يا ابن الخطاب فما يمنعك انت ماعبت علينا فيه ، فتكلم خالد بن سعيد وأسكت أخاه فقال ما عندنا إلا الطاعة فجزاه ابو بكر خيرا ، ثم نادى فى الناس بالخروج وأميرهم خالد بن سعيد وكأن خالد من عمال رسول الله ﷺ باليمن فقدم وقد توفى رسول الله ﷺ فامتنع عن البيعة ومال الى بنى هاشم فلما عهد أبو بكر لخالد قال له عمر أتولى خالداً وقد حبس عنك بيعته وقال لبنى هاشم ما قد بلغك فوالله ما أرى أن توجهه ، وحل لواءه ودعا يزيد بن أبى سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص فعقد لهم وقال اذا اجتمعتم فأمير الناس أبو عبيدة وقدمت عليه العشاير من اليمن فانفذهم جيشاً بعد جيش فلما قدمت الجيوش الشام كتب اليه أبو عبيدة يعلمه إقبال ملك الروم فى خلق عظيم فجعل يسرح اليه الجيش بعد الجيش والأول فالأول ممن يقدم عليه من قبائل العرب ثم تتابعت عليه كتب أبى عبيدة بكل أخبار جمع الروم فوجه أبو بكر عمرو بن العاص فى جيش من قريش وغيرهم ثم كتب أبو بكر الى خالد بن الوليد أن يسير الى الشأم ويخلف المثنى بن حارثة بالعراق فنفذ خالد فى أهل القوة ممن كان معه وخلف المثنى بن حارثة الشيبانى فى بقية الجيش بالعراق وسار خالد الى الشأم فلما صار الى عين التمر لقى رابطة لكسرى عليهم عقبة بن أبى هلال النمرى فتحصنوا منه ثم نزلوا على حكمه فضرب عنق النمرى ثم سار حتى لقى جمعاً لبنى تغلب عليهم الهذيل بن عمران فقدمه فضرب عنقه وسبى منهم سبايا كثيرة بعث بهم الى المدينة وبعث الى كنيسة اليهود فأخذ منهم عشرين غلاماً وصار الى

الأنبار فاخذ دليلا يدله على طريق المفازة فمر بتدمر فتحصن أهلها فاحاط بهم ففتحوا له وصالحهم ثم مضى الى حوران فقاتلهم قتالا شديداً .

فقيل إن خالداً سار فى البرية والمفازة ثمانية أيام حتى وافاهم فافتتحوا (بصرى وأجنادين) من فلسطين وكانت بينهم وبين الروم وقعات باجنادين صعبة فى كل ذلك يهزم الله الروم وتكون العاقبة للمسلمين .

وروى بعضهم: أن خالد بن الوليد صار الى غوطة دمشق ثم فرعها الى ثنية ومعه راية بيضاء تدعى (العقاب) فبها سميت ثنية العقاب وصار الى حوران فقصد مدينة (بصرى) فحاربهم فسألوه الصلح فصالحهم ثم صار الى (أجنادين) وبها جمع للروم فحاربهم محاربة شديدة وتفرق جمع الكفرة، وكانت وقعة أجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة .

وبعث أبو بكر عثمان بن أبى العاص وندب معه عبد القيس فسار فى جيش الى توّج فافتتحها وسبى أهلها وافتتح مكران وما يليها ، ووجه العلاء بن الحضرمى فى جيش فافتتح (الزرارة) وناحيتها من أرض البحرين وبعث الى أبى بكر بالمال فكان أول مال قسمه أبو بكر فى الناس بين الأحمر والأسود والحر والعبد ديناراً لكل انسان .

وقدم أياس بن عبد الله بن الفجاءة السلمى على أبى بكر فقال يا خليفة رسول الله إنى قد اسلمت فاعطاه أبو بكر سلاحاً فخرج من عنده فبلغه أنه يقطع الطريق فكتب الى طريفة بن حاجزة إن عدو الله ابن الفجاءة خرج من عندى فبلغنى أنه قطع الطريق وأخاف السبيل فسر اليه حتى تأخذه ، وتقدم طريفة فسار اليه فقتل قوماً من أصحابه ثم لقيه فقال إنى مسلم وإنه مكذوب علىّ فقال طريفة فان كنت صادقاً فاستأسر حتى تأتى أبا بكر فتخبره فاستأسر فلما قدم به على أبى بكر أخرجه الى البقيع فحرقه بالنار وحرق أيضاً رجلا من بنى أسد يقال له (شجاع) بن ورقاء كان ينكح . . . .

وقال عمر بن الخطاب لأبي بكر يا خليفة رسول الله ان حملة القرآن قد قتل اكثرهم يوم اليمامة فلو جمعت القرآن فاني أخاف عليه أن يذهب حملته فقال أبو بكر أفعل مالم يفعله رسول الله فلم يزل به عمر حتى جمعه وكتبه في صحف وكان مفترقاً في الجريد وغيرها وأجلس خمسة وعشرين رجلا من قريش وخمسين رجلا من الأنصار وقال اكتبوا القرآن واعرضوا على سعيد بن العاص فانه رجل فصيح .

(وروى بعضهم) أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان جمعه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأتى به يحمله على جمل فقال هذا القرآن قد جمعته وكان قد جزأه سبعة أجزاء :

(فالجزء الأول) البقرة وسورة يوسف والعنكبوت والروم ولقمان وحم السجدة والذاريات وهل أتى على الإنسان وآلم تنزيل السجدة والنازعات واذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت وسبح اسم ربك الأعلى ولم يكن ، فذلك جزء البقرة ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

(الجزء الثاني) آل عمران وهود والحج والحجر والأحزاب والدخان والرحمن والحاقة وسأل سائل وعبس والشمس وضحاها وإنا أنزلناه وإذا زلزلت وويل لكل همزة لمزة وألم تر لإيلاف ، فذلك جزء آل عمران ثمان مائة وست وثمانون آية وهو خمس عشرة سورة .

(الجزء الثالث) النساء والنحل والمؤمنون ويس وحم عسق والواقعة وتبارك الملك ويا أيها المدثر وأرأيت وتبت وقل هو الله احد والعصر والقارعة والسماء ذات البروج والتين والزيتون وطس النمل ، فذلك جزء النساء ثمانمائة وست وثمانون آية وهو سبع عشرة سورة .

(الجزء الرابع) المائدة ويونس ومريم وطسم والشعراء والزخرف

والحجرات وقٓ والقرآن المجيد واقتربت الساعة والممتحنة والسماء والطارق ولا أقسم بهذا البلد وألم نشرح لك والعاديات وانا أعطيناك الكوثر وقل يا أيها الكافرون ، فذلك جزء المائدة ثمانمائة وست وثمانون آية وهو خمس عشرة سورة .

(الجزء الخامس) الأنعام وسبحان واقترب والفرقان وموسى وفرعون وحمٓ والمؤمن والمجادلة والحشر والجمعة والمنافقون ونٓ والقلم وانا أرسلنا نوحاً وقل أوحى إلى والمرسلات والضحى وألهاكم . فذلك جزء الأنعام ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

(الجزء السادس) الأعراف وابراهيم والكهف والنور وصٓ والزمر والجاثية والذين كفروا والحديد والمزمل ولا أقسم بيوم القيامة وعم يتساءلون والغاشية والفجر والليل اذا يغشى واذا جاء نصر الله ، فذلك جزء الأعراف ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

(الجزء السابع) الأنفال وبراءة وطهٓ والملائكة والصافات والأحقاف والفتح والطور والنجم والصف والتغابن والطلاق والمطففين والمعوذتين، فذلك جزء الأنفال ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

(وقال بعضهم) إن علياً قال نزل القرآن على أربعة ارباع ربع فينا وربع فى عدونا وربع أمثال وربع محكم ومتشابه .

وقسم أبو بكر بين الناس بالسوية لم يفضل أحداً على أحد وكان يأخذ فى كل يوم من بيت المال ثلاثة دراهم أجرة ، وكان تسمى خليفة رسول الله . واعتل ابو بكر فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فلما اشتدت به العلة عهد الى عمر ابن الخطاب فامر عثمان أن يكتب عهده وكتب (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عهد ابو بكر خليفة رسول الله الى المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فانى أحمد اليكم الله أما بعد: فانى قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا وإنى ما ألوتكم نصحاً والسلام) وقال لعمر بن الخطاب يا عمر أحبك محب وأبغضك

مبغض فلئن أبغض الحق فلقديماً ما ولئن استمر فى الباطل فلربمـا ، ودخل عبد الرحمان بن عوف فى مرضه الذى توفى فيه فقال كيف أصبحت يا خليفة رسول الله فقـال أصبحت موليا وقد زدتمونى على ما بى إذ رأيتمونى استعملت رجلا منكم فكلكم قد أصبح ورما أنفه وكل يطلبها لنفسه ، فقال عبد الرحمان والله ما أعلم صاحبك إلا صالحاً مصلحاً فلا تأس على الدنيا قال ما آسى إلا على ثلاث خصال صنعتها ليتنى لم أكن صنعتها ، وثلاث لم أصنعها ليتنى كنت صنعتها وثلاث ليتنى كنت سألت رسول الله عنها ، فاما الثلاث التى صنعتها فليت أنى لم اكن تقلدت هذا الأمر وقدمت عمر بين يدى فكنت وزيرا خيرا منى أميرا وليتنى لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب ، وليتنى لم أحرق الفجاءة السلمى إما أن اكون قتلته سريحاً أو أطلقته نجيحاً ، والثلاث التى ليت انى كنت فعلتها فليتنى قدمت الأشعث بن قيس وضربت عنقه فانه تخيل إلى انه لا يرى شيئاً من الشر إلا أعان عليه ، وليت أنى بعثت أبا عبيدة الى المغرب وعمر الى أرض المشرق فأكون قدمت يدى فى سبيل الله وليت أنى ما بعثت خالد بن الوليد الى براخة ولكن خرجت فكنت ردءاً له فى سبيل الله ، والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله عنهن فلمن هذا الأمر فلا ننازعه فيه وهل للأنصار فيه من شىء ، وعن العمة والخالة أيورثان أو لا يورثان ، وإنى ما أصبت من دنيا كم بشىء ولقد أقمت نفسى فى مـال الله وفىء المسلمين مقام الوصى فى مال اليتيم ان استغنى تعفف وان افتقر أكل بالمعروف وان والى الأمر بعدى عمر بن الخطـاب ، وانى استسلفت من بيت المال مالا فاذا مت فليبع حائطى فى موضع كذا وليرد الى بيت المـال ، وأوصى ابو بكر بغسله أسماء بنت عميس امرأته فغسلته ودفن ليلا وورثه ابو قحافة السدس .

وكان الغالب على ابى بكر عمر بن الخطاب . وكانت وفاته يوم الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة ومن شهور العجم فى آب .

(وقيل) لليلتين بقيتا منه سنة ثلاث عشرة، وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن فى البيت الذى فيه قبر رسول الله ﷺ وكان له يوم توفى ثلاث وستون سنة. وكان له من الولد الذكور ثلاثة، توفى أحدهم فى حياته وهو عبدالله وخلف اثنين محمدا وعبد الرحمن. وكان حاجبه مولاه سديد، وكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر وحج بالناس سنة اثنتى عشرة، وكان عمال ابى بكر لما توفى عتاب بن أسيد فى مكة. وعثمان بن أبى العاص على الطائف، ورجل من الانصار على اليمامة. وحذيفة بن محصن على عمان والعلاء بن الحضرمى على البحرين، وخالد بن الوليد على جيش الشأم، والمثنى بن حارثة الشيبانى على الكوفة، وسويد بن قطبة على البصرة.

صفة أبى بكر

وكان أبو بكر أبيض نحيفاً خفيف العارضين أحنى لا يستمسك أزاره على حقويه معروق الوجه غائر العينين عارى الاشاجع يخضب لحيته بالحناء والكتم.

وكان من يؤخذ عنه الفقه فى أيام أبى بكر على بن أبى طالب عليه السلام وعمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وأُبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبدالله ابن مسعود.

أيام عمر بن الخطاب

ثم استخلف عمر بن الخطاب - بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبدالله ابن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم - يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة

(وقيل) لسبع بقين منه سنة ثلاث عشرة ، وكان ذلك من شهور العجم فى آب والشمس يومئذ فى الأسد ست عشرة درجة ، والقمر فى العقرب أربعاً وعشرين درجة وعشر دقائق وزحل فى القوس ثلاثين درجة راجعاً ، والمشترى فى الحوت تسع درجات وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمريخ فى الثور إحدى وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والزهرة فى الحوت تسع درجات ، وعطارد فى السنبلة عشر درجات وثلاثين دقيقة ، والرأس فى القوس اثنتى عشرة درجة وخمساً وثلاثين دقيقة .

فصعد المنبر فجلس دون مجلس أبى بكر بمرقاة وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى وذكر أبا بكر وفضله وترحم عليه ، ثم قال : (ما أنا إلا رجل منكم ولولا إنى كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله لما تقلدت أمركم) فأثنى الناس عليه خيراً .

وكان أول ما عمل به عمر أن رد سبايا أهل الردة الى عشائرهم وقال انى كرهت أن يصير السبى سنة على العرب ، وكتب عمر الى أبى عبيدة بن الجراح يخبره بوفاة أبى بكر مع يرفأ مولاه وكتب بعقده وولايته على الشام مكان خالد ابن الوليد مع شداد بن أوس ، وصير خالداً موضع أبى عبيدة .

وكان عمر سىء الرأى فى خالد على أنه ابن خاله لقول كان قاله فى عمر وقد كان خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين فتحوا (مرج الصفر) من أرض دمشق وحاصروا مدينة دمشق قبل وفاة أبى بكر باربعة أيام فستر أبو عبيدة الخبر عن خالد حتى ورد كتاب ثان من عمر على أبى عبيدة يأمره أن يتوجه الى (حمص) ونواحى الشام فعلم بذلك خالداً فقال رحم الله أبا بكر لو كان حياً ما عزلنى ، وكتب عمر الى أبى عبيدة إن كذب خالد نفسه فيما كان قاله عمله وإلا فانزع عمامته وشاطره ماله فشاور خالد أخته فقالت والله ما أراد ابن حنتمة إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك من عملك فلا تفعلن فلم يكذب نفسه فقام بلال

فنزع عمامته وشاطره أبو عبيدة ماله حتى نعله فافرد واحـــدة عن الأخرى وأقاموا على ما كانوا عليه فى حصار دمشق حولا كاملا واياماً ، وكان أبو عبيدة بباب الجابية وخالد بباب الشرقى وعمرو بن العاص بباب توماويزيد بن أبى سفيان بباب الصغير فلما طال على صاحب دمشق الأمر أرسل الى أبى عبيدة فصالحـه وفتح له باب الجابية وألح خالد على باب الشرقى لمـا بلغه أن أبا عبيدة عزم على أن يصالح القوم وأن القوم قد وثقوا به للصلح ففتحه عنوة فقال خالد لأبى عبيدة اسبهم فإنى دخلتها عنوة فقال لا قد أمنتهم ، ودخل المسلمون المدينة وتم الصلح وذلك فى رجب سنة أربع عشرة .

(وروى الواقدى) أن خالد بن الوليد صالحهم وكتب للأسقف كـتاباً للصلح وأعطاهم الأمان فأجاز أبو عبيدة ذلك .

وفى هذه السنة سن عمر قيام شهر رمضان وكتب بذلك الى البلدان وأمر أبى بن كعب وتميم الدارى أن يصليا بالناس فقيل له فى ذلك إن رسول الله لم يفعله وان أبا بكر لم يفعله فقال إن تكن بدعة فما احسنها من بدعة (١) .

ووجه أبو عبيدة عمرو بن العاص الى الأردن وفلسطين لجمـع القوم

---

(١) الذى ذكره البخارى فى صحيحه ج ٣ فى باب فضل من قام رمضان ما رواه عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمان بن عبد القارى أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب (رض) ليلة فى رمضان الى المسجـد فاذا النـاس اوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط فقال عمر إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لـكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعم البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله وفى تاريخ ابن الأثير (ج ٣ ص ٢٣) عن الواقدى إنه أول من جمع الناس على إمام يصلى بهم التراويح فى شهر رمضـان وكتب به الى البـلدان وأمرهم به ، وعد ذلك السيوطى فى (تاريخ الخلفاء) من أوليات عمر (رض)　　(م . ص)

جموعاً ليدفعوا عمراً وأصحابه فوجه أبو عبيدة الى عمرو وشرحبيل بن حسنة
وتوجه أبو عبيدة نحو جمع الروم ففتح الأردن عنوة ما خلا طبرية فان أهلها
صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، وكان المتولى لذلك شرحبيل بن حسنة
وقد كان الروم لما بلغهم إقبال أبي عبيدة تحولوا الى فحل فعبأ أبو عبيدة المسلمين
فجعل على ميمنته معاذ بن جبل وعلى ميسرته هاشم بن عتبة وعلى الرجالة سعد بن
زيد وعلى الخيل خالد بن الوليد وأقبلت الروم فكان أول من لقيهم خالد فهزم
الله الروم وطلبوا الصلح على أن يؤدوا الجزية فاجابهم أبو عبيدة الى ذلك
وانصرف وخلف عمرو بن العاص على باقي الأردن ووجه بخالد على مقدمته
الى بعلبك وأرض البقاع فافتتحها وصار الى حمص ولحقه أبو عبيدة فحصروا
أهل حمص حصاراً شديداً ثم طلبوا الصلح فصالحهم عن جميع بلادهم على أن
عليهم خراج مائة وسبعين الف دينار ثم دخل المسلمون المدينة وبث أبو عبيدة
عماله فى نواحى حمص ثم أتاه خبر ما جمع طاغية الروم من الجموع فى جميع البلدان
وبعثه اليهم من لا قبل لهم به فرجع الى دمشق وكتب الى عمر بن الخطاب بذلك
وكتب اليهم عمر أنه قد كره رجوعكم من أرض حمص الى دمشق ، وجمع أبو
عبيدة اليه المسلمين وعسكر باليرموك وكان جبلة بن الأيهم الغسانى على مقدمة
الروم فى جيش من قومه وجعل أبو عبيدة خالد بن الوليد على مقدمته فواقع
المشركين ولقى ماهان صاحب الروم واقتتلوا قتالا شديداً ولحقه أبو عبيدة
والمسلمون وكانت وقعة جليلة الخطب فقتل من الروم مقتلة عظيمة وفتح الله على
المسلمين ، وكان ذلك فى سنة خمس عشرة . وأوفد أبو عبيدة الى عمر وفداً فيهم
حذيفة بن اليمان وقد كان عمر أرق عدة ليال واشتد تطلعه الى الخبر فلما ورد
عليه الخبر خر ساجداً وقال الحمد لله الذى فتح على أبى عبيدة فوالله لو لم يفتح
لقال قائل لو كان خالد بن الوليد ، ورجع أبو عبيدة الى حمص ووجه بخالد فى
آثار الروم حتى صار الى قنسرين وانتهى الى حلب فتحصن أهلها وجاء أبو

عبيدة حتى نزل عليها وطلبوا الصلح والأمان فقبل أبو عبيدة ذلك منهم وكتب أماناً ووجه بمالك بن الحارث الأشتر على جمع الى الروم وقد قطعوا الدرب فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم انصرف وقد عافاه الله وأصحابه ورجع أبو عبيدة نحو الأردن فحاصر أهل إيلياء - وهو بيت المقدس - فامتنعوا عليه وطاولوه ووجه أبو عبيدة عمرو بن العاص الى قنسرين فصالحهم أهل حلب وقنسرين ومنبج ووضع عليهم الخراج على نحو ما فعل أبو عبيدة بحمص وجمعت غنائم اليرموك بالجابية وكتبوا الى عمر فكتب اليهم لا تحدثوا فيها حدثاً حتى تفتحوا بيت المقدس ؛ وكان جبلة بن الأيهم الغسانى لما انهزمت الروم من اليرموك صار الى موضعه فى جماعة قومه فارسل اليه يزيد بن أبي سفيان أن اقطع على ارضك بالخراج وأداء الجزية فقال إنما يؤدى الجزية العلوج وأنا رجل من العرب .

وكان عمر قد بعث أبا عبيد بن مسعود الثقفى فى جيش مع المثنى بن حارثة الشيبانى الى العراق وكان كسرى قد توفى وقامت بوران ابنته بالملك وصيرت رستم والفيرزان القيمين بامر الملك وكانا ضعيفين مهينين فتقدم أبو عبيد الثقفى فلقى مسلحة من مسالح الفرس فاوقع بهم واقتتلوا قتالا شديداً ثم أظفر الله المسلمين بهم ومنحهم اكتافهم وبعث اليهم رستم لما بلغه الخبر برجل يقال له (جالينوس) فالتقوا بموضع يقال له (باروسما) فانهزمت الفرس وافتتح أبو عبيد باروسما فوجه اليهم رستم بذى الحاجب وبعث معه بالفيل فاقتتلوا قتالا شديداً فجعلت خيل المسلمين تنفر من الفيل فشد عليه أبو عبيد الثقفي بالسيف فقطع مشفره وبرك عليه الفيل فقتله ، وقام بالجيش المثنى بن حارثة الشيبانى فلما انتهى الخبر الى عمر اشتد غمه بذلك وقدم جرير عبدالله بن البجلى من اليمن فى ركب من بجيلة رئيسهم عرفجة بن هرثمة - حليف لهم من الأزد - فامرهم عمر بالنفود الى العراق وأمر عليهم عرفجة فغضب جرير وقال والله ما الرجل منا فقال عرفجة صدق فوجه عمر جرير بن عبدالله فقدم الكوفة

ثم خرج منها فواقع مرزبان بـ (المذار) فقتله وانهزم جيشه وغرق اكثرهم في دجلة ثم صار الى (النخيلة) وبها مهران فى جمعه فواقعه فاقتتلوا قتالا شديداً وشد المنذر بن حسان على مهران فطعنه فالقاه عن دابته فبادر جرير فاحتز رأسه فاختصما فى سلبه فاخذ جرير السلاح والمنذر المنطقة وذلك فى سنة أربع عشرة فلما رأت الفرس ماهم فيه من الضعف والمهانة وظهور المسلمين عليهم اجتمعوا على قتل رستم والفيرزان ثم قالوا ان فى هذا إشتاتاً لأمرنا فطلبوا ابن كسرى حتى وجدوا (يزدجرد) وهو ابن عشرين سنة فملكوه عليهم فضبط أمورهم وحسن تدبيره واشتدت المملكة وقوى أمر الفرس وأخرجوا المسلمين عن المروج فارتد أهل السواد وخرقوا العهود التى كانت فى أيديهم وصار المسلمون فى الأطراف فلما بلغ ذلك عمر أراد الخروج الى العراق ثم استشار فاشير عليه بسعد بن أبى وقاص فوجهه بثمانية آلاف فسار حتى نزل (القادسية) .

ووجه عتبة بن غزوان الى كور دجلة والأبلة وأبر قباذ وميسان ففتحها واختط البصرة وبنى مسجدها بالقصب (وقد قيل) ان عمر وجهه لذلك وأقام سعد بالقادسية ثم ظفر المسلمون ببنت (ازاذ مرد) وهى تزف على بعض الملوك وأخذوا ما كان معها من الأموال والأثقال وفرقوها على المسلمين فطابت أنفسهم وحسنت قوتهم .

ثم وجه سعد الى كسرى بالنعمان بن مقرن وجماعة معه يدعونه الى الاسلام فدخلوا عليه فى أحسن زى وعليهم البرود والنعل فأخبروه بما وجههم له سعد ودعوه الى الاسلام والى شهادة الحق والى أداء الجزية فأغضبه ذلك ودعا بتليس تراب فقال احملوه على رأس سيدهم فلولا أن الرسل لا تقتل لقتلتهم فقال عاصم ابن عمرو التميمى أنا سيد القوم فحملوه التراب فمضى مسرعاً وقال قد ظفرنا والله بهم ووطئنا أرضهم وبلغ رستم الخبر فغلظ ذلك عليه وقال ما لابن الحجامة ولتدبير الملك (ويقال) إن أم يزدجرد كانت حجامة ثم وجه رسلا فى آثارهم

ففاتوا الرسل فاشتد رعب كسرى والفرس منهم وأمر رستم أن يتوجه اليهم فكره ذلك لحمل عليه بالقول حتى خرج وهو مكره فلما صار الى (النجف) وجه الى سعد أن ابعث إلى بقوم من عندكم لاناظرهم فأرسل سعد المغيرة بن شعبة وبشر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وربعي بن عامر وقرفة بن زاهر ومذعور بن عدى ومضارب بن يزيد وشعبة بن مرة وكانوا من دهاة العرب فدخلوا عليه رجلا رجلا يقول كل واحد منهم مثل مقالة صاحبه ويدعونه الى الاسلام أو أداء الجزية فتبينوا فيه أنه يهوى الدخول فى الاسلام ويخاف من اصحابه وكلما عرض على واحد منهم لم ير عنده مسارعة ثم خرج رستم فى التعبية للجيش وجلس على سرير من ذهب وأقام مصافه وعدل أصحابه وايقن بالهلكة وكان منجما ، وكتب الى أخيه (بسم الله ولى الرحمة من الاصبهبذ رستم الى أخيه أما بعد فانى رأيت المشترى فى هبوط والزهرة فى علو وهو آخر العهد منك والسلام عليك الدهر الدائم) .

وخطب سعد بن أبي وقاص المسلمين فرغبهم فى الجهاد وأعلمهم ما وعد الله نبيه من النصر وإظهار الدين ورغب كل رجل من المسلمين صاحبه وأنشبت الحرب بينهم بعد صلاة الظهر واقتتلوا قتالا شديداً وحسن بلاء المسلمين وغناؤهم ، وكان سعد يومئذ عليلا فصار الى قصر العذيب فنزله وتحصن فيه فبلغ رستم فوجه خيلا فاحدقت بالقصر فلما بلغ المسلمين ذلك صاروا الى القصر فانهزم أصحاب رستم ثم أصبحوا من غد فوافاهم ستة آلاف من جيش أبى عبيدة بن الجراح وهم الذين كانوا مع خالد بن الوليد خمسة آلاف من مضر وربيعة والف من أفناء المسلمين عليهم المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ـ وكان فتح الشأم قبل القادسية بشهر ـ فاصبحوا فى اليوم الثالث على مواقفهم وأخرج رستم الفيلة فلما نظرت اليها الكتائب كادت أن تفترق ثم حمل المسلمون عليها ففقؤا أعينها وقطعوا مشافرها وزحف المسلمون وأصبحوا فى اليوم الرابع وللمسلمين

العلو وقتل رستم وقع عليه عدل كان على بغل فقتله وكان الذى طرح عليه العدل هلال بن علفه وصعد على سريره وصاح قتلت رستم ورب الكعبة إلى إلى .

(وقيل) قتله زهير بن عبد شمس ابن أخى جرير بن عبدالله ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وانكشفوا مدبرين وجمعت الأموال والأسلاب وبيع سلب رستم فبلغ سهم الرجل لكل فارس أربعة عشر الفاً وسهم الراجل سبعة آلاف ومائة ورضخ لعيال الشهداء من صلب الفىء ورضخ للنساء من صلب الفىء فأما العبيد فانهم عفوا ، وأوفد سعد الى عمر وفداً فأجازهم عمر ثمانين ديناراً ثمانين ديناراً وكان بالقادسية من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر سبعون رجلا ومن أهل بيعة الرضوان ومن شهد الفتح مائة وعشرون ، ومن أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونفرت جميع الفرس إلى المدائن منهزمين لا يلوون على شىء ويزدجرد الملك بها فاتبعهم سعد بالمسلمين فحاصرهم شهراً وخمسة عشر يوماً ثم خرج الفرس هاربين وفتحت المدائن (وقيل) إن ذلك كان فى سنة ست عشرة .

وفيها أرخ عمر الكتب وأراد أن يكتب التأريخ منذ مولد رسول الله ﷺ ثم قال من المبعث فأشار عليه على بن أبى طالب عليه السلام أن يكتبه من الهجرة فكتبه من الهجرة

وتوجه عتبة بن غزوان إلى عمر واستخلف على البصرة مجاشع بن مسعود السلمى والمغيرة بن شعبة فى الجيش فلما شخص عتبة جاء من كان بميسان ومن كان بكور دجلة من الأعاجم وعليهم الفيلكان فجمع لهم المغيرة بن شعبة عدة من المسلمين فسار بهم حتى لقى الاعاجم بـ (ميسان) فهزمهم وسبى أهلها عنوة وكتب المغيرة بذلك الى عمر بن الخطاب فقال عمر لعتبة استعمل أهل الوبر على أهل المدر ، وكتب الى المغيرة إنك خليفة عتبة بن غزوان حتى يقوم عتبة وخرج عتبة من عند عمر فلما كان بين المدينة والبصرة توفى عتبة فكتب عمر الى المغيرة بولايته على البصرة فلما كانت وقعة (القادسية) صار المغيرة الى سعد

ثم رجع الى عمله ، وكان يختلف الى امرأة من بنى هلال يقال لها (أم جميل) زوجة الحجاج بن عتيك الثقفى فاستراب به جماعة من المسلمين فرصده ابو بكرة ونافع بن الحارث وشبل بن معبد وزياد بن عبيد حتى دخل اليها فرفعت الريح الستر فاذا به عليها فوفدوا على عمر فسمع عمر صوت ابى بكرة وبينه وبينه حجاب فقال ابو بكرة قال نعم قال اقد جئت ببشر قال انما جاء به المغيرة ثم قص عليه القصة فبعث عمر ابا موسى الأشعرى عاملا مكانه وأمره أن يشخص المغيرة فلما قدم عليه جمع بينه وبين الشهود فشهد الثلاثة وأقبل زياد فلما رآه عمر قال أرى وجه رجل لا يخزى الله به رجلا من أصحاب محمد ، فلما دنا قال ما عندك يا سلح العقاب قال رأيت أمراً قبيحاً وسمعت نفساً عالياً ورأيت أرجلا مختلفة ولم أر الذى مثل الميل فى المكحلة فجلد عمر أبا بكرة ونافعاً وشبل بن معبد فقام ابو بكرة وقال أشهد أن المغيرة زان فاراد عمر أن يجلده ثانية فقال له على عليه السلام إذن توفى صاحبك حجارة ، وكان عمر اذا رأى المغيرة قال يامغيرة ما رأيتك قط الا خشيت أن يرجمنى الله بالحجارة ، وكان بالبصرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه ثمانية وستون رجلا .

(رجع الحديث) الى خبر أبى عبيـــدة بن الجراح وحصاره أهل بيت المقدس لأنا جعلنا كل خبر فى سنته ووقته ، وكتب ابو عبيدة الى عمر يعلمه مطاولات أهل ايلياء وصبرهم (وقال بعضهم) ان أهل ايلياء سألوه أن يكون الخليفة المصالح لهم فاخذ عليهم العهود والمواثيق وكتب الى عمر فخرج الى الشام واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وقرب خالداً وأدناه وأمره فسار فى الناس على مقدمته وذلك فى رجب سنة ست عشرة فنزل (الجابية) من أرض دمشق ثم صار الى بيت المقدس فافتتحها صلحاً وكتب لهم كتاباً (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً)

وأشهد شهوداً وأتاه عمرو بن العاص بالطلاء فقال كيف يصنع هذا ؟ فقال يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه فقال ما أرى بذلك بأساً .

واختلف القوم فى صلح بيت المقدس فقالوا صالح اليهود وقالوا النصارى والمجمع عليه النصارى ، وقام اليه بلال فقال يا أمير المؤمنين إن أمراء أجناد الشأم ما يأكلون إلا لحوم الطير والخبز النقى وما يجد ذلك عامة الناس ؟ فاخذ عمر أمراء الشام بان ضمنوا له القوت للمسلمين فى كل يوم خبزين لكل رجل وما يصلحه من الخل والزيت ، وأمر عمر أن يقسم الغنائم بين الناس بالسوية خلا لخم وجذام، وقال لاأجعل من خرج من الشقة الى عدوه كمن خرج من بيته ، فقام اليه رجل فقال إن كان الله جعل الهجرة الينا فخرجنا من بيوتنا الى عدونا نحرم حظنا . ومر عمر راجعاً الى المدينة فمر على قوم قد أقيموا يعذبون فى الخراج فقال عمر دعوهم لاتعذبوهم فانى سمعت رسول الله يقول: إن الذين يعذبون الناس فى الدنيا يعذبهم الله فى الآخرة يوم القيامة فارسل اليهم فخلى سبيلهم فاتاه جبلة ابن الأيهم فقال له تأخذ منى الصدقة كما تصنع بالعرب؟ قال بل الجزية وإلا فالحق بمن هو على دينك فخرج فى ثلاثين الفاً من قومه حتى لحق بأرض الروم وندم عمر على ما كان منه فى أمره .

ووجه عمرو بن العاص فقال له يا أمير المؤمنين تأذن لى فى أن أصير الى مصر فإنا إن فتحناها كانت قوة للمسلمين وهى من أكثر الأرض أموالا وأعجزه عن القتال ولم يزل يعظم أمرها فى نفسه ويهون عليه فتحها حتى عقد له على أربعة آلاف كلهم من عك وقال له سيأتيك كتابى سريعاً فان لحقك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخل شيئاً من أرضها فانصرف فان دخلتها ثم جاءك كتابى فامض واستعن بالله، وسار عمرو مسرعاً فلما كان بـ (رفح) وهى آخر عمل فلسطين أتاه رسول عمر ومعه كتاب فلم يفض الكتاب ونفذ حتى صار الى قرية بالقرب من الـ (عريش) وقرأ الكتاب ثم قال من أين هـــذه

القرية ؟ قالوا من مصر قال فان أمير المؤمنين أمرنى إن أتانى كتابه وقد دخلت شيئاً من أرض مصر أن امضى لوجهى وأستعين بالله ، حتى أتى الـ (فرماء) فقاتلوه نحواً من ثلاثة أشهر ثم فتح الله عليه ومضى حتى صار الى (أم دنين) فقاتلوه قتالا شديداً وأبطأ عنه الفتح ، وكتب الى عمر يستمده فوجه باربعة آلاف وكتب اليه إنه قد صير على كل الف رجل رجلا يقوم مقام الف رجل (منهم) الزبير ابن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة (وقيل) مسلمة بن مخلد فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم قال الزبير إنى أهب نفسى لله وأرجو أن يفتح الله على المسلمين فوضع السلم ليلا الى جانب الحصن ثم اقتحم معه جماعة وكبر المسلمون فلما استحر القتل دعوا الى الصلح (فقال بعضهم) صالح المقوقس عمرو بن العاص على دينارين دينارين لكل رجل (وقيل) لم يكن صلح وإنما افتتح عنوة ثم مضى حتى صار الى (الاسكندرية) وبها جموع الروم وعليها ثلاثة حصون فقاتلوه قتالا شديداً فطالت المدة بينهم ثلاثة أشهر وكان المقوقس قد سأل عمراً أن يصالحه عن الاسكندرية على أن يطلق من أراد منهم أن يمضى الى بلاد الروم ومن أقام فعليه ديناران خراج فأجابه الى ذلك فلما بلغ (هرقل) ملك الروم غضب . . . . . فقال المقوقس إنى قد نصحت لهم فاستغشونى فلا تجبهم الى ما اجبتنى اليه .

وخرج عمر الى مكة سنة سبع عشرة فاعتمر عمرة رجب ووسع المقام وباعده من البيت ووسع الحجر وبنى المسجد الحرام ووسع فيه واشترى من قوم منازلهم وامتنع آخرون فهدم عليهم ووضع أثمان منازلهم فى بيت المال وكان فيما هدم بيت العباس بن عبد المطلب فقال له تهدم دارى ؟ قال لأوسع بهـا فى المسجد الحرام فقال العباس سمعت رسول الله يقول : إن الله أمر داود أن يبنى له بيتاً بايلياء فبناه ببيت المقدس وكان كلما ارتفع البناء سقط فقال داود يا رب إنك أمرتنى أن أبنى لك بيتاً وإنى كلما بنيت سقط البناء فأوحى الله اليه

انى لا أقبل إلا الطيب وإنك بنيت لى فى غصب فنظر داود فاذا قطعة أرض لم يكن شراها فابتاعها من صاحبها بحكمه ثم بنى فتم البناء (قال) ومن يشهد أنه سمع هذا من رسول الله؟ فقام قوم فشهدوا قال فتحكم الينا ياأبا الفضل وإلا أمسكنا قال فانى قد تركتها لله وانصرف عمر بعد عشرين يوماً، وكان العباس يسايره وتحت العباس دابة مصعب فتقدمه فتقدمه عمر ثم وقف له حتى لحقه فقال تقدمتك وما لأحد أن يتقدمكم معشر بنى هاشم قوم . . . (١) . . . فيكم ضعف قال رآنا الله نقوى على النبوة ونضعف عن الخلافة، ثم خرج يريد الشأم حتى بلغ الى (سرغ) فبلغه أن الطاعون قد كثر فرجع فلقيه أمراء الشام وكلمه أبو عبيدة بن الجراح أشد كلام وقال أفراراً من قدر الله تعالى؟ قال عمر نعم أفر من قدر الله الى قدر الله .

وفى هذه السنة خطب عمر الى على بن أبى طالب عليه السلام أم كلثوم بنت على وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال على عليه السلام إنها صغيرة فقال إنى لم أرد حيث ذهبت لكنى سمعت رسول الله يقول: كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهرى فأردت أن يكون لى سبب وصهر برسول الله فتزوجها وأمهرها عشرة آلاف دينار .

وفى هذه السنة نزل المسلمون الكوفة واختطوا بها الخطط وبنوا المنازل (وقيل) كان ذلك فى أول سنة ثمانى عشرة ونزلها من أصحاب رسول الله ثمانون رجلا .

وأصاب الناس جدب وقحط ومجاعة شديدة فى عام الرمادة وهى سنة ثمانى عشرة فخرج عمر يستسقى وأخرج الناس وأخذ بيد العباس بن عبدالمطلب فقال (اللهم إنا نتقرب اليك بعم نبيك اللهم فلاتخيب ظنهم فى رسولك) فأسقوا .

وأجرى عمر الأقوات فى تلك السنة على عيالات قوم من المسلمين

(١) بياض فى الأصل، وفيه نقص ولعل العبارة (ولكنكم قوم فيكم ضعف)

وأمر أن تكون نفقات أولاد اللقط ورضاعهم من بيت المال .

وفى هذه السنة سمى عمر أمير المؤمنين، وكان يسمى خليفة رسول الله وكتب اليه أبو موسى الأشعرى (لعبد الله عمر أمير المؤمنين) وجرت عليه (وقيل) إن المغيرة بن شعبة دخل عليه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال لتخرجن مما قلت فقال ألسنا مسلمين قال بلى قال وأنت أميرنا قال اللهم نعم .

وكان أبو عبيدة بن الجراح قد وجه عياض بن غنم الفهرى الى الجزيرة فلم يزل يحاصر عليهم ثم افتتح الرقة وسروج والرها ونصيبين وسائر مدن الجزيرة وكانت صلحاً كلها ووضع عليها الخراج على الأرضين ورقاب الرجال ، على كل انسان أربعة وخمسة دنانير وستة ، فى سنة ثمانى عشرة فانصرف الى أبى عبيدة .

وكثر الطاعون بالشام وكان طاعون عمواس فمات أبو عبيدة بن الجراح واستخلف عياض بن غنم على حمص وما والاها من قنسرين ، ومعاذ بن جبل على الأردن ولم يلبث معاذ بن جبل إلا أياماً حتى توفى ، ومات يزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة فاقر عمر معاوية على عمل يزيد . ومات فى تلك السنة فى طاعون عمواس خمسة وعشرون الفاً سوى من لم يحصر منهم وغلا السعر واحتكر الناس فنهى عمر عن الاحتكار .

وفيها توفى الفضل بن العباس بن عبد المطلب بفلسطين وكانت فلسطين قد افتتحت خلا قيسارية ، وكان معاوية بن أبى سفيان مقيماً عليها فافتتحها سنة ثمانى عشرة (وقيل) كان بها ثمانون الف مقاتل وبعث رجلين من جذام الى عمر بالبشارة ثم أردفهما برجل من خثعم يقال له زهير وقال له إن قدرت أن تسبق الجذاميين فافعل فمر بهما الخثعمى وهما نائمان فجازهما وقدم المدينة ليلا فاتى عمر فاخبره فكبر وحمد الله ثم خرج الى المسجد وأمر بنار فاتى بها فحمد الله وأعلمهم بفتح قيسارية .

وكتب سعد بن أبى وقاص من المدائن الى عمر بعد مقامه بثلاث سنين

يعلمه اجتماع الفرس بجلولاء وهى قرية من قرى السواد بالقرب من حلوان وكتب اليه أن ينهض اليهم فيمن معه ووجه عبدالله بن مسعود فاقامه مقام سعد (وقيل) صير سلمان بالمدائن وكان ابن مسعود يفقههم ويعلمهم فكانت وقعة (جلولاء) سنة تسع عشرة (١) فلم يزل يقاتلهم حتى فتح الله عليه وقتل من الفرس مقتلة عظيمة وهرب «يزدجرد» فيمن بقى معه فلحق بـ (اصبهان) ثم سار الى ناحية الرى وأتاه صاحب «طبرستان» فاعلمه حصانة بلاده فامتنع عليه ومضى الى (مرو) وكان معه الف أسوار من أساورته والف جبار والف صناجة، فكاتب (نيزك طرخان) (٢) فعلاه بعمود فمضى منهزماً حتى دخل بيت طحان ولحقوه فقتلوه فى بيت الطحان فصارت أساورته الى بلخ ووقعت صناجته الى هراة وجباروه الى مرو.

وافترقت جموع الفرس وأذهب الله ملكهم وفرق جمعهم، ورجع سعد الى الكوفة فاختط مسجدها وقصر إمارتها، فاختط الاشعث جبانة كندة واختطت كندة حوله، واختط يزيد بن عبد الله ناحية البرية، واختطت بجيلة حوله، وشاور عمر أصحاب رسول الله ﷺ فى سواد الكوفة فقال له بعضهم تقسمها بيننا فشاور علياً عليه السلام فقال إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ولكن تقرها فى أيديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا، فقال وفقك الله هذا الرأى.

ووجه عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان فمسحا السواد وأمرهما أن لا يحملا احداً فوق طاقته، فاجتبى خراج السواد ثمانين الف الف درهم، وأجرى على عثمان بن حنيف خمسة دراهم فى كل يوم وجراباً من دقيق وأمره أن لا

(١) كذا فى الأصل، والذى ذكره المؤرخون منهم الطبرى فى التاريخ أن وقعة جلولاء كانت سنة ست عشرة.

(٢) كذا فى الأصل ولعل فى العبارة نقصاً. (م. ص)

يمسح تلا ولا أجمة ولا مستنقع ماء ولا مالا يبلغه الماء وأن يمسح بالذراع السوداء وهو ذراع وقبضه وأقام إبهامه فوق القبضة شيئاً يسيراً . فمسح عثمان كل شيء دون جبل (حلوان) الى أرض العرب وهو أسفل الفرات فكتب الى عمر إنى وجدت كل شيء بلغه الماء من عامر وغير عامر بلغه الماء عمله صاحبه أولم يبلغه « . . (١) . . » درهماً وقفيزاً وعلى الكرم عشرة دراهم ، وعلى الرطاب خمسة دراهم . وفرض على رقابهم على الموسر ثمانية وأربعين ، وعلى من دون ذلك أربعة وعشرين ، وعلى من لا يجد اثنى عشر درهماً ، وقال درهم فى الشهر لا يعوز رجلا فحمل من خراج السواد فى أول سنة ثمانون الف الف درهم وحمل من قابل عشرون الف الف درهم ؛ واجتمع الدهاقين الى عثمان بن حنيف فى الكرم فقالوا إنما فى قرب من المصر يباع العنقود منه بدرهم ؛ فكتب الى عمر ابن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر أن يحمل من هذا ويوضع على هذا بقدر الموضعين وكان عمر يأخذ الجزية من أهل كل صناعة من صناعتهم بقيمة ما يجب عليهم وكذلك فعل على عليه السلام ، وكتب عمر الى أبى موسى أن يضع على أهل البصرة من الخراج مثل ما وضع عثمان بن حنيف على أرض الكوفة ، وكتب الى عثمان بن حنيف أن احمل الى أهل المدينة أعطياتهم فانهم شركاؤهم فكان يحمل

---

(١) بياض فى الأصل ، والذى ذكره ياقوت الحموى فى المعجم بمادة (السواد) عن محمد بن عبدالله الثقفى قال « وضع عمر (رض) على كل جريب من السواد عامراً كان أو غامراً يبلغه الماء درهماً وقفيزا ، وعلى جريب الرطبة خمسة دراهم وخمسة أقفزة وعلى جريب الكرم عشرة دراهم وعشرة أقفزة ولم يذكر النخل وعلى رؤوس الرجال ٤٨ و ٢٤ و ١٢ درهما وختم عثمان بن حنيف على رقاب خمسمائة الف وخمسين الف علج لأخذ الجزية ، وبلغ الخراج فى ولايته مائة الف الف درهم ، ومسح حذيفة ابن اليمان سقى الفرات . . . . وكان ذراعه وذراع ابن حنيف ذراع اليد وقبضة وإبهاماً ممدودة » . (م . ص)

ما بين العشرين الف الف الى الثلاثين الف الف ، ودوّن عمر الدواوين ، وفرض العطاء سنة عشرين فقال قد كثرت الأموال فاشير عليه أن يجعل ديوانا .

فدعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف وقال اكتبوا الناس على منازلهم وابدأوا ببنى عبد مناف فكتب أول الناس على بن أبى طالب فى خمسة آلاف والحسن بن على فى ثلاثة آلاف والحسين بن على فى ثلاثة آلاف .

(وقيل) بدأ بالعباس بن عبد المطلب فى ثلاثة آلاف وكل من شهد بدراً من قريش فى ثلاثة آلاف ومن شهد بدراً من الأنصار فى أربعة آلاف ولأهل مكة من كبار قريش مثل أبى سفيان بن حرب ومعاوية بن أبى سفيان فى خمسة آلاف ثم قريش على منازلهم ممن لم يشهد بدراً ، ولأمهات المؤمنين ستة آلاف ستة آلاف ولعائشة وأم حبيبة وحفصة فى اثنى عشر الفاً ، ولصفية وجويرية فى خمسة آلاف خمسة آلاف ولنفسه فى أربعة آلاف ، ولابنه عبد الله ابن عمر فى خمسة آلاف . وفى أهل مكة الذين لم يهاجروا فى ستمائة وسبعمائة وفرض لأهل اليمن فى اربعمائه ، ولمضر فى ثلثمائة ولربيعة فى مائتين .

وكان أول مال أعطاه مال قدم به ابو هريرة من البحرين مبلغه سبع مائة الف درهم قال اكتبوا الناس على منازلهم وكتبوا بنى عبد مناف ثم اتبعوهم ابابكر وقومه ثم اتبعوهم عمر بن الخطاب وقومه على الخلافة ، فلما نظر عمر قال وددت والله أنى هكذا فى القرابة برسول الله ولكن ابدأوا برسول الله ثم الأقرب فالأقرب منه حتى تضعوا عمر بحيث وضعه الله ، وفرض للنساء المهاجرات وغيرهن على قدر فضلهن ، وكانت فريضته لهن فى الفين والف وخمسمائة والف وفرض لأسماء بنت عميس وأم كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وخولة بنت حكيم ابن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون فى الفين ، وفرض لأم عبد فى الف وخمسمائة وفرض لأشراف الأعاجم ، وفرض لفيروز بن يزدجرد دهقان نهر الملك

والنخير خان ، وللخالد وجميل ابنى بصبهرى دهقان الفلوجة ، وللهرمزان ولبسطام بن نرسى دهقان بابل وجفينة العبادى فى الفين الفين (وقال) قوم أشراف أحببت أن أتألف بهم غيرهم (وقال عمر) فى آخر سنيه إنى كنت تألفت الناس بما صنعت فى تفضيل بعض على بعض وإن عشت هذه السنة ساويت بين الناس فلم أفضل أحمر على أسود ولا عربياً على عجمى وصنعت كما صنع رسول الله وابو بكر .

ومصّر الأمصار فى هذه السنة ، وقال : الأمصار سبعة : فالمدينة مصر والشأم مصر، والجزيرة مصر، والكوفة مصر. والبصرة مصر(. . . . (١) . . . .) وجنّد الأجناد فصيّر فلسطين جنداً والجزيرة جنداً والموصل جنداً وقنسرين جنداً

وفى هذه السنة فتح عمرو بن العاص الاسكندرية وسائر أعمال مصر واجتباها أربعة عشر الف الف دينار من خراج رؤوسهم لكل رأس دينارا وخراج غلاتهم من كل مائة إردب (٢) إردبين ، وأخرج أصحاب هرقل، ومات هرقل ملك الروم فزاد ذلك فى وهنهم وضعفهم ، ولما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية أوفد الى عمر بن الخطاب معاوية بن خديج الكندى فقال له معاوية اكتب معى فقال وما أصنع بالكتاب معك خبّره بما رأيت وأد اليه الرسالة فلما أتى عمر وخبره الخبر خرّ ساجداً ، وكتب عمر الى عمرو بن العاص أن يحمل طعاماً فى البحر الى المدينة يكفى عامة المسلمين حتى يصير به الى ساحل الجار فحمل طعاماً الى القلزم ، ثم حمله فى البحر فى عشرين مركباً فى المركب

---

(١) بياض فى الأصل ، ولم يذكر السادس والسابع من الأمصار وقد جعلهما السيوطى فى تاريخ الخلفاء مصر والموصل وعد تمصير الأمصار من اوليات عمر .

(٢) الاردب ، بكسر الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة مع تشديد الباء الموحدة مكيال ضخم وهو أربعة وعشرون صاعاً بصاع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو اربعة امداد ، وفى الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت مصر إردبها .

ثلاثة آلاف إردب وأقل وأكثر حتى وافى الجار وبلغ عمر قدومها فخرج ومعه جلة أصحاب رسول الله (ص) حتى قدم الجار فنظر السفن ثم وكل من قبض ذلك الطعام وبنى هناك قصرين وجعل ذلك الطعام فيهما ثم أمر زيد بن ثابت ان يكتب الناس على منازلهم وامره ان يكتب لهم صكاكاً من قراطيس ثم يختم اسافلها فكان اول من صك وختم أسفل الصكاك .

(رجع الحديث الى سعد بن أبي وقاص) وقد رجع سعد بن أبي وقاص الى الكوفة وأقام بها واختطت الخطط وبنيت المنازل والمحال ثم إن أهل الكوفة شكوا سعدا وقالوا لا يحسن يصلي فعزله عمر عنهم فدعا عليهم سعد أن لا يرضيهم الله عز وجل عن أمير ولا يرضى اميرا عنهم ، وولى عمر مكان سعد ابن ابي وقاص عمار بن ياسر . . . . . . ثم قدم عليه أهل الكوفة فقال كيف خلفتم عمار بن ياسر أميركم ؟ قالوا مسلم ضعيف فعزله ووجه جبير بن مطعم فمكر به المغيرة وحمل عنه خبرا الى عمر وقال له ولنى يا أمير المؤمنين قال أنت رجل فاسق قال وما عليك منى كفايتي ورجلتى لك وفسقى على نفسي فولاه الكوفة فسألهم عن المغيرة فقالوا أنت أعلم به وبفسقه فقال ما لقيت منكم يا أهل الكوفة إن وليتكم مسلماً تقياً قلتم هو ضعيف وان وليتكم مجرماً قلتم هو فاسق ، فيقال انه رد سعد بن أبي وقاص .

وأخرج عمر يهود خيبر من الحجاز لما قتل مظهر بن رافع الحارثى وقال سمعت رسول الله يقول لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان وقسم خيبر على ستة عشر سهماً .

ووجه ميسرة بن مسروق العبسي الى أرض الروم فكان أول جيش دخلها جيش ميسرة فى هذه السنة وهى سنة عشرين . وأغزى حبيب بن مسلمة الفهرى وقدّر له أجلا فجاز ذلك الوقت واشتد غم عمر حتى وافى فقال له ما أخرك عن الوقت الذى وقته لك قال اعتل رجل من المسلمين فاقمنا عليه حتى قضى الله

ما قضى ، ولم يغز عمر بلاد الروم بعد حبيب ، وكان عمر يقول اذا ذكر الروم والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم لنا ما دونه وللروم ما وراءه لما كان يكره قتالهم ، ووجه علقمة بن مجزز المدلجي فى عشرين مركباً اونحوها فاصيبوا جميعاً لخلف عمر لا يحمل فى البحر أحداً أبداً .

وفى هذه السنة كانت الزلازل التى لم ير مثلها ، وافتتحت نهاوند سنة احدى وعشرين وأمير الناس النعمان بن مقرن المزنى ، وكانت الأعاجم قد اجتمعت من الرى وقومس واصبهان وعدة بلدان حتى صاروا الى نهاوند وقالوا قد غلبنا على بلدنا ونالنا الذل فى دارنا فبعث عمر النعمان فى جيش فصار الى نهاوند وقد ملك الأعاجم عليهم ملكا يقال له (دوير) واقتتلوا قتالا شديدا وقتل النعمان ابن مقرن ثم هزم الله الأعاجم وفتحت نهاوند ، وفى غزاة نهاوند كان عمر بن الخطاب على منبر رسول الله ﷺ يخطب فبينا هو يخطب اذ قال يا سارية الجبل الجبل وكان سارية فى جيش نهاوند فقال سارية لما قدم من نهاوند أحدق بنا العدو فسمعنا صوتك يا أمير المؤمنين وأنت تقول يا سارية الجبل الجبل فانحزنا الى الجبل فسلمنا .

وفتح عمرو بن العاص برقة وصالحهم على ثلاثة عشر الف دينار على أن يبيعوا من أبنائهم من أحبوا فى جزيتهم فى هذه السنة ثم سار حتى أتى طرابلس افريقية فافتتحها وكتب الى عمر يستأذنه فى غزو باقى افريقية فكتب اليه أنها مفرقة ولا يغزوها أحد ما بقيت ، ووجه بسر بن أرطاة فصالح أهل ودان وأهل فزان ، وبعث عقبة بن نافع الفهرى ـ وكان أخا العاص بن وائل السهمى لأمه ـ الى أرض النوبة ولقى المسلمون من النوبة قتالا شديدا ، ولما انصرف المسلمون من بلاد النوبة اختطوا الجيزة وكتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر ابن الخطاب فكتب اليه عمر لاتجعل بينى وبينك ماء وانزلوا موضعاً متى أردت أن أركب راحلتى وأصير اليكم فعلت .

وافتتحت آذربايجان سنة اثنتين وعشرين وأمير الناس المغيرة بن شعبة (وقيل) هاشم بن عتبة بن ابي وقاص ، وافتتح أبو موسى الأشعرى كور الأهواز واصطخر سنة ثلاث وعشرين وكتب اليه عمر أن ضع عليها الخراج كما وضع على سائر أرض العراق ففعل ذلك ؛ وافتتح عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى همدان واصبهان فى هذه السنة ، وافتتح قرظة بن كعب الأنصارى الرى ، وافتتح معاوية بن أبى سفيان عسقلان . وولى عمر خالد بن الوليد الرها وحران والرقة وتل موزن وآمد فاقام بها سنة ثم استعفى فاعفاه وقدم المدينة فاقام بها أياماً ثم توفى خالد بالمدينة (وقال الواقدى) إن خالد بن الوليد توفى بحمص فأوصى الى عمر ولما ورد اليه خبر وفاته بكته حفصة وآل عمر وكثر بكاؤهن عليه فقال عمر حق لهن أن يبكين على أبى سليمان وأظهر عليه جزعاً ووجه حبيب بن مسلمة الفهرى الى أرمينية ثم اردفه بسلمان بن ربيعة مدداً له فلم يصل اليه إلا بعد قتل عمر .

وأذن عمر لأزواج النبي ﷺ فى الحج فى هذه السنة وحج معهن (قال بعضهم) فرأيت أزواج رسول الله فى الهودج وعليهن الطيالسة الزرق سنة ثلاث وعشرين وكان يكون أمامهن عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وراءهن فلا يدعان أحداً يدنو منهن .

وشاطر عمر جماعة من عماله أموالهم (قيل) إن فيهم سعيد بن أبى وقاص عامله على الكوفة . وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وأبا هريرة عامله على البحرين والنعمان بن عدى بن حرثان عامله على ميسان ، ونافع بن عمرو الخزاعى عامله على مكة ويعلى بن منية عامله على اليمن ، وامتنع أبو بكرة من المشاطرة وقال والله لئن كان هذا المال لله فلا يحل لك أن تأخذ بعضاً وتترك بعضاً وإن كان لنا فما لك أخذه فقال له عمر إما أن تكون مؤمناً لا تغل أو منافقاً أفك فقال بل مؤمن لا أغل ، واستأذن قوم من قريش عمر فى الخروج للجهاد فقال قد

تقدم لكم مع رسول الله ، قال إنى آخذ بحلاقيم قريش على أفواه هذه الحرة لا تخرجوا فتسللوا بالناس يميناً وشمالا قال عبد الرحمن بن عوف فقلت، نعم يا أمير المؤمنين ولم تمنعنا من الجهاد فقال لأن أسكت عنك فلا أجيبك خير لك من أن أجيبك ، ثم اندفع يحدث عن أبى بكر حتى قال كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد لمثلها فاقتلوه .

(وروى) عن ابن عباس قال طرقنى عمر بن الخطاب بعد هدأة من الليل فقال اخرج بنا نحرس نواحى المدينة فخرج وعلى عنقه درته حافياً حتى أتى بقيع الغرقد فاستلقى على ظهره وجعل يضرب أخمص قدميه بيده وتأوه صعداء فقلت له يا أمير المؤمنين ما أخرجك الى هذا الأمر (قال) أمر الله يابن عباس (قال) قلت إن شئت أخبرتك بما فى نفسك (قال) غص يا غواص إن كنت لتقول فتحسن (قال) قلت ذكرت هـــذا الأمر بعينه والى من تصيره (قال) صدقت ، قال فقلت له اين أنت عن عبد الرحمن بن عوف (فقال) ذلك رجل ممسك وهذا الأمر لا يصلح إلا لمعط فى غير سرف ومانع فى غير اقتار قال قلت سعد بن أبى وقاص (قال) مؤمن ضعيف ، قال فقلت طلحة بن عبدالله (قال) ذاك رجل يناول للشرف والمديح يعطى ماله حتى يصل الى مال غيره وفيه بأو وكبر . قال فقلت فالزبير بن العوام فهو فارس الاسلام (قال) ذاك يوماً انسان ويوماً شيطان وعقة لقس (١) إن كان ليكادح على المكيلة من بكرة الى الظهر حتى تفوته الصلاة ، قال فقلت عثمان بن عفان (قال) إن ولى حمل بنى أبى معيط وبنى أمية على رقاب الناس وأعطاهم مال الله ولئن ولى ليفعلن ، والله لئن فعل لتسيرن العرب اليه حتى تقتله فى بيته ثم سكت (قال) فقال امضها يابن عباس أترى

(١) وعقـــة بفتح الواو وسكون العين المهملة الذى يضجر ويتبرم ، واللقس بفتح اللام وكسر القاف السيء الخلق وقيل الشحيح قاله ابن الأثير فى النهـــاية بمادة (وعق ، ولقس) وذكر حديث عمر فى الزبير .

صاحبكم لها موضعاً قال فقلت واين يتبعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه (قال) هو والله كما ذكرت ولو وليهم لحملهم على منهج الطريق فاخذ المحجة الواضحة إلا أن فيه خصالا الدعابة فى المجلس واستبداد الرأى والتبكيت للناس مع حداثة السن (قال) قلت يا أمير المؤمنين هلا استحدثتم سنه يوم الخندق إذ خرج عمرو بن عبد ود وقد كعم عنه الأبطال وتأخرت عنه الأشياخ ويوم بدر اذ كان يقط الأقران قطاً وهلا سبقتموه بالاسلام (اذ كان جعلته (١) السعب وقريش يستوفيكم) فقال اليك يابن عباس أتريد أن تفعل بى كما فعل أبوك وعلى بأبى بكر يوم دخلا عليه (قال) فكرهت أن أغضبه فسكت ، فقال والله يابن عباس ان علياً ابن عمك لأحق الناس بها ولكن قريشاً لاتحتمله ولئن وليهم ليأخذهم بمر الحق لا يجدون عنده رخصة ولئن فعل لينكثن بيعته ثم ليحاربن .

وحج عمر جميع سنى ولايته إلا السنة الأولى وهى سنة ثلاث عشرة فان عبد الرحمن بن عوف حج بالناس وكان الغالب عليه عبد الله بن عباس وعبد الرحمن ابن عوف وعثمان بن عفان .

(وروى بعضهم) أن عبدالله بن عباس كان على شرطه وكان حاجبه (يرفأ) مولاه فطعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وكان ذلك من شهور العجم فى تشرين الآخر ، وكان الذى طعنه (أبو لؤلؤة) عبد المغيرة بن شعبة وجاء بخنجر مسموم .

وكانت سنى عمر يومئذ ثلاثاً وستين سنة (وقيل) أربعاً وخمسين سنة وكانت ولايته عشر سنين وثمانية أشهر ، ولما طعن عمر قال لابنه إنى كنت استسلفت من بيت مال المسلمين ثمانين الفاً فليرد من مال ولدى فان لم يف مالهم فمال آل الخطاب فان لم يف فمال بنى عدى ، وإلا فمال قريش عامة ولا تعدهم .

---

(١) كذا فى الأصل وفى العبارة اضطراب فليراجع (م . ص)

ولما حضرته الوفاة اجتمع اليه الناس فقال : إني قد مصرت الأمصار ودونت الدوانين ، وأجريت العطايا ، وغزوت في البر والبحر ، فان أهلك فالله خليفتي عليكم وسترون رأيكم إني قد تركتكم على الواضحة إنما أخاف عليكم أحد رجلين إما رجل يرى أنه أحق بالملك من صاحبه فيقاتله عليه (. . . . .) واني قد قرأت في كتاب الله (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عليم حكيم) فلا تهلكوا عن الرجم وقد رجم رسول الله ورجمنا ولو لا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي فقد قرأتها في كتاب الله .

وصير الأمر شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله ، وسعد بن أبي وقاص ، وقال أخرجت سعيد بن زيد لقرابته مني ، فقيل له في ابنه عبدالله بن عمر قال حسب آل الخطاب ما تحملوا منها إن عبدالله لم يحسن أن يطلق امرأته ، وأمر صهيباً أن يصلي بالناس حتى يتراضوا من الستة بواحد ، واستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري وقال إن رضي أربعة وخالف اثنان فاضرب عنق الاثنين وإن رضي ثلاثه وخالف ثلاثة فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن وإن جازت الثلاثة الأيام ولم يتراضوا باحد فاضرب أعناقهم جميعاً ، وكانت الشورى بقية ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وصهيب يصلي بالناس وهو الذي صلى على عمر ، وكان ابو طلحة يدخل رأسه اليهم ويقول العجل العجل فقد قرب الوقت وانقضت المدة .

ودفن عمر الى جانب ابي بكر وخلف من الولد الذكور ستة : عبدالله وعبيدالله وعبد الرحمن وعاصماً وزيداً وابا عبيد الله ، ووثب ابنه عبيدالله فقتل (أبا لؤلؤة) وابنته وامرأته ، واغتر الهرمزان فقتله . وكان عبيدالله يحدث أنه تبعه فلما أحس الهرمزان بالسيف قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله .

(وروى بعضهم) أن عمر أوصى أن يقاد عبيدالله بالهرمزان وأن عثمان أراد ذلك وقد كان قبل أن يلي الأمر أشد من خلق الله على عبيدالله حتى جر بشعره وقال يا عدو الله قتلت رجلا مسلماً وصبية وطفلة وامرأة لا ذنب لها قتلني الله ان لم اقتلك ، فلما ولى رده الى عمرو بن العاص .

(وروى بعضهم) عن عبدالله بن عمر أنه قال : يغفر الله لحفصة فانها شجعت عبيدالله على قتلهم .

صفة عمر بن الخطاب

وكان عمر طويلا أصلع أقبل شديد الأدمعة أعسر يسر (١) يعمل بيديه جميعا ويصفر لحيته ، وقيل يغيرها بالحناء والكتم .

وكان الفقهاء فى أيامه الذين يؤخذ عنهم العلم على بن أبى طالب عليه السلام وعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الاشعرى ، وأبو الدرداء ، وأبو سعيد الخدرى ، وعبد الله بن عباس .

وكان عمال عمر وقت وفاته : سعد بن أبى وقاص على الكوفة . (وقيل) المغيرة ، وأبو موسى الأشعرى على البصرة ، وعمير بن سعد الانصارى على حمص ، ومعاوية بن أبى سفيان على بعض الشام ، وعمرو بن العاص على مصر وزياد بن لبيد البياضى على بعض اليمن ، وأبو هريرة على عمان ، ونافع بن الحارث على مكة ، ويعلى بن منية التميمى على صنعاء ، والحارث بن أبى العاص الثقفى على البحرين ، وعبد الله بن أبى ربيعة على الجند .

(١) ـ أعسر وزان : أفعل ، ويسر : بفتح الياء والسين يقال : (رجل أعسر يسر) أى يعمل بكلتا يديه .

أيام عثمان بن عفان

ثم استخلف عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ؛ وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن جبيب بن عبد شمس ، وكان عبدالرحمن بن عوف الزهري لما توفى عمر واجتمعوا للشورى وسألهم أن يخرج نفسه منها على أن يختار منهم رجلا ففعلوا ذلك فاقام ثلاثة أيام وخلا بعلى بن أبي طالب عليه السلام فقال : لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر ؟ فقال أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت فخلا بعثمان فقال له : لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر؟ فقال لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر ، ثم خلا بعلى عليه السلام فقال له مثل مقالته الأولى فاجابه مثل الجواب الأول ثم خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأولى فاجابه مثل ما كان أجابه ثم خلا بعلى عليه السلام فقال له مثل المقالة الأولى ، فقال إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما الى إجيرى أحد ، أنت مجتهد أن تزوى هذا الأمر عنى ، فخلا بعثمان فاعاد عليه القول فاجابه بذلك الجواب وصفق على يده فخرج عثمان والناس يهنونه . وكان ذلك يوم الاثنين مستهل المحرم سنة أربع وعشرين ، ومن شهور العجم فى تشرين الآخر ، وكانت الشمس يومئذ فى العقرب ثلاث عشرة درجة وزحل فى الحمل إحدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمشترى فى الجدى أربع درجات وأربعين دقيقة ، والمريخ فى الميزان خمسين دقيقة ، والزهرة فى العقرب احدى عشرة درجة راجعاً ، والرأس فى الثور أربعاً وعشرين درجة .

فصعد عثمان المنبر فى الموضع الذى كان يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجلس أبو بكر ولا عمر فيه ، جلس أبو بكر دونه بمرقاة ، وجلس عمر دون

أبى بكر بمرقاة فتكلم الناس فى ذلك فقال بعضهم اليوم ولد الشر ، وكان عثمان رجلا حيياً فارتج عليه فقام ملياً لا يتكلم ، ثم قال إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانتم الى إمام عادل أحوج منكم الى إمام يشقق الخطب وإن تعيشوا فستأتيكم الخطبة ثم نزل .

(وروى بعضهم) إن عثمان خرج من الليلة التى بويع له فى يومها لصلاة العشاء الآخرة وبين يديه شمعة فلقيه المقداد بن عمرو فقال ما هذه البدعة .

ومال قوم مع على بن أبى طالب عليه السلام وتحاملوا فى القول على عثمان .

(فروى بعضهم) قال دخلت مسجد رسول الله فرأيت رجلا جاثياً على ركبتيه يتلهف تلهف من كأن الدنيا كانت له فسلبها وهو يقول : (وا عجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر على أهل بيت نبيهم وفيهم أول المؤمنين وابن عم رسول الله أعلم الناس وأفقههم فى دين الله وأعظمهم عناء فى الإسلام وأبصرهم بالطريق وأهداهم للصراط المستقيم ، والله لقد زووها عن الهادى المهتدى الطاهر النقى وما أرادوا إصلاحاً للأمة ولا صواباً فى المذهب ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين) فدنوت منه فقلت من أنت يرحمك الله ومن هذا الرجل؟ فقال أنا المقداد بن عمرو وهذا الرجل على بن أبى طالب ، قال فقلت ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه؟ فقال يابن أخى إن هذا الأمر لايجزى فيه الرجل ولا الرجلان ، ثم خرجت فلقيت أبا ذر فذكرت له ذلك فقال صدق أخى المقداد . ثم أتيت عبد الله بن مسعود فذكرت ذلك له فقال لقد أخبرنا فلم نأل .

وأكثر الناس فى دم الهرمزان وإمساك عثمان عبيد الله بن عمر فصعد عثمان المنبر فخطب الناس ثم قال : (ألا إنى ولى دم الهرمزان وقد وهبته لله ولعمر وتركته لدم عمر) فقام المقداد بن عمرو فقال : إن الهرمزان مولى لله ولرسوله وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله قال فننظر وتنظرون ، ثم أخرج

عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة الى الكوفة وأنزله داراً فنسب الموضع اليه (كويفة ابن عمر) فقال بعضهم :

أبا عمرو عبيدالله رهن ... فلا تشكك بقتل الهرمزان

وافتتح المغيرة بن شعبة همذان وكتب الى عثمان أنه قد دخل فى الرى وأنزلها المسلمين ، وكانت الرى قد افتتحت فى أيام عمر .

(وقيل) لم تفتح ولكنها محاصرة وافتتحت سنة أربع وعشرين .

وكتب عثمان الى الحكم بن أبى العاص أن يقدم عليه وكان طريد رسول الله ﷺ وكان عثمان لما ولى ابو بكر اجتمع هو وقوم من بنى أمية الى أبى بكر فسألوه فى الحكم فلم يأذن له فلما ولى عمر فعلوا ذلك فلم يأذن له ، فانكر الناس إذنه له .

(وقال بعضهم) رأيت الحكم بن أبى العاص يوم قدم المدينة عليه فزر خلق وهويسوق تيساً حتى دخل دارعثمان والناس ينظرون الى سوء حاله وحال من معه ثم خرج وعليه جبة خز وطيلسان .

وانتقضت الاسكندرية سنة خمس وعشرين وحاربهم عمرو بن العاص حتى فتحها وسبي الذرارى ووجه بهم الى المدينة فردهم عثمان الى دمهم الأولى(١) وعزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن أبى سرح فكان ذلك سبب العداوة بين عثمان وعمرو وقال عثمان لعمرو لما قدم كيف تركت عبدالله بن سعد قال كما أحببت قال وما ذاك؟ قال قوى فى ذات نفسه ضعيف فى ذات الله قال لقد أمرته أن يتبع أثرك قال لقد كلفته شططاً . واجتبي عبدالله مصر اثنى عشر الف الف دينار فقال عثمان لعمرو درّت اللقاح قال ذاك إن يتم يضر بالفضلان .

ووسع عثمان المسجد الحرام وزاد فيه سنة ست وعشرين ، وابتاع من قوم منازلهم وأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان فى بيت المال فصاحوا

(١) وعزل فى الأصل ، والظاهر أنه تصحيف (دينهم الأول) أنظر تاريخ الطبرى

بعثمان فأمر بهم للحبس وقال ماجرأكم على إلا حلمى وقد فعل هذا عمر فلم تصيحوا وجدد أنصاب الحرم .

وفى هذه السنة افتتح عثمان بن ابى العاص الثقفى سابور، وفيها ولى الوليد ابن عقبة بن أبى معيط الكوفة مكان سعد وصلى بالناس الغداة وهو سكران أربع ركعات ثم تهوع فى المحراب والتفت الى من كان خلفه فقال أزيدكم ثم جلس فى صحن المسجد وأتى بساحر يدعى بطروى من الكوفة فاجتمع الناس عليه فجعل يدخل من دبر الناقة ويخرج من فيها ويعمل أعاجيب فرآه جندب بن كعب الأزدى فخرج الى بعض الصياقلة فاخذ منه سيفاً ثم أقبل فى الزحام وقد ستر السيف حتى ضرب عنقه ثم قال له أحيي نفسك إن كنت صادقاً فاخذه الوليد فاراد أن يضرب عنقه فقام قوم من الأزد فقالوا لا تقتل والله صاحبنا فصيره فى الحبس وكان يصلى الليل كله فنظر اليه السجان وكان يكنى أبا سنان فقال ما عذرى عند الله إن حبستك على الوليد يقتلك فاطلقه فصار جندب الى المدينة وأخذ الوليد أبا سنان فضربه مائتى سوط فوثب عليه جرير بن عبدالله وعدى ابن حاتم وحذيفة بن اليمان والأشعث بن قيس وكتبوا الى عثمان مع رسلهم فعزله وولى سعيد بن العاص مكانه فلما قدم الوليد قال عثمان من يضربه فاحجم الناس لقرابته وكان أخا عثمان لأمه فقام على عليه السلام فضربه ثم بعث به عثمان على صدقات كلب وبلقين .

وأغزى عثمان الناس إفريقية سنة سبع وعشرين وعليهم عبدالله بن سعد ابن أبى سرح فلقى جرجيس ودعاه الى الاسلام أو أداء الجزية فامتنع وكان جرجيس فى جمع عظيم ففض الله ذلك الجمع فطلب جرجيس الصلح فابى عليه وهزموه حتى صار الى مدينة سبيطلة والتحمت الحرب حتى قتل جرجيس وكثرت الغنائم وبلغت الفى الف دينار وخمسمائة الف دينار وعشرين الف دينار .

(وروى بعضهم) أن عثمان زوج ابنته من مروان بن الحكم وأمر له

بخمس هذا المال ، ووجه عبدالله بن سعد بن ابى سرح عبدالله بن الزبير الى عثمان بالبشارة فسار عشرين ليلة حتى قدم المدينة وأخبر عثمان فصعد عثمان المنبر فخبر به الناس ، ووجه عبد الله بن سعد جيشاً الى أرض النوبة فسألوه الموادعة والصلح على أن عليهم فى كل سنة ثلاثمائة رأس ويبعث اليهم مثل ذلك من الطعام والشراب فكتب الى عثمان بذلك فأجابهم الى ذلك . وافتتح معاوية بن أبى سفيان قبرس .

وفى هذه السنة بنى عثمان داره وبنى الزوراء ، ووسع مسجد رسول الله ﷺ فى سنة تسع وعشرين وحملت له الحجارة من بطن نخل وجعل فى عمده الرصاص وجعل طوله مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة ذراع وخمسين ذراعاً وابوابه ستة على ما كانت عليه على عهد عمر .

وعزل أبا موسى الأشعرى وولى مكانه عبدالله بن عامر بن كريز وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة فلما بلغ ابا موسى ولاية عبدالله بن عامر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال : قد جاءكم غلام كثير العمات والخالات والجدات فى قريش يفيض عليكم المال فيضاً ، فلما قدم ابن عامر البصرة وجه الجنود لفتح سابور وفسا ودرابجرد واصطخر من أرض فارس ، وعلى ذلك الجند الذى فتح اصطخر عبيدالله بن معمر التيمى فقتل عبيدالله بن معمر فى اصل مدينة اصطخر فقام مكانه عمر بن عبيدالله حتى فتح المدينة ، ثم سار عبد الله بن عامر بنفسه الى اصطخر ووجه عبد الرحمن بن سمرة - وكانت له صحبة - الى سجستان فافتتح زرنج بعد نكبة شديدة ولما ولى عثمان عبدالله بن عامر البصرة وولى سعيد ابن العاص الكوفة كتب اليهما أيكما سبق الى خراسان فهو أمير عليها فخرج عبدالله بن عامر وسعيد بن العاص فاتى دهقان من دهاقين خراسان الى عبد الله ابن عامر فقال ماتجعل لى إن سبقت بك؟ قال لك خراجك وخراج أهل بيتك الى يوم القيامة فاخذ به على طريق مختصر الى قومس وعبدالله بن خازم السلمى على

مقدمته فسار الى نيسابور وأقام على المدينة واقيه عبدالله بن عامر فافتتح نيسابور عنوة فى سنة ثلاثين وصالح أهل الطبسين على خمسة وسبعين الفاً ثم سار حتى صار الى المدينة أبرشهر فحاصرهم شهوراً ثم فتحها وصالحهم وكتب الى أهل هراة فكتبوا اليه إن فتحت أبرشهر أجبناك الى ما سألت ، وبوشنج وبادغيس يومئذ الى هراة ، وكانت طوس ونيسابور الى ابرشهر ، ثم فتحها وصالحهم على الف الف درهم وبعث الأحنف بن قيس الى هراة ومرو الروذ فسار الى هراة فلقيه صاحبها بالميرة والطاعة ثم سار الى مرو الروذ ففتحها عنوة وفتح الطالقان والفارياب وطخارستان ولم يرجع الى عبد الله بن عامر حتى شرب من نهر بلخ .

(وقال) بعض أهل خراسان : وجه عبدالله بن عامر حين افتتح نيسابور بالجيوش فبعث الأحنف بن قيس الى مرو الروذ ، وبعث أوس بن ثعلبة التميمى الى هراة ، وبعث حاتم بن النعمان الباهلى الى مرو ، وعبدالله بن خازم السلمى الى سرخس ففتح القوم جميعاً ما بعثوا له خلا مرو فانها صالحت حاتماً على الفى الف ومائتى الف أوقية وعلى أن يوسعوا للمسلمين فى منازلهم .

ولما فتح عبدالله بن عامر هذه الكور انصرف الى عثمان وخالف بين الترك والديلم وكان قد صير خراسان أرباعا وولى قيس بن الهيثم السلمى على ربع وراشد بن عمرو الجديدى على ربع . وعمران بن الفصيل البرجمى على ربع وعمرو بن مالك الخزاعى على ربع ، فلما رده عثمان وجه أمير بن أحمر اليشكرى الى خراسان فصار الى مرو فاناخ بها ثم أدركه الشتاء وأدخله أهل مرو وبلغه أنهم يريدون الوثوب به فجرد فيهم السيف حتى أفناهم ثم قفل الى عثمان فلما رآه عثمان خوفه فانصرف عنه مغضباً وكان عثمان أنكر عليه قتل أهل مرو ورجع عبدالله بن عامر الى البصرة ثم صار الى كرمان فاناخ بها فنالهم مجاعة شديدة حتى كان الرغيف بدينار . ثم أتاه الخبر بان عثمان قد حوصر فانصرف وخلف بخراسان قيس بن الهيثم بن الصلت فافتتح قيس طخارستان ، وكان عثمان قد وجه

حبيب بن مسلمة الفهرى الى ارمينية ثم أردفه سلمان بن ربيعة الباهلى مدداً له فلما قدم عليه تنافرا وقتل عثمان وهم على تلك المنافرة ، وقد كان حبيب بن مسلمة فتح بعض أرمينية .

وكتب عثمان الى سلمان بامرته على ارمينية فسار حتى أتى البيلقان فخرج اليه أهلها فصالحوه ومضى حتى أتى برذعة فصالحه أهلها على شيء معلوم .

(وقيل) إن حبيب ابن مسلمة افتتح جرزان ثم نفذ سلمان الى شروان فصالحه ملكها ثم سار حتى أتى أرض مسقط فصالح أهلها وفعل مثل ذلك ملك اللكز وأهل الشابران وأهل فيلان ، واقيه خاقان ملك الخزر فى جيشه خلف نهر البلنجر فى خلق عظيم فقتل ومن معه وهم أربعة آلاف فولى عثمان حذيفة ابن اليمان العبسى ثم صرفه وولى المغيرة بن شعبة .

وزوج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد وأمر له بستمائة الف درهم وكتب الى عبدالله بن عامر أن يدفعها اليه من بيت مال البصرة .

(وحدث أبو اسحاق) عن عبد الرحمن بن يسار قال رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاها عثمان فقال له ادفعها الى الحكم بن أبى العاص ، وكان عثمان إذا أجاز احداً من اهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال فجعل يدافعه ويقول له يكون فنعطيك إن شاء الله فألح عليه فقال إنما أنت خازن لنا فاذا أعطيناك فخذ وإذا سكتنا عنك فاسكت فقال كذبت والله ما انا لك بخازن ولا لأهل بيتك إنما انا خازن المسلمين وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال ايها الناس زعم عثمان انى خازن له ولأهل بيته وانما كنت خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم ورمى بها فاخذها ودفعها الى زيد بن ثابت .

وفى هذه السنة توفى أبو سفيان بن حرب وصلى عليه عثمان وهى سنة إحدى وثلاثين ، وأغزى عثمان جيشاً أميرهم معاوية على الصائفة سنة اثنتين وثلاثين فبلغوا الى مضيق القسطنطينية وفتحوا فتوحاً كثيرة . وصير عثمان الى

معاوية غزو الروم على أن يوجه من رأى على الصائفة فولى معاوية سفيان بن عوف الغامدى فلم يزل عليها أيام عثمان . . (١) . . لشيء شجر بينهما فى خلافة عثمان.

(وروى) أن عثمان اعتل علة اشتدت به فدعا حمران بن أبان وكتب عهداً لمن بعده وترك موضع الاسم ثم كتب بيده عبد الرحمن بن عوف وربطه وبعث به الى أم حبيبة بنت أبى سفيان فقرأه حمران فى الطريق فاتى عبدالرحمن فاخبره فقال عبد الرحمن ـ وغضب غضباً شديداً ـ أستعمله علانية ويستعملنى سراً ونمى الخبر وانتشر بذلك فى المدينة وغضب بنو أمية فدعا عثمان بحمران مولاه فضربه مائة سوط وسيره الى البصرة فكان سبب العدواة بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ووجه اليه عبد الرحمن بن عوف بابنه فقال له قل له والله لقد بايعتك وإن فىَّ ثلاث خصال أفضلك بهن إنى حضرت بدراً ولم تحضرها وحضرت بيعة الرضوان ولم تحضرها ، وثبت يوم أحد وانهزمت . فلما أدى ابنه الرسالة الى عثمان قال له قل له أما غيبتى عن بدر فانى أقمت على بيت رسول الله فضرب لى رسول الله سهمى وأجرى وأما بيعة الرضوان فقد صفق لى رسول الله بيمينه على شماله فشمال رسول الله خير من ايمانكم، وأما يوم أحد فقد كان ما ذكرت إلا أن الله قد عفا عنى ولقد فعلنا أفعالا لا ندرى أغفرها الله أم لا .

وكان عبد الرحمن قد طلق امرأته تماضر بنت الأصبغ الكلبية لما اشتدت علته فورثها عثمان فصولحت عن ربع الثمن على مائة الف دينار وقيل ثمانين الف دينار .

وجمع عثمان القرآن وألفه ، وصير الطوال مع الطوال، والقصار مع القصار من السور ، وكتب فى جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت ثم سلقها بالماء الحار والخل (وقيل) أحرقها فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود

(١) ـ بياض فى الأصل ، ولعل الساقط (ثم عزله) لشيء شجر الخ . «م ص»

وكان ابن مسعود بالكوفة فامتنع أن يدفع مصحفه الى عبدالله بن عامر وكتب عليه عثمان أن أشخصه إن لم يكن هذا الدين خبالا وهذه الأمة فساداً فدخل المسجد وعثمان يخطب فقال عثمان انه قد قدمت عليكم دابة سوء فكلم ابن مسعود بكلام غليظ فأمر به عثمان فجر برجله حتى كسر له ضلعان فتكلمت عائشة وقالت قولا كثيراً .

وبعث بها الى الأمصار وبعث بمصحف الى الكوفة ومصحف الى البصرة ومصحف الى المدينة ومصحف الى مكة ومصحف الى مصر ومصحف الى الشام ومصحف الى البحرين ومصحف الى اليمن ومصحف الى الجزيرة .

وأمر الناس أن يقرأوا على نسخة واحدة وكان سبب ذلك أنه بلغه أن الناس يقولون قرآن آل فلان فاراد أن يكون نسخة واحدة .

(وقيل) ان ابن مسعود : كان كتب بذلك اليه فلما بلغه أنه يحرق المصاحف قال لم أرد هذا .

(وقيل) كتب اليه بذلك حذيفة بن اليمان ، واعتل ابن مسعود فاتاه عثمان يعوده فقال له ما كلام بلغنى عنك قال ذكرت الذى فعلته بى انك أمرت بى فوطىء جوفى فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر ومنعتنى عطائى قال فانى أقيدك من نفسى فافعل بى مثل الذى فعل بك قال ما كنت بالذى أفتح القصاص على الخلفاء قال فهذا عطاؤك فخذه ، قال منعتنيه وأنا محتاج اليه وتعطينيه وأنا غنى عنه لاحاجة لى به فانصرف ، فاقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفى وصلى عليه عمار بن ياسر وكان عثمان غائباً فستر أمره فلما انصرف رأى عثمان القبر فقال قبر من هذا؟ فقيل قبر عبد الله بن مسعود قال فكيف دفن قبل أن أعلم؟ فقالوا ولى أمره عمار بن ياسر، وذكر أنه اوصى أن لايخبر به ولم يلبث إلا يسيراً حتى مات المقداد فصلى عليه عمار وكان أوصى اليه ولم يؤذن عثمان به فاشتد غضب عثمان على عمار وقال ويلى على ابن السوداء أما لقد كنت به عليما .

وبلغ عثمان أن أبا ذر يقعد فى مجلس رسول الله ﷺ ويجتمع اليه الناس

فيحدث بما فيه الطعن عليه وأنه وقف بباب المسجد فقال (أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا أبو ذر الغفاري أنا جندب بن جنادة الربذي ، ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، محمد الصفوة من نوح فالأول من ابراهيم والسلالة من اسماعيل والعترة الهادية من محمد انه شرف شريفهم واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة وكالكعبة المستورة أو كالقبلة المنصوبة أو كالشمس الضاحية أو كالقمر الساري أو كالنجوم الهادية أو كالشجر الزيتونية أضاء زيتها وبورك زيدها (١) ومحمد وارث علم آدم وما فضلت به النبيون وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه ، أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها أما لو قدمتم من قدم الله وأخرتم من أخر الله وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ولما عال ولي الله ولا طاش سهم من فرائض الله ولا اختلف اثنان في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه فاما اذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

وبلغ عثمان أن أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غير وبدل من سنن رسول الله ﷺ وسنن أبي بكر وعمر فسيره الى الشأم الى معاوية . وكان يجلس في المجلس فيقول كما كان يقول ويجتمع اليه الناس حتى كثر من يجتمع اليه ويسمع منه وكان يقف على باب دمشق اذا صلى صلاة الصبح فيقول : جاءت القطار تحمل النار لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له .

وكتب معاوية الى عثمان انك قد أفسدت الشأم على نفسك بابي ذر فكتب اليه أن احمله على قتب بغير وطاء فقدم به الى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه فلما دخل اليه وعنده جماعة قال بلغني أنك تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول

(١) ـ كذا في الأصل بالزاء ثم الياء المثناة التحتانية وفي كتاب سليم بن قيس الهلالي ـ المخطوط ـ (زندها) بالنون ، وهو العود الذي يقدح به النار ، ولعله الصحيح

اذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلا اتخذوا بلاد الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا . فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك ، فقال لهم أسمعتم رسول الله يقول ذلك فبعث الى علي بن أبي طالب عليه السلام فاتاه فقال يا أبا الحسن أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر وقص عليه الخبر ، فقال علي عليه السلام نعم قال فكيف تشهد قال لقول رسول الله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر ؛ فلم يقم بالمدينة إلا أياماً حتى أرسل اليه عثمان والله لتخرجن عنها ، قال أتخرجني من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله قال نعم وأنفك راغم ، قال فالى مكة ، قال لا قال فالى البصرة ، قال لا ، قال فالى الكوفة ، قال لا ولكن الى الربذة التي خرجت منها حتى تموت بها ، يامروان أخرجه ولا تدع أحداً يكلمه حتى يخرج . فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته فخرج علي والحسن والحسين عليهم السلام وعبد الله بن جعفر (رض) وعمار بن ياسر (رض) ينظرون فلما رأى أبو ذر علياً قام اليه فقبل يده ثم بكى وقال اني اذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أصبر حتى أبكى فذهب علي عليه السلام يكلمه فقال مروان ان أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال تنح نحاك الله الى النار ثم شيعه وكلمه بكلام يطول شرحه ، وتكلم كل رجل من القوم وانصرفوا وانصرف مروان الى عثمان فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاماً .

فلم يزل أبو ذر بالربذة حتى توفي ، ولما حضرته الوفاة قالت له ابنته اني وحدي في هذا الموضع وأخاف أن تغلبني عليك السباع قال كلا انه سيحضرني نفر مؤمنون فانظري أترين أحداً فقالت ما أرى أحداً ، قال ما حضر الوقت ثم قال انظري هل ترين أحداً قالت نعم أرى ركباً مقبلين فقال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وآله حولي وجهي الى القبلة فاذا حضر القوم فاقرأيهم مني السلام فاذا فرغوا من أمري فاذبحي لهم هذه الشاة وقولي لهم أقسمت عليكم إن برحتم

حتى تأكلوا . ثم قضى عليه ، فاتى القوم فقالت لهم الجارية هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ قد توفى فنزلوا وكانوا سبعة نفر فيهم حذيفة بن اليمان والأشتر فبكوا بكاء شديداً وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ، ثم قالت لهم إنه يقسم عليكم أن لا تبرحوا حتى تأكلوا فذبحوا الشاة وأكلوا ثم حملوا ابنته حتى صاروا بها الى المدينة .

فلما بلغ عثمان وفاة أبي ذر قال رحم الله أباذر، قال عمار نعم رحم الله أباذر من كل أنفسنا ، فغلظ ذلك على عثمان و بلغ عثمان عن عمار كلام فاراد أن يسيره أيضاً فاجتمعت بنو مخزوم الى علي بن أبي طالب عليه السلام وسألوه إعانتهم فقال علي لاندع عثمان ورأيه فجلس عمار في بيته . وبلغ عثمان ما تكلمت بنو مخزوم فامسك عنه وسير عبد الرحمن بن حنبل صاحب رسول الله ﷺ الى القموس من خيبر وكان سبب تسييره إياه أنه بلغه كرهه مساوى ابنه وخاله وأنه هجاه .

وكان عثمان جواداً وصولا بالأموال ، وقدم أقاربه وذوى ارحامه فسوى بين الناس في الأعطية ، وكان الغالب عليه مروان بن الحكم بن أبي العاص وأبو سفيان بن حرب ، وعلى شرطه عبد الله بن قنفذ التيمي ، وحاجبه حمران ابن أبان مولاه .

ونقم الناس على عثمان بعد ولايته بست سنين وتكلم فيه من تكلم وقالوا آثر القرباء وحمى الحمى وبنى الدار واتخذ الضياع والأموال بمال الله والمسلمين ونفى أبا ذر صاحب رسول الله وعبد الرحمن بن حنبل ، وآوى الحكم بن أبي العاص وعبدالله بن سعد بن أبي سرح طريدى رسول الله . وأهدر دم الهرمزان ولم يقتل عبيد الله بن عمر به ، وولى الوليد بن عقبة الكوفة فاحدث في الصلاة ما احدث فلم يمنعه ذلك من إعاذته إياه ، وأجاز الرجم وذلك إنه كان رجم امرأة من جهينة دخلت على زوجها فولدت لستة اشهر فامر عثمان برجمها فلما أخرجت دخل اليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال إن الله عزوجل يقول (وحمله

وفصاله ثلاثون شهراً) وقال فى رضاعه (حولين كاملين) فارسل عثمان فى أثر المرأة فوجدت قد رجمت وماتت واعترف الرجل بالولد .

وقدم عليه أهل البلدان فتكلموا وبلغ عثمان أن أهل مصر قدموا بالسلاح فوجه اليهم عمرو بن العاص وكلمهم فقال لهم إنه يرجع الى ما تحبون ثم كتب لهم بذلك وأنصرفوا فقال لعمرو بن العاص أخرج فاعذرنى عند الناس فخرج عمرو وصعد المنبر ونادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه ثم ذكر محمداً بما هو أهله وقال (بعثه الله رأفة ورحمة فبلغ الرسالة ونصح الامة وجاهد فى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة أفليس ذلك كذلك)؟ قالوا بلى فجزاه الله خير ماجزى نبياً عن أمته، ثم قال (وولى من بعده رجل عدل فى الرعية وحكم بالحق) أفليس ذلك كذلك؟ قالوا بلى فجزاه الله خيراً ، قال (ثم ولى الأعسر الأحول ابن حنتمة فأبدت له الأرض أفلاذ كبدها وأظهرت له مكنون كنوزها فخرج من الدنيا وما أنبل عصاه أفليس ذلك كذلك) ؟ قالوا بلى فجزاه الله خيراً قال (ثم ولى عثمان فقلتم وقال ، تلومونه ويعذر نفسه أفليس ذلك كذلك) قالوا بلى ، قال (فاصبروا له فان الصغير يكبر والهزيل يسمن ولعل تأخير أمر خير من تقديمه) ثم نزل فدخل أهل عثمان عليه فقالوا له هل عابك أحد بمثل ما عابك به عمرو ، فلما دخل عليه عمرو قال يا ابن النابغة والله ما زدت أن حرضت الناس علىّ ، قال والله لقد قلت فيك أحسن ماعلمت ولقد ركبت من الناس وركبوها منك فاعتزل إن لم تعتدل ، فقال يا ابن النابغة ، قمل درعك مذ عزلتك عن مصر .

وسار الركب الذين قدموا من مصر فلما صاروا فى بعض الطريق إذا براكب على جمل فانكروه ففتشوه فوجدوا معه صحيفة من عثمان الى خليفته عبد الله بن سعد اذا قدم عليك النفر فاقطع أيديهم وأرجلهم ، فقدموا واتفقوا على الخروج وكان من يأخذون عنه محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفة ،

وكنانة بن بشر ، وابن عديس البلوى . فرجعوا الى المدينة .

وكان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك إنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب وصيرّها أسوة غيرها من نساء رسول الله ﷺ فان عثمان يوماً ليخطب إذ دلّت عائشة قميص رسول الله (ص) ونادت يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله (ص) لم يبل وقد أبلى عثمان سنته ، فقال عثمان (رب اصرف عنى كيدهن إن كيدهن عظيم) .

وحصر بن عديس البلوى عثمان في داره فناشدهم الله . ثم نشد مفاتيح الخزائن فاتوا بها الى طلحة بن عبيد الله وعثمان محصور في داره ، وكان اكثر من يؤلب عليه طلحة والزبير وعائشة ، فكتب الى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه فتوجه اليه في اثنى عشر الف ، ثم قال كونوا بمكانكم في أوائل الشأم حتى آتى امير المؤمنين لأعرف صحة أمره فاتى عثمان فسأله عن العدة فقال قد قدمت لأعرف رأيك وأعود اليهم فاجيئك بهم فقال لا والله ولكنك أردت أن أقتل فتقول انا ولى الثار إرجع فجئنى بالناس فرجع فلم يعد اليه حتى قتل .

وصار مروان الى عائشة فقال يا أم المؤمنين لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس قالت قد فرغت من جهازى وأنا اريد الحج قال فيدع اليك بكل درهم أنفقته درهمين قالت لعلك ترى أنى في شك من صاحبك أما والله لوددت انه مقطع فى غرارة من غرائرى وأنى اطيق حمله فاطرحه فى البحر .

واقام عثمان محاصراً اربعين يوماً وقتل لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثلاث وثمانين سنة (وقيل) ست وثمانين سنة وكان الذين تولوا قتله محمد بن ابى بكر ، ومحمد بن ابى حذيفة ، وابن حزم (وقيل) كنانة بن بشر التجيبى ، وعمرو بن الحمق الخزاعى ، وعبد الرحمن بن عديس البلوى ، وسودان بن حمران ، واقام ثلاثاً لم يدفن ، وحضر دفنه حكيم بن حزام ، وجبير بن مطعم ، وحويطب بن عبد العزى ، وعمرو بن عثمان ابنه ،

ودفن بالمدينة ليلا فى موضع يعرف بحش كوكب وصلى عليه هؤلاء الأربعة (وقيل) احد الاربعة قد صلى عليه ، (وقيل) لم يصل عليه فدفن بغير صلاة وكانت أيامه اثنتى عشر سنة .

وحج عثمان بالناس أيامه كلها إلا السنة الأولى وهى سنة أربع وعشرين فانه حج بالناس عبد الرحمن بن عوف ، والسنة التى قتل فيها فانه حج بالناس عبدالله بن عباس وهى سنة خمس وثلاثين وكان له من الولد الذكور سبعة : عمرو وعمر ، وخالد ، وأبان ، والوليد ، وسعيد وعبد الملك .

صفة عثمان بن عفان

وكان عثمان بن عفان مربوعاً حسن الوجه رقيق البشرة كثير (١) اللحية عظيمها ، أسمر عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين كثير شعر الرأس ، أسنانه مشدودة بالذهب يصفر لحيته .

وكان عمال عثمان على اليمن يعلى بن منية التميمى ، وعلى مكة عبدالله بن عمرو الحضرمى ، وعلى همذان جرير بن عبدالله البجلى ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفى ، وعلى الكوفة ابو موسى الأشعرى ، وعلى البصرة عبدالله بن عامر بن كريز ، وعلى مصر عبدالله بن سعد بن ابى سرح ، وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان ابن حرب .

وكان الفقهاء فى أيامه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ، وعبدالله ابن مسعود ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعرى ، وعبدالله ابن عباس ، وابو الدرداء ، وابو سعيد الخدرى ، وعبدالله بن عمر ، وسلمان ابن ربيعة الباهلى .

(١) كذا فى الأصل ، والصحيح (كبير اللحية) كما ذكره ابن الأثير وغيره .

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

واستخلف علي بن أبي طالب - بن عبد المطلب ، وأمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم بن عبد مناف - يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، ومن شهور العجم في حزيران ، وكانت الشمس يومئذ في الجوزاء ستاً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والقمر في الدلو ثماني عشرة درجة واربعين دقيقة ، وزحل في السنبلة خمساً وعشرين درجة ، والمريخ في الجدي سبع درجات « . . . . . . » .

بايعه طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار ؛ وكان اول من بايعه وصفق على يده طلحة بن عبيدالله ، فقال رجل من بني أسد أول يد بايعت يد شلاء أو يد ناقصة(١) وقام الأشتر وقال أبايعك ياأمير المؤمنين على أن علىّ بيعة أهل الكوفة ثم قام طلحة والزبير فقالا نبايعك يا أمير المؤمنين على أن علينا بيعة المهاجرين ثم قام ابو الهيثم بن التيهان وعقبة بن عمرو وابو أيوب فقالوا نبايعك على أن علينا بيعة الأنصار وسائر قريش وبايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش مروان ابن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة . وكان لسان القوم فقال يا هذا إنك قد وترتنا جميعاً أما انا فقتلت أبي صبراً يوم بدر وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر وكان أبوه من نور قريش . وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه اليه « . . . . . » على ذلك بنو عبد مناف فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصبنا وتعفي لنا عما في أيدينا وتقتل قتلة صاحبنا ، فغضب علي عليه السلام وقال : أما ما ذكرت من وتري اياكم فالحق وتركم ، وأما وضعي عنكم عما في أيديكم فليس لي أن اضع حق الله ، واما اعفائي عما في ايديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل

(١) لعل في العبارة سقطاً وتمامها (لا يتم هذا الأمر) كما في تاريخ ابن الأثير وغيره . (م . ص)

يسعكم ، واما قتلى قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً ولكن لكم ان احملكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق عليه الحق فا لباطل عليه أضيق وان شئتم فالحقوا بملاحقكم ، فقال مروان بل نبايعك ونقيم معك فترى ونرى وقام قوم من الأنصار فتكلموا وكان أول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري وكان خطيب الأنصار ، فقال: (والله ياأمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك فى الولاية فماتقدموك فى الدين ، ولئن كانوا سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم ، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك يحتاجون اليك فيما لا يعلمون وما احتجت الى أحد مع علمك) .

ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصارى وهو ذو الشهادتين فقال (يا أمير المؤمنين ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك ولا كان المنقلب إلا اليك ولئن صدقنا أنفسنا فيك لأنت أقدم الناس إيماناً وأعلم الناس بالله وأولى المؤمنين برسول الله ﷺ لك مالهم وليس لهم مالك) .

وقام صعصعة بن صوحان فقال (والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك ولهى اليك أحوج منك اليها) .

ثم قام مالك بن الحرث الأشتر فقال : (أيها الناس هذا وصى الأوصياء ووارث علم الأنبياء العظيم البلاء الحسن العناء الذى شهد له كتاب الله بالايمان ورسوله بجنة الرضوان من كملت فيه الفضائل ولم يشك فى سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل) .

ثم قام عقبة بن عمرو فقال (من له يوم كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان والامام الأهدى الذى لا يخاف جوره والعالم الذى لا يخاف جهله) .

وعزل على عليه السلام عمال عثمان عن البلدان خلا أبى موسى الأشعرى كلمه فيه الأشترفاقره ، وولى قثم بن العباس مكة وعبيد الله بن العباس اليمن ، وقيس ابن سعد بن عبادة مصر ، وعثمان بن حنيف البصرة ، وأتاه طلحة والزبير فقالا :

إنه قد نالتنا بعد رسول الله ﷺ جفوة فأشركنا فى أمرك ، فقال انتما شريكاى فى القوة والاستقامة وعوناى على العجز والاود (وروى بعضهم) أنه ولى طلحة والزبير اليمامة والبحرين فلما دفع اليهما عهديهما قالا له وصلتك رحم قال وانتما وصلتكما بولاية أمور المسلمين واسترد العهد منهما فعتبا من ذلك وقالا آثرت علينا فقال لولا ماظهر من حرصكما فقد كان لى فيكما رأى (وروى بعضهم) أن المغيرة بن شعبة قال له يا أمير المؤمنين أنفذ طلحة الى اليمن والزبير الى البحرين واكتب بعهد معاوية على الشام فاذا استقامت الأمور فشأنك وما تريده فيهم فاجابه فى ذلك بجواب فقال المغيرة والله مانصحت له قبلها ولا أنصح له بعدها .

وكانت عائشة بمكة خرجت قبل أن يقتل عثمان فلما قضت حجها انصرفت راجعة فلما صارت فى بعض الطريق لقيها ابن أم كلاب فقالت له ما فعل عثمان قال قتل قالت بعداً وسحقاً ، قالت فمن بايع الناس قال طلحة ، قالت أيها ذو الاصبع ثم لقيها آخر فقالت مافعل الناس قال بايعوا علياً ، قالت والله ما كنت أبالى أن تقع هذه على هذه ثم رجعت الى مكة ، وأقام على عليه السلام أياماً ثم أتاه طلحة والزبير فقالا إنا نريد العمرة فأذن لنا فى الخروج .

(وروى بعضهم) أن علياً عليه السلام قال لهما أو لبعض أصحابه (والله ما أراد العمرة ولكنهما أرادا الغدرة) فلحقا عائشة بمكة فحرضاها على الخروج فاتت أم سلمة بنت أبى أمية زوج رسول الله ﷺ فقالت إن ابن عمى وزوج أختى أعلمانى أن عثمان قتل مظلوماً وأن أكثر الناس لم يرض ببيعة على وأن جماعة من البصرة خالفوا فلو خرجت بنا لعل الله أن يصلح أمر أمة محمد على أيدينا فقالت لها أم سلمة (إن عماد الدين لا يقام بالنساء ، حماديات (١) النساء غض

(١) ـ قال ابن الأثير فى النهاية بمادة (حمد) فى حديث أم سلمة (حماديات النساء غض الأطراف) أى غاياتهن ومنتهى ما يحمد منهن يقال حماداك أن تفعل وقصاراك ان تفعل أى جهدك وغايتك (م . ص)

الأبصار وخفض الأطراف وجرّ الذيول إن الله وضع عنى وعنك هـــذا ما أنت قائلة لو أن رسول الله عارضك باطراف الفلوات قدهتكت حجاباً قد ضربه عليك) فنادى مناديها ألا أن أم المؤمنين مقيمة فأقيموا وناداها طلحة والزبير وأزالاها عن رأيها وحملاها على الخروج فسارت الى البصرة مخالفة على علي. ومعها طلحة والزبير فى خلق عظيم وقدم يعلى بن منية بمال من مال اليمن ، قيل ان مبلغه أربعمائة الف دينار فأخذه منه طلحة والزبير فاستعانا به وسارا نحو البصرة ومرّ القوم فى الليل بماء يقال له ماء (الحوأب) فنبحتهم كلابه فقالت عائشة ما هـذا الماء ، قال بعضهم ماء الحوأب قالت انا لله وانا اليه راجعون ردونى ردونى هذا الماء الذى قال لى رسول الله لا تكونى التى تنبحك كلاب الحوأب فاتاها القوم باربعين رجلا فاقسموا بالله انه ليس بماء الحوأب ، وقدم القوم البصرة وعامل علي عثمان بن حنيف فمنعها ومن معها من الدخول فقالا لم نأت لحرب وانما جئنا لصلح فكتبوا بينهم وبينه كتاباً أنهم لايحدثون حدثاً الى قدوم علي وأن كل فريق منهم آمن من صاحبه ثم افترقوا فوضع عثمان بن حنيف السلاح فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه وانتهبوا بيت المال وأخذوا ما فيه فلما حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير وجذب كل واحد منهما صاحبه حتى فات وقت الصلاة وصاح الناس الصلاة الصلاة يا أصحاب محمد فقالت عائشة يصلى محمد بن طلحة يوماً وعبد الله بن الزبير يوما فاصطلحوا على ذالك .

فلما أتى عليا الخبر سار الى البصرة واستخلف على المدينة أبا حسن (١) ابن عبد عمرو أحد بنى النجار وخرج من المدينة ومعه أربعمائة راكب من أصحاب رسول الله ﷺ فلما صاروا الى أرض أسد وطيء تبعه منهم ستمائة ثم صار الى ذى قار ووجه الحسن وعمار بن ياسر فاستنفرا أهل الكوفة وعامله يومئذ على

(١) - ابو حسن الأنصارى المازنى مشهور بكنيته واسمه تميم بن عمرو وقيل ابن عبد عمرو ، وقيل ابن عبد قيس بن مخرمة بن الحارث بن ثعلبة بن مازن ، بدرى له صحبة ، وهو جد يحي بن عمارة بن أبي حسن . (الاصابة لابن حجر)

الكوفة أبو موسى الأشعرى فخذل الناس عنه فوافاه منهم ستة آلاف رجل ولقيه عثمان بن حنيف فقال يا أمير المؤمنين وجهتنى ذا لحية فاتيتك أمرد وقص عليه القصة ، فلما قدم أمير المؤمنين البصرة وكانت وقعة الجمل بموضع يقال له الخريبة فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثين .

وخرج طلحة والزبير فيمن معهما فوقفوا على مصافهم فارسل اليهم على عليه السلام ماتطلبون وما تريدون ؟ قالوا نطالب بدم عثمان قال على لعن الله قتلة عثمان واصطف أصحاب على فقال لهم لا ترموا بسهم ولا تطعنوا برمح ولا تضربوا بسيف . . (١) . . أعذروا فرمى رجل من عسكر القوم بسهم فقتل رجل من أصحاب أمير المؤمنين فاتى به اليه فقال اللهم أشهد ، ثم رمى رجل آخر فاصاب عبد الله (٢) بن بديل بن ورقاء الخزاعى فقتله فاتى به أخوه عبد الرحمن يحمله فقال على اللهم اشهد ، ثم كانت الحرب وأطافت بنو ضبة بالجمل وكانت تحمل الراية فقتل منهم الفان وحفت به الأزد فقتل الفان وسبعمائة وكأن لا يأخذ خطام الجمل أحد إلا سالت نفسه فقتل طلحة بن عبيد الله فى المعركة رماه مروان بن الحكم بسهم فصرعه وقال لا أطلب والله بعد اليوم بثأر عثمان وانا قتلته فقال طلحة لما سقط تالله ما رأيت كاليوم قط شيخاً من قريش أضيع منى إنى والله ما وقفت موقفاً قط إلا عرفت موضع قدمى فيه إلا هذا الموقف .

وقال على بن أبى طالب عليه السلام للزبير يا أبا عبدالله ادن إلىّ اذكرك كلاماً سمعته أنا وأنت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الزبير لعلى لى الأمان فقال على عليه السلام عليك الأمان فبرز اليه فذكره الكلام فقال اللهم إنى ما ذكرت هـذا إلا

---

(١) ـ بياض فى الأصل ، ولعل العبارة (وأعذروا الى القوم) فرمى (الخ)

(٢) ـ أما عبدالله بن بديل بن ورقاء «رض» فلم يقتل يوم الجمل ولكنه استشهد فى صفين على سرادق معاوية وإنما قتل أخوه « كذا فى هامش الأصل » وهذا هو الذى ذكره المؤرخون منهم المسعودى فى مروج الذهب فى وقعة الجمل . « م . ص »

هذه الساعة وثنى عنان فرسه لينصرف فقال له عبد الله الى أين قال ذكرنى على كلاماً قاله رسول الله ، قال كلا ولكنك رأيت سيوف بنى هاشم حداداً تحملها شداداً . قال ويلك أو مثلى يعير بالجبن هلم إلى بالرمح وأخــــذ الرمح وحمل على أصحاب على فقال افرجوا للشيخ إنه محرج فشق الميمنة والميسرة والقلب ثم رجع فقال لابنه لا أم لك أيفعل هذا جبان وانصرف فاجتاز بالأحنف بن قيس فقال ما رأيت مثل هذا أتى بحرمة رسول الله يسوقها فهتك عنها حجاب رسول الله وستر حرمته فى بيته ثم أسلمها وانصرف الا رجل يأخذ لله منه فاتبعه عمرو بن جرموز التميمى فقتله بموضع يقال له وادى السباع .

وكانت الحرب أربع ساعات من النهار (فروى بعضهم) انه قتل فى ذلك اليوم نيف وثلاثون الفاً ثم نادى منادى على عليه السلام ألا لا يجهز على جريح ولا يتبع مول ، ولا يطعن فى وجه مدبر ، ومن القى السلام فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ثم آمن الأسود والأحمر ، ووجه ابن عباس الى عائشة يأمرها بالرجوع فلما دخل عليها ابن عباس قالت اخطأت السنة يابن عباس ، مرتين دخلت بيتى بغير إذنى وجلست على متاعى بغير أمرى ، قال نحن علمنا إياك (١) السنة إن هذاليس ببيتك بيتك الذى خلفك رسول الله صلى الله عليه وآله به وأمرك القرآن أن تقرى فيه ، وجرى بينهما كلام موضعه فى غير هذا من الكتاب . وأتاها على عليه السلام وهى فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى وابنه المعروف بطلحة الطلحات ، فقال إيها يا حميراء الم تنهى عن هذا المسير فقالت يا ابن أبى طالب قدرت فأسجح (٢) فقال اخرجى الى المدينة وارجعى الى بيتك الذى أمرك

---

(١) ـ كذا فى الأصل ولعل الصحيح (علمناك السنة) .

(٢) ـ المثل المشهور « ملكت فأسجح » الاسجاح حسن العفو أى ملكت الأمر على فأحسن العفو عنى ، ذكره الميدانى فى مجمع الامثال ورواه لعائشة انها قالته لعلى عليه السلام يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام فأجابته (ملكت فاسجح) وكذا فى النهاية لابن الاثير . (م . ص)

رسول الله ﷺ أن تقرى فيه ، قالت أفعل ، فوجه معها سبعين امرأة من عبد القيس فى ثياب الرجال حتى وافوا بها المـــدينة وأعطى الناس بالسوية لم يفضل أحداً على أحد وأعطى الموالى كما أعطى الصلبية ، وقيل له فى ذلك فقال قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لولد اسماعيل على ولد اسحاق فضل هذا وأخذ عوداً من الارض فوضعه بين اصبعيه .

ولما فرغ من حرب الجمل وجه جعدة بن هبيرة بن أبى وهب المخزومى الى خراسان وقدم عليه ماهويه مرزبان (١) مرو فكتب له كتاباً وأنفذ له شروطه وأمره أن يحمل من الخراج ما كان وظفه عليه فحمل اليه مالا على الوظيفة المتقدمة .

وخرج على عليه السلام من البصرة متوجاً الى الكوفة وقدم الكوفة فى رجب سنة ست وثلاثين وكان جرير بن عبد الله على همدان فعزله فقال لعلى وجهنى الى معاوية فان جل من معه قومى فلعلى اجمعهم على طاعتك فقال له الأشتر يا أمير المؤمنين لا تبعثه فان هواه هواهم فقال دعه يتوجه فان نصح كان ممن ادى امانته وإن داهن كان عليه وزر من اوتمن ولم يؤد الأمانة ووثق به فخالف الثقة ويا ويحهم مع من يميلون ويدعوننى فوالله ما أردتهم إلا على إقامة حق ولا يريدهم غيرى إلا على باطل ، فقدم جرير على معاوية وهو جالس والناس حوله فدفع اليه كتاب على عليه السلام فقرأه ثم قام جرير فقال يا أهل الشام إنه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد كانت بالبصرة ملحمة ان يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للإسلام فاتقوا الله يا أهل الشأم (وروا فى على (٢) ومعاوية خيراً)

(١) ـ المرزبان بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاء ، الرئيس عند الفرس وجمعه المرازبة .

(٢) ـ كتب فى هامش الأصل بدل العبارة المذكورة ما يلى (ورووا ابن معاوية من على واين أهل الشأم من المهاجرين والانصار) . (م . ص)

فانظروا لأنفسكم ولا يكونن أنظر لها منكم ، ثم سكت وصمت معاوية فلم ينطق فقال أبلعنى ريقى يا جرير .

وبعث معاوية من ليلته الى عمرو بن العاص أن يأتيه وكتب اليه (أما بعد فانه قد كان من أمر على وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك فقد سقط الينا مروان فى رافضة أهل البصرة وقدم على جرير بن عبدالله فى بيعة على وحبست نفسى عليك حتى تأتينى فاقدم على بركة الله تعالى) فلما انتهى الكتاب اليه دعا ابنيه عبدالله ومحمداً فاستشارهما فقال له عبدالله أيها الشيخ ان رسول الله قبض وهو عنك راض ومات ابو بكر وعمر وهما عنك راضيان فانك ان تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها مع معاوية فتضجعان غداً فى النار ، ثم قال لمحمد ما ترى فقال بادر هذا الأمر فكن فيه رأساً قبل أن تكون ذنباً فانشأ يقول :

تطاول ليلى للهموم الطوارق ... وخوف التى تجلو وجوه العواتق

فان ابن هند سالنى أن أزوره ... وتلك التى فيها بنات البوائق

أتاه جرير من على بخطة ... أمرت عليه العيش مع كل ذائق

فان نال منه ما يؤمل ردّه ... وان لم ينله ذلّ ذل المطابق

فوالله ما أدرى وانى لهكذا ... أكون ومهما قادنى فهو سائقى

أ أخدعه فالخدع فيه دنية ... أم اعطيه من نفسى نصيحة وامق

أم اجلس فى بيتى وفى ذاك راحة ... لشيخ يخاف الموت فى كل شارق

وقد قال عبد الله قولا تعلقت ... به النفس ان لم تعتقلنى عوائقى

وخالفه فيه أخوه محمد ... وانى لصلب العود عند الحقايق

فلما سمع عبدالله شعره قال بال الشيخ على عقبيه وباع دينه بدنياه فلما أصبح دعا وردان مولاه فقال له ارحل يا وردان ثم قال حط يا وردان لحط ورحل ثلاث مرات فقال وردان لقد خلطت أبا عبدالله فان شئت أخبرتك بما

فى نفسك قال هات قال اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت على معه آخرة بلا دنيا ومعاوية معه دنيا بلا آخرة وليس فى الدنيا عوض من الآخرة ، فلست تدرى أيهما تختار ، قال لله درك ما أخطأت مما فى نفسى شيئاً فما الرأى يا وردان قال الرأى أن تقيم فى منزلك فان ظهر أهل الدين عشت فى عفو دينهم وأن ظهر أهل الدنيا لم يستغن عنك قال عمرو الآن وقد شهرتنى العرب بمسيرى الى معاوية ارحل يا وردان ثم أنشأ يقول :

يا قاتل الله وردانا وفطنته أبدى لعمرك ما فى الصدر وردان

فقدم على معاوية فذا كره أمره فقال له أما على فوالله لا تساوى العرب بينك وبينه فى شىء من الأشياء وان له فى الحرب لحظاً ماهو لأحد من قريش الا أن تظلمه، قال صدقت ولكنا نقاتله على ما فى أيدينا ونلزمه قتل عثمان قال عمرو واسوأتاه ان أحق الناس أن لا يذكر عثمان لأنا ولأنت قال ولم ويحك قال أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلى فسار اليه ، وأما أنا فتركته عياناً وهربت الى فلسطين ، فقال معاوية دعنى من هذا مد يدك فبايعنى قال لا لعمر الله لا أعطيك دينى حتى آخذ من دنياك ، قال له معاوية لك مصر طعمة فغضب مروان بن الحكم وقال مالى لا أستشار فقال معاوية اسكت فانما يستشار بك ، فقال له معاوية يا أبا عبد الله بت عندنا الليلة وكره أن يفسد عليه الناس فبات عمرو وهو يقول :

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل به منك دنياً فانظرن كيف تصنع
فان تعطنى مصراً فأربح بصفقة أخذت بها شيخاً يضر وينفع
وما الدين والدنيا سواء واننى لآخذ ما أعطى ورأسى مقنع
ولكننى أعطيك هذا واننى لأخدع نفسى والمخادع يخدع
أأعطيك أمراً فيه للملك قوة وأبقى له ان زلت النعل أصرع

وتمنى مصراً وليست برغبة وانثرى القنوع يوماً لمولع (١)

فكتب له بمصر شرطاً وأشهد له شهوداً وختم الشرط وبايعه عمرو وتعاهدا على الوفاء ، واحتال معاوية لقيس بن سعد بن عبادة عامل على عليه السلام على مصر فجعل يكاتبه رجاء أن يستميله وكتب اليه قيس بن سعد (من قيس بن سعد الى معاوية بن صخر أما بعد فانما أنت وثن من أوثان مكة دخلت فى الاسلام كارهاً وخرجت منه طائعاً) وكتب معاوية الى سعد بن ابى وقاص (إن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش الذين اثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك فى الأمر ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين ولا تكرهن ما رضوا ولا تردن ما قبلوا) فكتب اليه سعد (أما بعد فان عمر لم يدخل فى الشورى إلا من تحل له الخلافة فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا باجتماعنا عليه غير أن علياً قد كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه وأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيراً لهما والله يغفر لأم المؤمنين).

وبلغ علياً عليه السلام أن معاوية قد استعد للقتال واجتمع معه أهل الشام فسار على فى المهاجرين والأنصار حتى أتى المدائن فلقيه الدهاقين بالهدايا فردها فقالوا ولمَ ترد علينا يا أمير المؤمنين قال نحن أغنى منكم بحق وأحق بان نفيض عليكم ثم صار الى الجزيرة فلقيه بطون تغلب والنمر بن قاسط (٢) فسار معه منهم خلق عظيم ، ثم سار الى الرقة وجل اهلها العثمانية الذين هربوا من الكوفة الى معاوية فغلقوا ابوابها وتحصنوا وكان اميرهم سماك بن مخرمة الأسدى فغلقوا دونه الباب

(١) كذا فى الأصل وفى الشطر الاخير اضطراب ، وقد ذكر الابيات ابن ابى الحديد المعتزلى فى شرح النهج ج ١ ص ١٣٧ وروى الشطر الاخير كما يلى (وانى بذا الممنوع قدماً لمولع) .

(٢) وكان عدة أصحاب على «ع» الذين جاهد بهم معاوية سبعين الفاً ، وقيل إن عسكر معاوية مثل ذالك والله اعلم . (عن هامش الاصل)

فصار اليهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي فقال والله لتفتحن أو لأضعن فيكم السيف ففتحوا واقام بها امير المؤمنين يومه ثم عبر الى الجانب الشرقي من الفرات حتى صار الى صفين وقد سبق معاوية الى الماء ووسعه المناخ فلما وافى علي واصحابه لم يصلوا الى الماء فتوسل الناس الى معاوية وقالوا لا تقتل الناس عطشاً فيهم العبد والأمة والأجير ، فابى معاوية وقال لا سقاني الله ولا أبا سفيان من حوض رسول الله إن شربوا منه ابداً ، فوجه علي عليه السلام الأشتر والأشعث ، الأشتر في الخيل والأشعث بن قيس في الرجالة ، وكانت خيل معاوية مع أبي الأعور السلمي فقاتله أصحاب علي حتى صارت سنابك الخيل في الفرات وغلبوا على المشرعة وكان الواقف عليها عبدالله بن الحارث أخو الأشتر فلما غلب علي عليه السلام على المشرعة قال أصحاب معاوية إنه لاقوام لنا وقد أخذ علي الماء، فقال عمرو بن العاص إن علياً لا يستحل منك ومن اصحابك ما استحللت منه ومن أصحابه، فاطلق علي عليه السلام الماء وكان ذلك في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ، ثم وجه علي الى معاوية يدعوه ويسأله الرجوع أن لا يفرق الأمة بسفك الدماء فابى إلا الحرب فكانت الحرب في صفين سنة سبع وثلاثين وأقامت بينهم أربعين صباحاً ، وكان مع علي يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلا وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل ، ولم يكن مع معاوية من الانصار إلا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد ، وصدقت نيات أصحاب علي عليه السلام في القتال ، وقام عمار بن ياسر فصاح في الناس فاجتمع اليه خلق عظيم فقال والله انهم لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال ألا من رائح الى الجنة فتبعه خلق فضرب حول سرادق معاوية فقاتل القوم قتالا وقتل عمار بن ياسر واشتد الحرب في تلك العشية ونادى الناس قتل صاحب رسول الله وقد قال رسول الله (ص) تقتل عماراً الفئة الباغية وزحف أصحاب علي عليه السلام وظهروا على أصحاب معاوية ظهوراً شديداً حتى لصقوا به، فدعا

معاوية بفرسه لينجو عليه فقال له عمرو بن العاص الى اين؟ قال قد نزل ما ترى فما عندك قال لم يبق إلا حيلة واحدة أن ترفع المصاحف فتدعوهم الى ما فيها فتستكفهم وتكسر من حدّهم وتفت فى أعضادهم ، قال معاوية فشأنك فرفعوا المصاحف ودعوهم الى التحكيم بما فيها وقالوا ندعوكم الى كتاب الله فقال على عليه السلام انها مكيدة وليسوا بأصحاب قرآن فاعترض الأشعث بن قيس الكندى وقد كان معاوية استماله وكتب اليه ودعاه الى نفسه ، فقال قد دعوا القوم الى الحق، فقال على «ع» انهم انما كادوكم وأرادوا صرفكم عنهم، فقال الاشعث والله لئن لم تجبهم انصرفت عنك ، ومالت اليمانية مع الاشعث ، فقال الاشعث والله لتجيبنهم الى ما دعوا اليه أو لندفعنك اليهم برمتك فتنازع الأشتر والأشعث فى هذا كلاماً عظيماً حتى كاد أن يكون الحرب بينهم وحتى خاف على عليه السلام أن يفترق عنه أصحابه فلما رأى ما هو فيه أجابهم الى الحكومة ، وقال على أرى أن أوجه بعبد الله ابن عباس فقال الاشعث ان معاوية يوجه بعمرو بن العاص ولا يحكم فينا مضريان ولكن توجه أبا موسى الاشعرى فانه لم يدخل فى شىء من الحرب ، فقال على «ع» ان أبا موسى الاشعرى عدو وقد خذّل الناس عنى بالكوفة ونهاهم أن يخرجوا معى ، قالوا لا نرضى بغيره ، فوجه على أباموسى على علمه بعداوته له ومداهنته فيما بينه وبينه ، ووجه معاوية عمرو بن العاص وكتبوا كتابين بالقضية كتاباً من على «ع» بخط كاتبه عبد الله بن أبى رافع ، وكتاباً من معاوية بخط كاتبه عمير بن عباد الكنانى ، واختصموا فى تقديم على «ع» أو تسمية على بامرة المؤمنين ، فقال أبو الاعور السلمى لا نقدم علياً وقال أصحاب على لا نغير اسمه ولا نكتب إلا بامرة المؤمنين ، فتنازعوا على ذلك منازعة شديدة حتى تضاربوا بالايدى ، فقال الاشعث امحوا هذا الاسم ، فقال له الاشتر والله يا أعور لهممت ان أملىء سيفى منك فلقد قتلت قوماً ما هم بأشر منك وانى أعلم انك ما تحاول إلا الفتنة وما تدور إلا على الدنيا وإيثارها على الآخرة ، فلما اختلفوا قال على «ع»

الله اكبر قد كتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية لسهيل بن عمرو هذا ما صالح عليه رسول الله فقال سهيل لو علمنا انك رسول الله ما قاتلناك فمحا رسول الله اسمه بيده وأمرني فكتبت من محمد بن عبد الله وقال ان اسمي واسم أبي لايذهبان بنبوتي وكذلك كتبت الأنبياء كما كتب رسول الله الى الآباء وإن اسمي واسم أبي لايذهبان بإمرتي ، وأمرهم فكتبوا من علي بن أبي طالب وكتب كتاب القضية على الفريقين يرضون بذلك بما أوجبه كتاب الله واشترط على الحكمين في الكتابين أن يحكما بما في كتاب الله من فاتحته الى خاتمته لا يتجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه الى هوى ولا ادهان وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق فان هما جاوزا بالحكم كتاب الله من فاتحته الى خاتمته فلا حكم لهما .

ووجه علي عليه السلام بعبد الله بن عباس في أربعمائة من أصحابه ونفذ معاوية أربعمائة من أصحابه واجتمعوا (بدومة الجندل) في شهر ربيع الأول سنة ثماني وثلاثين فخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري وذكر له معاوية فقال هو ولي ثأر عثمان وله شرفه في قريش فلم يجد عنده ما يحب ، قال فابني عبد الله قال ليس بموضع لذلك قال فعبد الله بن عمر قال اذاً يحيي سنة عمر ، الآن جئت به فقال فاخلع علياً وأخلع أنا معاوية ويختار المسلمون وقدم عمرو أبا موسى الى المنبر فلما رآه عبد الله بن عباس قام الى عبد الله ابن قيس فدنا منه فقال إن كان عمرو فارقك على شيء فقدمه قبلك فانه غدر ، فقال لا قد اتفقنا على أمر فصعد المنبر وخلع علياً ثم صعد عمرو بن العاص فقال قد ثبت معاوية كما ثبت خاتمي هذا في يدي ، فصاح به أبو موسى غدرت يا منافق إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فقال عمرو انما مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً، وتنادى الناس حكم والله الحكمان بغير ما في كتاب الله والشرط عليهما غير هذا وتضارب القوم بالسياط واخـــذ قوم بشعور بعض وافترق الناس ونادت الخوارج كفر الحكمان لا حكم إلا لله .

(وقيل) أول من نادى بذلك عروة بن أدية التميمي قبل أن يجتمع الحكمان وكانت الحكومة في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين .

(قال) ابن الكلبي أخبرني عبدالرحمن بن حصين بن سويد . . . (١) . . . قال اني لأساير أبا موسى الأشعري على شاطىء الفرات وهو إذ ذاك عامل لعمر فجعل يحدثني فقال إن بني إسرائيل لم تزل الفتن ترفعهم وتخفضهم أرضاً بعد أرض حتى حكموا ضالين ، اضلا من اتبعهما قلت فان كنت يا أبا موسى أحد الحكمين قال : فقال لي إذاً لا ترك الله لي في السماء مصعداً ولا في الأرض مهرباً إن كنت أنا هو ، فقال سويد لربما كان البلاء موكلا بالمنطق ، ولقيته بالتحكيم فقلت إن الله اذا قضى أمراً لم يغالب .

وانصرف علي عليه السلام الى الكوفة فلما قدمها قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال : (أيها الناس إن أول وقوع الفتن هوى يتبع وأحكام تبتدع . يعظم فيها رجال رجالا يخالف فيها حكم الله ولو أن الحق أخلص فعمل به لم يخف على ذي حجى ولكن يؤخذ ضغث من ذا وضغث من ذا فيخلط فيعمل به فعند ذلك يستولى الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى) .

وصارت الخوارج الى قرية يقال لها (حروراء) بينها وبين الكوفة نصف فرسخ وبها سموا (الحرورية) ورئيسهم عبدالله بن وهب الراسبي وابن الكوا وشبث بن ربعي فجعلوا يقولون لا حكم إلا لله . فلما بلغ علياً ذلك قال كلمة حق أريد بها باطل ، ثم خرجوا في ثمانية آلاف (وقيل) في اثنى عشر الفاً فوجه اليهم علي عليه السلام عبدالله بن عباس فكلمهم واحتجوا عليه فخرج اليهم علي « ع » فقال أتشهدون عليّ بجهل؟ قالوا لا قال فتنفذون أحكامي؟ قالوا نعم قال ارجعوا الى

(١) - بياض في الأصل ، ولعل الساقط (أخبرني جدي سويد بن غفلة) كما في هامش الأصل . (م . ص)

كوفتكم حتى نتناظر فرجعوا من عند آخرهم ثم جعلوا يقومون فيقولون لا حكم إلا لله فيقول علي عليه السلام حكم الله أنتظر فيكم ، وخرجوا من الكوفة فوثبوا على عبدالله بن خباب بن الأرت فقتلوه وأصحابه ، فخرج اليهم علي «ع» فناشدهم الله ووجه اليهم عبدالله بن عباس فقال يا بن عباس قل لهؤلاء الخوارج ما نقمتم على أمير المؤمنين ألم يحكم فيكم بالحق ويقيم فيكم العدل ولم يبخسكم شيئاً من حقوقكم ، فناداهم عبدالله بن عباس بذلك فقالت طائفة منهم والله لا نجيبه وقالت الأخرى والله لنجيبنه ثم لنخصمنه ، نعم يا بن عباس نقمنا على علي خصالا كلها موبقة لو لم نخصمه منها إلا بخصلة خصمناه ، محا اسمه من امرة المؤمنين يوم كتب الى معاوية ، ورجعنا عنه يوم صفين فلم يضربنا بسيفه حتى نفيء الى الله وحكم الحكمين ، وزعم انه وصى فضيع الوصية وجئتنا يابن عباس في حلة حسنة جميلة تدعونا الى مثل ما يدعونا اليه ، فقال ابن عباس قد سمعت يا أمير المؤمنين مقالة القوم وانت أحق بالجواب؟ فقال حججتهم والذى فلق الحبة وبرأ النسمة قل لهم الستم راضين بما في كتاب الله وبما فيه من اسوة رسول الله ؟ قالوا بلى قال فعلي بذلك أرضى ، كتب كاتب رسول الله يوم الحديبية اذ كتب الى سهيل بن عمرو وصخر بن حرب ومن قبلهما من المشركين (من محمد رسول الله) فكتبوا اليه لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك فا كتب الينا (من محمد عبدالله)لنجيبك فمحا رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه بيده وقال ان اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوتي وأمري فكتب (من محمد بن عبدالله) وكذلك كتب الأنبياء كما كتب رسول صلى الله عليه وآله الى الآباء فلي رسول الله اسوة حسنة .

وأما قولكم إني لم أضربكم بسيفي يوم صفين حتى تفيئوا الى أمر الله فان الله جل وعز يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وكنتم عدداً جماً وانا وأهل بيتي في عدة يسيرة .

وأما قولكم إني حكمت الحكمين فان الله عز وجل حكم في أرنب يساع

بربع درهم فقال (يحكم به ذوا عدل منكم) ولو حكم الحكمان بما فى كتاب الله لما وسعنى الخروج من حكمهما .

وأما قولكم إنى كنت وصياً فضيعت الوصية فان الله عز وجل يقول (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) أفرأيتم هذا البيت لو لم يحج اليه أحد كان البيت يكفر ، ان هذا البيت لو تركه من استطاع اليه سبيلا كفر. وأنتم كفرتم بترككم إياى لا أنا كفرت بتركى لكم ، فرجع يومئذ من الخوارج الفان وأقام أربعة آلاف والتحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس فاقامت مقدار ساعتين من النهار فقتلوا من عند آخرهم وقتل ذو الثدية ولم يفلت من القوم إلا أقل من عشرة ولم يقتل من أصحاب على إلا اقل من عشرة ، وكانت وقعة النهروان سنة تسع وثلاثين .

ولما قدم على عليه السلام الكوفة قام خطيباً فقال بعد حمـــد الله والثناء عليه والتذكير لنعمه والصلاة على محمد وذكر بما فضله الله به (أما بعد: أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترىء عليها أحد غيرى ولو لم اكن فيكم ما قوتل الناكثون ولا القاسطون ولا المارقون، ثم قال : سلونى قبل أن تفقدونى فإنى عن قليل مقتول فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا تسألونى عن شىء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تضل مائة أو تهدى مائة إلا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها الى يوم القيامة ، ان القرآن لا يعلم علمه إلا من ذاق طعمه وعلم بالعلم جهله وابصر عمله واستمع صممه (١) وادرك به مأواه وحى به ان مات فادرك به الرضا من الله فاطلبوا ذلك عند أهله فانهم فى بيت الحياة (٢) ومستقر القرآن ومنزل الملائكة واهل العلم الذين يخبركم عملهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم ، هم الذين لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه قد مضى

(١) كذا فى الأصل ، ولعل الصحيح (جمله) .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعل الصحيح فى بيت (الوحى) . (م . ص)

فيهم من الله حكم صادق وفي ذلك ذكرى للذاكرين، أما أنكم ستلقون بعدى ذلا شاملا وسيفاً قاتلا واثرة قبيحة يتخذها الظالمون عليكم سنة تفرق جموعكم وتبكي عيونكم ويدخل الفقر بيوتكم، وستذكرون ما اقول لكم عن قليل ولا يبعد الله إلا من ظلم).

ووجه معاوية بن ابي سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له فقدمها سنة ثماني وثلاثين ومعه جيش عظيم من اهل الشام فكان على دمشق يزيد بن اسد البجلي، وعلى أهل فلسطين شمير الخثعمي، وعلى أهل الأردن أبو الأعور السلمي ومعاوية بن خديج الكندي على الخارجة، فلقيهم محمد بن أبي بكر بموضع يقال له (المسناة) فحاربهم محاربة شديدة. وكان عمرو يقول: ما رأيت مثل يوم المسناة وقد كان محمد استذم الى اليمانية فمايل عمرو بن العاص اليمانية فخلفوا محمد بن أبي بكر وحده فجالد ساعة ثم مضى فدخل منزل قوم خراباً واتبعه ابن خديج الكندي فاخذه وقتله وأدخله جيفة حمار وحرقه بالنار في زقاق يعرف به (زقاق الحوف).

وبلغ علياً عليه السلام ضعف محمد بن أبي بكر وممالاة اليمانية معاوية وعمرو بن العاص فقال ما أوتي محمد من حرض، ووجه مالك بن الحارث الأشتر الى مصر قبل أن ينتهي اليه قتل محمد بن أبي بكر وكتب الى أهل مصر (إني بعثت اليكم سيفاً من سيوف الله لا نابي الضربة ولا كليل الحد فان استنفركم فانفروا وإن أمركم بالمقام فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى وقد آثرتكم به على نفسي).

فلما بلغ معاوية بان علياً «ع» قد وجه الأشتر عظم عليه وعلم أن أهل اليمن أسرع الى الأشتر منهم الى كل أحد فدس له سماً فلما صار الى القلزم من من الفسطاط على مرحلتين نزل منزل رجل من أهل المدينة يقال له . . . (١) . . .

(١) - بياض في الأصل ولم يذكر المؤرخون اسم الرجل الذي سم الأشتر (رض) سوى أنه كان المقدم على أهل الخراج بالقلزم فكتب اليه معاوية بانه إن قتله لم يأخذ منه خراجاً ما بقى، أنظر تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٣٨. (م. ص)

لخدمته وقلم بحوائجه ثم أتاه بقعب فيه عسل قد صير فيه السم فسقاه اياه فمات الأشتر بالقلزم وبها قبره وكان قتله وقتل محمد بن أبي بكر في سنة ثمان وثلاثين .

ولما بلغ علياً «ع» قتل محمد بن أبي بكر والأشتر جزع عليهما جزعاً شديداً وتفجع وقال علي «ع» على مثلك فلتبك البواكي يا مالك واني مثل مالك ، وذكر محمد بن أبي بكر وتفجع عليه وقال انه كان لي ولداً ولولدي وولد أخي أخاً .

وخرج الخريت بن راشد الناجي في جماعة من أصحابه فجردوا السيف بالكوفة فقتلوا جماعة وطلبهم الناس فخرج الخريت وأصحابه من الكوفة فجعلوا لا يمرون ببلد الا انتهبوا بيت ماله حتى صارو الى سيف عمان وكان علي عليه السلام قد وجه الحلو بن عوف الأزدي عاملا على عمان فوثبت به بنو ناجية فقتلوه وارتدوا عن الإسلام فوجه علي عليه السلام معقل بن قيس الرياحي الى البلد فقتل الخريت بن راشد وأصحابه وسبى بني ناجية فاشتراهم مصقلة بن هبيرة الشيباني وأنفذ بعض الثمن ثم هرب الى معاوية .

وأمر علي عليه السلام بهدم داره وأنفذ عتق بني ناجية وكانوا يدعون أنهم من ولد سامة بن لوي ، ووجه معاوية النعمان بن بشير فأغار على مالك بن كعب الأرحبي وكان عامل علي «ع» على مسلحة عين التمر فندب علي «ع» الناس فقال (يا أهل الكوفة انتدبوا الى أخيكم مالك بن كعب فان النعمان بن بشير قد نزل به في جمع ليس بكثير لعل الله أن يقطع من الظالمين طرفاً) فأبطأوا ولم يخرجوا فصعد علي عليه السلام المنبر فتكلم كلاماً خفياً لا يسمع فظن الناس انه يدعوا الله ثم رفع صوته فقال : (أما بعد يا أهل الكوفة أ كلما أقبل منسر من مناسر أهل الشأم اغلق كل امرىء بابه وانجحر في بيته انجحار الضب والضبع الذليل في وجاره أف لكم لقد لقيت منكم يوماً أناجيكم ويوماً أناديكم فلا إخوان عند النجاء ولا أحرار عند النداء) فلما دخل بيته قام عدي بن حاتم فقال هذا والله الخذلان القبيح ثم دخل اليه فقال يا أمير المؤمنين معي الف رجل من طيء

لايعصونى وان شئت أن أسير بهم سرت ، فقال على عليه السلام جزاك الله خيراً يا أبا طريف ما كنت لأعرض قبيلة واحدة لحد أهل الشام ولكن اخرج الى النخيلة فخرج وأتبعه الناس فسار عدى على شاطىء الفرات على أدنى الشام .

وأغار الضحاك بن قيس على القطقطانة فبلغ علياً اقباله وأنه قد قتل ابن عميش فقام على عليه السلام خطيباً فقال (يا أهل الكوفة اخرجوا الى جيش لكم قد أصيب منه طرف والى الرجل الصالح ابن عميش فامنعوا حريمكم وقاتلوا عدوكم) فردوا رداً ضعيفاً ، فقال (يا أهل العراق وددت ان لى بكم بكل ثمانية منكم رجلا من أهل الشام وويل لهم قاتلوا مع تصبرهم على جور ويحكم اخرجوا معى ثم فروا عنى ان بدا لكم فوالله انى لأرجو شهادة وأنها لتدور على رأسى مع مالى من الروح العظيم فى ترك مداراتكم كما تدارى البكار العمرة أو الثياب المتهتكة كلما حيصت من جانب تهتكت من جانب) فقام اليه حجر بن عدى الكندى فقال (يا أمير المؤمنين لا قرب الله الى الجنة من لايحب قربك ، عليك بعادة الله عندك فان الحق منصور والشهادة أفضل الرياحين اندب معى الناس المناصحين وكن لى فئة بكفايتك ، والله فئة الانسان وأهله ان الشيطان لا يفارق قلوب أكثر الناس حتى تفارق أرواحهم أبدانهم) فتهلل وأثنى على حجر جميلا وقال لاحرمك الله الشهادة فانى أعلم أنك من رجالها ، وجلس على «ع» فى المسجد فندب الناس وانتدب أربعة آلاف فسار بهم فى طلب القوم وأغذ المسير حتى لقيهم بتدمر من عمل حمص فقاتلهم فهزمهم حتى انتهوا الى الضحاك وحجز بينهم الليل فادلج الضحاك على وجهه منصرفاً وشن حجر بن عدى ومن معه الغارة فى تلك البلاد يومين وليلتين ثم أغار سفيان بن عوف على الأنبار فقتل أشرس بن حسان البكرى فاتبعه على «ع» سعيد بن قيس فلما احس به انصرف موليأو تبعه سعيد الى عانات فلم يلحقه .

وبعث معاوية عبد الله بن مسعدة بن حذيفة بن بدر الفزارى فى جريدة

خيل وأمره أن يقصد المدينة ومكة فسار فى الف وسبعمائة فلما أتى علياً الخبر وجه المسيب بن نجبة الفزارى فقال له (يا مسيب انك ممن أثق بصلاحه و بأسه ونصيحته فتوجه الى هؤلاء القوم وأثرفيهم وان كانوا قومك) فقال له المسيب يا أمير المؤمنين إن من سعادتى أن كنت من ثقاتك ، فخرج فى الفى رجل من همدان وطىء وغيرهم وأغذ المسير وقدم مقدمته فلقوا عبدالله بن مسعدة فقاتلوه فلحقهم المسيب فقاتلهم حتى امكنه أخذ ابن مسعدة فجعل يتحاماه وانهزم ابن مسعدة فتحصن بتيماء وأحاط المسيب بالحصن فحصر ابن مسعدة وأصحابه ثلاثاً فناداه يا مسيب انما نحن قومك فليمسك الرحم فخلى لابن مسعدة وأصحابه الطريق ونجا من الحصن فلما جنهم الليل خرجوا من تحت ليلتهم حتى لحقوا با الشام وصبح المسيب الحصن فلم يجد أحداً فقال عبد الرحمن بن شبيب داهنت والله يا مسيب فى أمرهم وغششت أمير المؤمنين وقدم على على فقال له يا مسيب كنت من نصاحى ثم فعلت مافعلت فحبسه اياماً ثم أطلقه وولاه قبض الصدقة بالكوفة .

ووجه معاوية بسر بن ابى أرطاة وقيل ابن أرطاة العامرى من بنى عامر ابن لوى فى ثلاثة آلاف رجل فقال له سرحتى تمر بالمدينة فاطرد اهلها واخف من مررت به وانهب مال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل فى طاعتنا وأوهم اهل المدينة أنك تريد أنفسهم وأنه لا براءة لهم عندك ولاعذر وسر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة واجعلهم شرادات ثم امض حتى تأتى صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءنى كتابهم فخرج بسر فجعل لا يمر بحى من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاوية حتى قدم المدينة وعليها ابو ايوب الأنصارى فتنحى عن المدينة ودخل بسر فصعد المنبر ثم قال (يا أهل المدينة مثل السوء لكم قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ألا وان الله قد أوقع بكم المثل وجعلكم أهله شاهت الوجوه ثم ما زال يشتمهم حتى نزل .

قال فانطلق جابر بن عبدالله الانصارى الى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى قد خشيت أن اقتل وهذه بيعة ضلال قالت اذاً فبايع فان التقية حملت اصحاب الكهف على ان كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم .

وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى اتى مكة ثم مضى حتى أتى اليمن وكان على اليمن عبيدالله بن عباس عامل على « ع » وبلغ علياً الخبر فقام خطيباً فقال :

(ايها الناس ان اول نقصكم ذهاب اولى النهى والراى منكم الذين يحدثون فيصدقون ويقولون فيفعلون وانى قد دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً وليلا ونهاراً فما يزيدكم دعائى الا فراراً ، ما تنفعكم الموعظة ولا الدعاء الى الهدى والحكمة ، أما والله انى لعالم بما يصلحكم ولكن فى ذلك فسادى أمهلونى قليلا فوالله لقد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم ويعذبه الله بكم ان من ذل الاسلام وهلاك الدين أن ابن ابى سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجيبون وأدعوكم وانتم لا تصلحون فتراعون ، هذا بسر قد صار الى اليمن وقبلها الى مكة والمدينة) .

فقام جارية بن قدامة السعدى فقال : يا أمير المؤمنين لا عدمنا الله قربك ولا أرانا فراقك فنعم الأدب أدبك ونعم الامام والله أنت أنا لهؤلاء القوم فسرحنى اليهم قال تجهز فانك ما علمتك الرجل فى الشدة والرخاء المبارك الميمون النقية .

ثم قام وهب بن مسعود الخثعمى فقال : أنا أنتدب يا أمير المؤمنين قال انتدب بارك الله عليك ، فخرج جارية فى الفين ، ووهب بن مسعود فى الفين وأمرهما على « ع » أن يطلبا بسراً حيث كان حتى يلحقاه فاذا اجتمعا فرأس الناس جارية فخرج جارية من البصرة ووهب من الكوفة حتى التقيا بارض الحجاز ونفذ بسر من الطائف حتى قدم اليمن وقد تنحى عبيدالله بن عباس عن اليمن واستخلف بها عبدالله بن عبد المدان الحارثى فاتاه بسر فقتله وقتل ابنه مالك بن عبدالله ، وقد كان عبيدالله خلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند جويرية ابنة فارظ

الكنانية وهى أمهما وخلف معها رجلا من كنانة فلما انتهى بسر اليهما دعا ابنى عبيدالله ليقتلهما فقام الكنانى فانتضى سيفه وقال والله لأقتلن دونهما والافأى عذر لى عندالله والناس فضارب بسيفه حتى قتل وخرجت نسوة من بنى كنانة فقلن يا بسر هذه الرجال يقتلون فما بال الولدان والله ما كانت الجاهلية تقتلهم والله ان سلطانا لا يشيد الا بقتل الصبيان ورفع الرحمة لسلطان سوء ، فقال بسر والله لقدهممت أن أضع فيكم السيف وقدم الطفلين فذبحهما فقالت أمهما ترثيهما:

ها من أحس من ابنيي اللذين هما	سمعى وقلبى فقلبى اليوم مختطف
ها من أحس من ابنيي اللذين هما	مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
ها من أحس من ابنيي اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
نبئت بسراً وما صدقت مازعموا	من قولهم ومن الافك الذى اقترفوا
أنحى على ودجى ابنى مرهفة	مشحوذة وكذاك الأمر مقترف
من دل والهة حرى وثا كلة	على صبيين ضلا اذ غدا السلف

ثم جمع بسر أهل نجران فقال يا اخوان النصارى أما والذى لا إله غيره لئن بلغنى عنكم أمر أكرهه لأكثرن قتلاكم ، ثم سار نحو جيشان وهم شيعة لعلى عليه السلام فقاتلهم فهزمهم وقتل فيهم قتلا ذريعاً ثم رجع الى صنعاء .

وسار جارية بن قدامة السعدى حتى أتى نجران وطلب بسراً فهرب منه فى الارض ولم يقم له وقتل من أصحابه خلقا وأتبعهم بقتل وأسر حتى بلغ مكة ومر بسر حتى دخل الحجاز لا يلوى على شىء فأخذ جارية بن قدامة أهل مكة بالبيعة فقالوا قد هلك على فلمن نبايع قال لمن له بايع أصحاب على بعده فتثاقلوا فقال والله لتبايعن ولو بأستاهكم فبايعوا ودخل المدينة وقد اصطلحوا على ابى هريرة فصلى بهم ففر منه ابو هريرة فقال جارية يا أهل المدينة بايعوا للحسن بن على فبايعوا ثم خرج يريد الكوفة فرد أهل المدينة أبا هريرة .

(قال غياث) عن فطر بن خليفة حدثنى ابو خالد الوالبى قال قرأت عهد

على عليه السلام لجارية بن قدامة (أوصيك يا جارية بتقوى الله فانها جموع الخير وسر على عون الله فالق عدوك الذى وجهتك له ولا تقاتل إلا من قاتلك ولا تجهز على جريح ولا تسخرن دابة وإن مشيت ومشى أصحابك ، ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم ولا تشربن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم ، ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه . ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة ، واذكر الله ولا تفتر ليلا ولا نهاراً ، واحملوا رجالتكم . وتواسوا فى ذات أيديكم ، واجدد السير وأجل العدو من حيث كان ، واقتله مقبلا واردده بغيظه صاغراً ، واسفك الدم فى الحق واحقنه فى الحق ، ومن تاب فاقبل توبته وأخبارك فى كل حين بكل حال والصدق الصدق فلا رأى للكذوب) .

(قال) وحدث أبو الكنود إن جارية مر فى طلب بسر فما كان يلتفت الى مدينة ولا يعرج على شيء حتى انتهى الى اليمن ونجران فقتل من قتل وهرب منه بسر وحرق تحريقاً فسمى محرقاً .

وكتب على عليه السلام الى عماله يستحثهم بالخراج فكتب الى الأشعث بن قيس وكان عامله بآذربيجان (أما بعد فانما غرك من نفسك وجرأك على آخرك إملاؤ الله لك إذ ما زلت قديماً تأكل رزقه وتلحد فى آياته وتستمتع بخلاقك وتذهب بحسناتك الى يومك هذا فاذا أتاك رسولى بكتابى هذا فأقبل واحمل ما قبلك من مال المسلمين إن شاء الله) فلما قرأ الأشعث كتابه أقبل اليه .

وكتب الى يزيد بن قيس الأرحبي (أما بعد فانك أبطأت بحمل خراجك وما أدرى ما الذى حملك على ذلك غير أنى أوصيك بتقوى الله واحذرك أن تحبط أجرك وتبطل جهادك بخيانة المسلمين ، فاتق الله ونزه نفسك عن الحرام ولا تجعل لى عليك سبيلا فلا أجد بداً من الايقاع بك ، واعزز المسلمين ولا تظلم المعاهدين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض إن الله لا يحب المفسدين) .

وكتب الى سعد بن مسعود عم المختار بن أبى عبيد وهو على المدائن (أما بعد فانك قد أديت خراجك وأطعت ربك وأرضيت إمامك فعل البر التقى النجيب فغفر الله ذنبك وتقبل سعيك وحسن مآبك) .

وكتب الى عمر بن أبى سلمة المخزومى وهو ابن أم سلمة زوج النبى ﷺ وكان عامله على البحرين (أما بعد فانى قد وليت النعمان بن العجلان البحرين بلا ذم لك فأقبل غير ظنين وأخرج اليه من عمل ما وليت فقد أردت الشخوص الى ظلمة أهل الشام وبقية الأحزاب فأحببت أن تشهد معى لقاءهم فانك ممن أستظهر به على إقامة الدين ونصر الهدى جعلنا الله وإياك من الذين يعملون بالحق وبه يعدلون) .

فأقبل عمر فشهد معه ثم انصرف وتبع علياً عليه السلام الى الكوفة فمكث معه سنة وبعضاً أخرى فبلغه أن النعمان بن العجلان قد ذهب بمال البحرين فكتب اليه على عليه السلام (أما بعد فانه من استهان بالأمانة ورغب فى الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه أخل بنفسه فى الدنيا وما يشفى عليه بعدُ أمر وأبقى وأشقى وأطول فخف الله انك من عشيرة ذات صلاح فكن عند صالح الظن بك وراجع ان كان حقاً ما بلغنى عنك ولا تقلبن رأيى فيك واستنظف خراجك ثم اكتب الىّ ليأتيك رأيى وأمرى ان شاء الله) فلما جاءه كتاب على عليه السلام وعلم أنه قد علم حمل المال ولحق معاوية .

وكتب الى مصقلة بن هبيرة وبلغه أنه يفرق ويهب أموال أردشير حرة وكان عليها (أما بعد فقد بلغنى عنك أمر اكبرت أن أصدقه انك تقسم فيء المسلمين فى قومك ومن اعتراك من السألة والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء كما تقسم الجوز فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لأفتشن عن ذلك تفتيشاً شافيا فان وجدته حقا لتجدن بنفسك على هوانا فلا تكونن من الخاسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) .

فكتب مصقلة اليه (أما بعد فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين فليسأل ان كان حقاً فليعجل عزلي بعد نكالي فكل مملوك لي حر وعليّ آثام ربيعة ومضر ان كنت رزأت من عملي ديناراً ولا درهما ولا غيرهما منذ وليته الى أن ورد عليّ كتاب أمير المؤمنين ، ولتعلمن أن العزل أهون عليّ من التهمة) فلما قرأ كتابه قال ما أظن أبا الفضل الا صادقاً .

ووجه رجلا من أصحابه الى بعض عماله مستحثاً فاستخف به فكتب اليه (أما بعد فانك شتمت رسولي وزجرته وبلغني أنك تبخر وتكثر من الادهان والوان الطعام وتتكلم على المنبر بكلام الصديقين وتفعل اذا نزلت أفعال المحلين فان يكن ذلك كذلك فنفسك ضررت وأدبي تعرضت ويحك أن تقول العظمة والكبرياء ردائي من نازعنيها سخطت عليه بل ما عليك أن تدهن رفيها فقد أمر رسول الله ﷺ بذلك وما حملك أن تشهد الناس عليك بخلاف ما تقول ثم على المنبر حيث يكثر عليك الشاهد ويعظم مقت الله لك بل كيف ترجو وأنت متهوع في النعيم جمعته من الارملة واليتيم أن يوجب الله لك أجر الصالحين بل ما عليك ثكلتك أمك لو صمت لله أياماً وتصدقت بطائفة من طعامك فانها سيرة الأنبياء وأدب الصالحين أصلح نفسك وتب من ذنبك وأد حق الله عليك والسلام) .

وكتب الى قيس بن سعد بن عبادة وهو على آذربيجان (أما بعد فأقبل على خراجك بالحق وأحسن الى جندك بالانصاف وعلم من قبلك مما علمك الله ثم ان عبد الله بن شبيل الأحمسي سألني الكتاب اليك فيه بوصايتك به خيراً فقد رأيته وادعاً متواضعاً فألن حجابك وافتح بابك واعمد الى الحق فان وافق الحق ما يحبو اسره ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) .

قال غياث ولما أجمع علي عليه السلام على القتال لمعاوية كتب أيضاً الى قيس

(أما بعد فاستعمل عبد الله بن شبيل الأحمسى خليفة لك وأقبل الى فان المسلمين قد أجمع ملأهم وانقادت جماعتهم فعجل الاقبال فانا سأحضرن الى المحلين عند غرة الهلال ان شاء الله وما تأخرى الا لك قضى الله انا ولك بالاحسان فى فى أمرنا كله .

وكتب الى سهل بن حنيف وهو على المدينة (أما بعد فقد بلغنى أن رجالا من أهل المدينة خرجوا الى معاوية فمن أدركته فامنعه ومن فاتك فلا تأس عليه فبعداً لهم فسوف يلقون غياً أما لو بعثرت القبور واجتمعت الخصوم لقد بدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وقد جاءنى رسولك يسألنى الاذن فأقبل عفا الله عنا وعنك ولا تذر خللان ان شاء الله) .

وكتب علىّ « ع » الى عمر بن ابى سلمة الأرحبى (أما بعد فان دهاقين عملك شكوا غلظتك ونظرت فى أمرهم فما رأيت خيراً فلتكن منزلتك بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشدة فى غير ظلم ولا نقص فان هم أجبونا صاغرين فخذ مالك عندهم وهم صاغرون ولا تتخذ من دون الله ولياً فقد قال الله عز وجل لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، وقال جل وعز فى أهل الكتاب لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ، وقال تبارك وتعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم ، وقرّعهم بخراجهم وقاتل من ورائهم وإياك ودماءهم والسلام) .

وكتب الى قرظة بن كعب الأنصارى (أما بعد فان رجالا من أهل الذمة من عملك ذكروا نهراً فى أرضهم قد عفا وادفن وفيه لهم عمارة على المسلمين فانظر انت وهم ثم اعمر وأصلح النهر فلعمرى لئن يعمروا أحب الينا من أن يخرجوا وان يعجزوا أو يقصروا فى واجب من صلاح البلاد والسلام) .

وكتب الى المنذر بن الجارود وهو على اصطخر (أما بعد : فان صلاح أبيك غرنى منك فاذا أنت لا تدع انقياداً لهواك أزرى ذلك بك ، بلغنى أنك تدع عملك كثيراً وتخرج لاهياً متنزهاً تطلب الصيد وتلعب بالكلاب وأقسم لئن

كان حقاً لنثيبنك فملك وجاهل أهلك خير منك فاقبل الى حين تنظر فى كتابى والسلام) .

فأقبل فعزله وأغرمه ثلاثين الفاً ثم تركها لصعصعة بن صوحان بعد أن أحلفه عليها لحلف وذلك أن علياً عليه السلام دخل على صعصعة يعوده فلما رآه على قال إنك ما علمت حسن المونة ، خفيف المؤنة . فقال صعصعة : وانت والله ياأمير المؤمنين عليم وإن الله فى صدرك عظيم فقال له على لاتجعلها أبهة على قومك إن عادك إمامك قال : لا يا أمير المؤمنين ولكنه منٌ من الله علىّ أن عادنى أهل البيت وابن عم رسول رب العالمين .

(قال غياث) فقال له صعصعة يا أمير المؤمنين هذه ابنة الجارود تعصر عينيها كل يوم لحبسك أخاها المنذر فأخرجه وأنا أضمن ما عليه من أعطيات ربيعة فقال له على ولمَ تضمنها وزعم لنا أنه لم يأخذها فليحلف ونخرجه ، فقال له صعصعة أراه والله سيحلف قال وأنا والله أظن ذلك ، وقال على أما أنه نظار فى عطفيه مختال فى برديه تفال فى شراكيه (١) فليحلف بعد أو ليدع فخلف فخلى سبيله .

وكتب الى زياد وكان عامله على فارس (أما بعد: فان رسولى أخبرنى بعجب زعم أنك قلت له فيما بينك وبينه إن الاكراد هاجت بك فكسرت عليك كثيراً من الخراج وقلت له لا تعلم بذلك امير المؤمنين ، يا زياد وأقسم بالله إنك لكاذب ولئن لم تبعث بخراجك لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر إلا أن تكون لما كسرت من الخراج محتملا) .

وكتب الى كعب بن مالك (أما بعد : فاستخلف على عملك واخرج فى

(١) التفل محركا البصاق نفسه وانما يفعله المعجب والتائه فى شراكيه ليذهب عنهما الغبار والوسخ يتفل فيهما ويمسحهما ليعودا كالجديدين ، كذا قاله ابن ابى الحديد فى شرح النهج (ج ٤ ص ٢٣٢) . (م ، ص)

طائفة من أصحابك حتى تمر بارض كورة السواد فتسأل عن عمالى و تنظر فى سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب ثم ارجع الى البهقباذات فتول معونتها و اعمل بطاعة الله فيما ولاك منها واعلم أن كل عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزى به فاصنع خير أصنع الله بنا وبك خيراً وأعلمنى الصدق فيما صنعت والسلام).

(قال) وقدم على على «ع» ابو مريم القرشى المكى وكان صديقاً له فلما رآه قال ما أقدمك يا أبا مريم؟ قال والله ما جئت فى حاجة ولكن عهدى بك قديم فاحببت ان اراك ولو اجتمع اهل الأرض عليك لاقتهم على الطريق، فقال يا ابا مريم والله انى لصاحبك الذى تعلم ولكن منيت بشرار خلق الله إلا من رحم الله يدعوننى فآبى عليهم ثم اجيبهم فيتفرقون عنى والدنيا محنة الصالحين جعلنا الله واياك منهم، ولولا ما سمعت من حبيبى انه يقول: لضاق ذرعى غير هذا الضيق، سمعته يقول الجهد والبلاء اسرع الىّ من أحب الله وأحبنى من السيل الى مجاريه.

وكتب ابو الأسود الدئلى ـ وكان خليفة عبدالله بن عباس بالبصرة ـ الى على عليه السلام يعلمه ان عبدالله اخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم فكتب اليه يأمره بردها فامتنع فكتب يقسم له بالله لتردنها فلما ردها عبدالله بن عباس أو رد اكثرها كتب اليه على عليه السلام (أما بعد: فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً واجعل همك لما بعد الموت والسلام).

فكان ابن عباس يقول ما اتعظت بكلام قط اتعاظى بكلام امير المؤمنين.

(وقال) كميل بن زياد أخذ بيدى على عليه السلام فاخرجنى الى ناحية الجبانة فلما أصحر تنفس الصعداء ثلاثاً ثم قال (يا كميل) ان القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ عنى ما أقول لك الناس ثلاثة: عالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأو الى ركن وثيق (يا كميل) العلم

خير من المال . العلم يحرسك وانت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثلهتم فى القلوب موجودة ، ها إن هاهنا ـ وأشار الى صدره ـ لعلماً جماً لو أصبت له حملة (اللهم ألا ان أصيب لقناً غير مأفون (١) يستعمل آلة الدين فى الدنيا ، ويستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعمه على خلقه ، أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له فى احيائه يقدح الشك فى قلبه لأول عارض من شبهة ، ألا لاذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذة سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والادخار ليسوا من رعاة الدين فى شيء أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة ، اللهم كلا ، لاتخلو الأرض من قائم بحق أما ظاهر مشهور وإما خائف مغمور لئلا تبطل حجج الله عز وجل وبيناته أولئك الأقلون عدداً والأعظمون خطراً هجم بهم العلم حتى حقايق الأمور (٢) وباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، (يا كميل) أولئك أولياء الله من خلقه والدعاة الى دينه ، بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها أمثالهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم (هاه) شوقاً الى رؤيتهم .

(وقال) عليه السلام لو أن حملة العلم حملوه لحقه لأحبهم الله وملائكته وأهل طاعته من خلقه ، ولكنهم حملوه لطلب الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس (وقال) عليه السلام قيمة كل امرىء ما يحسن (وقال) عليه السلام أيها الناس: لا ترجوا إلا ربكم ، ولا تخشوا إلا ذنوبكم ، ولا يستحى من لايعلم أن يتعلم ، ولا يستحى من يعلم أن يعلم ، واعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .

(١) ـ كذا فى الاصل . ولعل الصحيح مافى نهج البلاغة (بلى أصيب لقناً غير مأمون عليه) يستعمل آلة الدين الخ .

(٢) ـ فى نهج البلاغة (هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة) وباشروا الخ (م.ص)

(وقال) ﷺ من كان يريد العز بلا عشيرة ، والنسل بلا كثرة والغناء بلا مال فليتحول من ذل المعصية الى عز الطاعة (وقال) ﷺ كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مغرور بالستر عليه ، وكم من مفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى أحد بمثل الاملاء له ، ألم تسمع قول الله عز وجل (إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً) .

(وقال ﷺ) من اشتاق الى الجنة تسلى عن الشهوات ، ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات .

(وخطب ﷺ) فتلا قول الله عز وجل : (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين) ثم قال إن هذا الأمر ينزل من السماء كقطر المطر الى كل نفس ، بما كتب الله لها من نقصان فى نفس أو أهل أو مال فمن أصابه نقص فى أهله وماله ، ورأى عند أخيه عفوة ، فلا يكونن ذلك عليه فتنة ، فان المرء المسلم مالم يأت (١) دنياه يخشع لها وتذله إذا ذكرت ، وتغرى به (٢) لئام الناس كالياسر (٣) الفالج الذى ينتظر أول فوزه من قداحه ، يوجب له المغنم ويدفع عنه المغرم ، كذلك المرء البرى من الخيانة والكذب ، يترقب كل يوم وليلة إحدى الحسنيين ، إما داعى الله فما عند الله خير له وإما فتحاً من الله فاذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه ، المال والبنون حرث الدنيا ، والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام .

(وقال ﷺ) من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم كان ممن حرمت غيبته وكملت مروته وظهر عدله ووجب وصله .

---

(١) ـ مالم يغش دناءة ، كذا ذكره الزبيدى فى تاج العروس بمادة (فلج) بدلا عن قوله (ما لم يأت دنياه) ومثله ابن الأثير فى النهاية .

(٢) ـ فى النهاية (وتغرى بها) .

(٣) ـ الياسر : المقامر . والفالج : الفائز من السهام . (تاج العروس)

(وخرج عليه السلام) يوماً فقال : يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات العلم بالله ، وبما يحب الله ، وبما يكره الله ، وللعامل ثلاث علامات: الصلاة ، والزكاة والورع ، وللمتكلف من الرجال ثلاث علامات ، ينازع من فوقه ، ويقول بما لا يعلم ، ويتعاطى مالا ينال ، وللظالم ثلاث علامات : يظلم من هو فوقه بالمعصية ومن هو دونه بالغلبة ، ويظاهر الظلمة والآثم ، وللمرائي ثلاث علامات . يكسل إذا كان وحده . وينشط اذا كان من يراه . ويحب ان يحمد في جميع أموره وللحاسد ثلاث علامات! يغتاب اذا غاب ويتقرب إذا شهد . ويشمت بالمصيبة وللمنافق ثلاث علامات : يخالف لسانه قلبه . وقوله فعله . وعلانيته سريرته وللمسرف ثلاث علامات يأكل ماليس له . ويشرب ما ليس له . ويلبس ماليس له . وللكسلان من الرجال ثلاث علامات، يتوانى حتى يفرط ويفرط حتى يضيع ويضيع حتى يأثم ، وإنما هلك الذين قبلكم بالتكلف ، فلا يتكلف رجل منكم أن يتكلم في دين الله بمالا يعرف فان الله عز وجل يعذر على الخطأ إن أجهدت رأيك .

(قال) عليه السلام لعمر بن الخطاب ثلاث : إن حفظتهن وعملت بهن كفتك ما سواهن وان تركتهن فلا ينفعك شيء سواهن . قال وما هن ؟ فقال الحدود على القريب والبعيد . والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط . والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود . فقال له عمر أبلغت وأوجزت .

(وسمع عليه السلام) رجلا يذم الدنيا ، فقال ، الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها . ودار غنى لمن تزود منها . مسجد أحباء الله . ومهبط وحيه ومصلى ملائكته . ومتجر أوليائه . اكتسبوا فيها الرحمة فربحوا فيها الجنة . فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها . ونادت بفراقها . ونعت نفسها وأهلها مثلت ببلاها البلاوشوقت بسرورها السرور . راحت بفجيعة . وأبكرت بعافية ترغيباً وترهيباً ، وتحذيراً وتخويفا . ذمها رجال غداة الندامة . وحمدها آخرون ذكرتهم فذكروا . وحدثتهم فصدقوا . فيا ذام الدنيا المغتر بغرورها متى استذمت

اليك . بل متى غرتك ، أبمضاجع آبائك من البلا . أو بمنازل أمهاتك من الثرى كم مرضت بيديك . وعللت بكفيك من تبتغى له الشفاء وتستوصف له الأطباء فلم ينفعه تطبيبك . ولم يستعف له بعافيتك ، مثلت به الدنيا نفسك . وبمصرعه مصرعك . غداة لا يغنى عنك بكاؤك . ولا ينفعك أحباؤك .

(وخطب عليه السلام) فقال ان من أخوف ما أخاف عليكم خصلتين اتباع الهوى وطول الأمل . فأما طول الأمل فينسى الآخرة . وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق . من أصبح آمناً فى سربه معافى فى بدنه . له قوت يومه . فكأنما حيزت له الدنيا . ان الله تعالى يقول: وعزتى وجلالى وجمالى وبهائى وعلوى وارتفاعى فى مكانى لا يؤثر عبد هواى على هواه إلا جعلت همه فى الآخرة وغناه فى قلبه . وضمنت السموات والأرض رزقه ، وأتته الدنيا وهى راغمة .

(وقال عليه السلام) خص بالبلاء من عرف الناس ومن جهلهم عاش معهم .

(وقال عليه السلام) يأتى على الناس زمان لا يعز فيه الا الماحل، ولا يستظرف الا الفاجر ، ولا يضعف الا المنصف ، يتخذون الفيء مغنما ، والصدقة مغرماً والعبادة استطالة على الناس ، وصلة الرحم مناً ، والعلم متجراً ، فعند ذلك يكون سلطان النساء ، ومشورة الاماء ، وامارة الصبيان .

(وقال عليه السلام) لا تصلح الناس امارة يعمل فيها المؤمن . ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ فيها الكتاب الأجل .

(وعزّى عليه السلام) فقال لرجل لئن جزعت ان الرحم ليستحق ذاك وان صبرت كنت بها مأجوراً والا صبرت كارها مأزوراً (١) .

(وقيل لعلى عليه السلام) كم بين السماء والأرض ، قال دعوة مظلوم

---

(١) نظم بعضهم هذا المعنى فقال :

(إذا ما نابك الخطب * فكن بالصبر لواذا)

(وإلا فاتك الكل * فلا هذا ولا هذا) (م . ص)

(وقيل) له كم مسافة الدنيا ، فقال مسير الشمس يوماً الى الليل .

(وقال) يوم الجمل الموت طالب حثيث ، لا يعجزه المقيم ، ولا يفوته الهارب اقدموا ولا تنكلوا اليس عن الموت محيص، انكم ان لم تقتلوا تموتوا، وان أشرف الموت القتل والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش.

(وقال) له رجل أوصنى فقال : أوصيك بتقوى الله ، واجتناب الغضب وترك الأمانى ، وأن تحافظ على ساعتين من النهار، من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ومن العصر الى غروبها ، ولا تفرح بما علمت ، ولكن بما عملت فيها . وأتى برجل جنى جناية فرأى ناساً يعدون خلفه فقال : لا مرحباً بوجوه لا ترى الا عند كل سوء .

(وقال) له الحارث بن حوط الرانى أظن طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل ؟ فقال : يا حارث انه ملبوس عليك ، وإن الحق والباطل لا يعرفان بالناس ولكن اعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه .

(ورأى عليه السلام) رجلا يسأله عشية عرفة ، فقال : ويحك تسأل فى هذا اليوم غير الله .

(وروى عنه عليه السلام) انه قال : يا معشر الفتيان حصنوا أعراضكم بالأدب ودينكم بالعلم .

(وكان عليه السلام) اذا انصرف من صلاته أقبل على الناس بوجهه فقال : كونوا مصابيح الهدى ، ولا تكونوا أعلام ضلالة ، واكرهوا المزاح بما يسخط الله وليهن عليكم الذم فيما يرضى الله ، علموا الناس الخير بغير ألسنتكم وكونوا دعاة لهم بفعلكم . والزموا الصدق والورع .

(وقال) الصمت حلم والسكوت سلامة والكتمان سعادة .

واجتمع عنده جماعة فتذاكروا المعروف (فقال عليه السلام) المعروف كنز من أفضل الكنوز . وزرع من أزكى الزروع . فلا يزهدنكم فى المعروف كفر

من كفره . وجحد من جحده . فان من يشكرك عليه ممن لم يصل اليه منه شيء أعظم مما ناله أهل منّة . فلا تلتمس من غيرك ما أسديت الى نفسك ، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال : تصغيره وستره وتعجيله . فاذا صغرته فقد عظمته . واذا سترته فقد أتممته . واذا عجلته فقد هنأته .

وقدم عليه قوم من أهل الغرب فقال : أفيكم من قد شهر نفسه حتى لا يعرف إلا به؟ فقالوا نعم قال : وفيكم قوم بين ذلك يصيبون من السيئات ويعملون الحسنات؟ قالوا نعم قال : اولئك خير أمة محمد . اولئك النمرقة الوسطى بهم يرجع الغالى . وبهم يلحق المقصر (وروى) عنه ﷺ أنه قال : أبهم البهائم كل شيء الا أربع خصال : إن الله عز وجل خالقها ورازقها « . . . (١) . . . » واتيان الذكر الأنثى والفرار من الموت ، وطلب الرزق .

(وقال) ستة لا يسلم عليهم : اليهودى ، والنصرانى ، والمجوسى ، والشاعر يقذف المحصنات ، وقوم يتفكهون بسب الامهات ، وقوم على مائدة يشرب عليها الخمر .

(وقال) الأئمة من قريش خيارهم على خيارهم ، وشرارهم على شرارهم .

(وقضى « ع ») على رجل بقضية فقال يا أمير المؤمنين قضيت على بقضية هلك فيها مالى وضاع فيها عيالى فغضب حتى استبان الغضب فى وجهه (ثم قال) يا قنبر ناد فى الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ورقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد : فذمتى رهينة وانا به زعيم بجميع من صرحت له العبر أن لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل . وأن الخير كله فيمن عرف قدره وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره ، إن من أبغض

---

(١) بياض فى الأصل ، والذى ذكره الصدوق ابن بابويه فى باب الاربعة من الخصال ص ١٢٥ ما رواه بسنده عن على بن الحسين « ع » أنه كان يقول : ما بهمت البهائم عنه ولم تبهم عن أربعة معرفتها بالرب تبارك وتعالى ومعرفتها بالموت ومعرفتها بالأنثى من الذكر ومعرفتها بالمرعى الخصب . (م ص)

خلق الله إلى الله العبد وكله إلى نفسه جائراً عن قصد السبيل مشغوفاً بكلام بدعة قد قمس (١) فى أشباهه من الناس عشواء ، غاراً بأغباش (٢) الفتنة ، قد لهج فيهما بالصوم والصلاة فهو فتنة على من تبعه قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً ، بكر فاستكثر مما قل منه ، فهو خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن وا كثر من غير طائل . جلس بين الناس قاضياً ضامناً بتخليص ما التبس على غيره إن قايس شيئاً بشيء لم يكذب نفسه ، وان التبس عليه شيء كتمه من نفسه لكيلا يقال لا يعلم فلا ملىء والله باصدار ما ورد عليه ، ولا هو أهل بما قرظ به من حسن ، مفتاح عشوات ، خباط جهالات ، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعرض فى العلم ببصيرة ، يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم ، تصرخ منه الدماء . وتبكى منه المواريث ؛ ويستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بمرضاته الفرج الحلال فاين يتاه بكم ، بل اين تذهبون عن أهل بيت نبيكم ، أنا من سنخ أصلاب أصحاب السفينة (٣) وكما نجا فى هاتيك من نجا ، ينجو فى هذه من ينجو ؛ وويل رهين لمن تخلف عنهم ، إنى فيكم كالكهف لأهل الكهف ، وانى فيكم باب حطة ، من دخل منه نجا ومن تخلف عنه هلك (٤) حجة من ذى الحجة فى حجة الوداع : انى قد تركت بين أظهركم ما ان تمسكتم به ان تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وعترتى أهل بيتى).

(وحكم «ع») باحكام عجيبة حتى أنه حرق قوماً ، ودخّن على آخرين

---

(١) قمس ، أى غاص ،

(٢) الغبش محركة بقية الليل أو ظلمة آخره والجمع أغباش . (تاج العروس)

(٣) ـ أشار عليه السلام بهذه الفقرات الى الأحاديث التى وردت فى حقه من النبى (ص) كحديث السفينة وحديث باب حطة وحديث الكهف وحديث الثقلين .

(٤) ـ كذا فى الأصل ، والظاهر أن فيه سقطاً ولعل الساقط قوله (فقد قال رسول الله «ص» فى) حجة الخ ويحتمل انه أراد بـ (ذى الحجة) النبى (ص) .

وقطع بعض أصابع اليد فى السرقة ، وهدم حائطاً على اثنين وجدهما على فسق .

(وكان «ع») يقول: استتروا ببيوتكم والتوبة وراءكم ، من أبدى صفحته للحق هلك ، إن الله أدب هـــذه الأمة بالسوط والسيف وليس لأحد عند الامام هوادة .

وقدم عبد الرحمن بن ملجم المرادى الكوفة لعشر بقين من شعبان سنة أربعين، فلما بلغ علياً قدومه قال أو قد وافى، أما أنه مابقى على غيره، هذا أوانه فنزل على الأشعث بن قيس الكندى فاقام عنده شهراً يستحد سيفه وكانوا ثلاثة نفر توجهوا فواحد منهم الى معاوية بالشأم وآخر الى عمرو بن العاص بمصر والآخر الى على «ع» وهو ابن ملجم ، فاما صاحب معاوية فضربه فوقعت الضربة على اليته وبادر فدخل داره ، وأما صاحب عمرو بن العاص فانه ضرب خارجة بن حذافة خليفة عمرو فى صلاة الصبح وكان عمرو تخلف لعلة فقال الخارجى أردت عمرواً واراد الله خارجة ، وأما عبد الرحمن بن ملجم فانه وقف له عند المسجد وخرج على فى الغلس فتبعته إوز، كن في الدار فتعلقن بثوبه فقال صوائح تتبعها نوائح ، وأدخل رأسه من باب خوخة المسجد وضربه على رأسه فسقط وصاح خذوه فابتدره الناس فجعل لا يقرب منه أحد إلا نفحه بسيفه فبادر اليه قثم بن العباس فاحتمله وضرب به الأرض فصاح يا على نح عنى كلبك وأتى به الى على فقال : ابن ملجم؟ قال نعم ، فقال ياحسن شأنك بخصمك فأشبع بطنه واشدد وثاقه فان مت فألحقه بى أخاصمه عند ربى وإن عشت فعفو أو قصاص وأقام يومين ومات ليلة الجمعة أول ليلة من العشر الاواخر من شهر رمضان سنة أربعين ، ومن شهور العجم فى كانون الآخر وهو ابن ثلاث وستين سنة، وغسله الحسن ابنه بيده وصلى عليه وكبر عليه سبعاً وقال: أما أنها لا تكبر على أحد بعده ، ودفن بالكوفة فى موضع يقال له (الغرى) وكانت خلافته أربع سنين وعشرة أشهر .

وكان له من الولد الذكور (١) أربعة عشر ذكراً : الحسن والحسين ومحسن مات صغيراً - أمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ ومحمد الاكبر - أمه خولة بنت جعفر الحنفية . وعبيد الله . وأبو بكر - لاعقب لهما أمهما ليلى بنت مسعود الحنظلية من بني تميم . والعباس . وجعفر قتلا بالطف . وعثمان . وعبدالله أمهم أم البنين بنت حزام الكلابية . وعمر - وأمه أم حبيب بنت ربيعة البكرية ومحمد الأصغر - لاعقب له أمه أمامة بنت أبي العاص . وعثمان الأصغر . ويحي وأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية . وكان له من البنات ثماني عشرة ابنة منهن من فاطمة ثلاث والباقيات لعدة نسوة وأمهات أولاد شتى . وكان على شرطه معقل بن قيس الرياحي وحاجبه قنبر مولاه .

ولما مات قام الحسن «ع» خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال : (ألا إنه قد مضى فى هذه الليلة رجل لم يدركه الأولون وان يرى مثله الآخرون من كان يقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، والله لقد توفى فى الليلة التى قبض فيها موسى بن عمران ورفع فيها عيسى بن مريم وأنزل القرآن ألا وإنه ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله) فقام القعقاع بن زرارة على قبره فقال : (رضوان الله عليك يا أمير المؤمنين فوالله لقد كانت حياتك مفتاح خير ولو أن الناس قبلوك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولكنهم غمطوا النعمة وآثروا الدنيا على الآخرة) .

وأقام الحج للناس فى خلافته فى سنة ست وثلاثين عبد الله بن عباس

---

(١) - والذين لهم النسل من أولاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية رضوان الله عليه وعمر الاكبر الأطرف والعباس السقاء وبقية أولاده عليه السلام لم يعقبوا ولم يكن لهم أولاد .

(عن هامش الأصل)

وفي سنة سبع وثلاثين قثم بن العباس (وقيل) عبد الله بن العباس ، وفي سنة ثمان وثلاثين عبدالله بن العباس . وفي سنة تسع وثلاثين شيبة بن عثمان . وكان أصحاب علي عليه السلام الذين يحملون عنه العلم الحارث الأعور . وأبو الطفيل عامر بن واثلة وحبة العرني . ورشيد الهجري . وجويرية بن مسهر . والأصبغ بن نباتة وميثم التمار . والحسن بن علي عليه السلام .

خلافة الحسن بن علي عليه السلام

واجتمع الناس فبايعوا الحسن بن علي عليه السلام وخرج الحسن بن علي الى المسجد الجامع فخطب خطبة له طويلة ودعا بعبد الرحمن بن ملجم ، فقال عبد الرحمن ما الذي أمرك به أبوك؟ قال أمرني أن لا أقتل غير قاتله وأن اشبع بطنك وأنعم وطاءك فان عاش اقتص أو عفا وإن مات ألحقتك به فقال ابن ملجم إن كان أبوك ليقول الحق ويقضي به في حال الغضب والرضا فضربه الحسن عليه السلام بالسيف فالتقاه بيده فندرت وقتله وأقام الحسن بن علي بعد أبيه شهرين (وقيل) أربعة أشهر ، ووجه بعبيد الله بن العباس في اثني عشر الفاً لقتال معاوية ومعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، وأمر عبيدالله أن يعمل بأمر قيس بن سعد ورأيه فسار الى ناحية الجزيرة وأقبل معاوية لما انتهى اليه الخبر بقتل علي فسار الى الموصل بعد قتل علي بثمانية عشر يوماً والتقى العسكران فوجه معاوية الى قيس بن سعد يبذل له الف الف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه فارسل اليه بالمال وقال تخدعني عن ديني (فيقال) إنه أرسل الى عبيد الله بن عباس وجعل له الف الف درهم فصار اليه في ثمانية آلاف من أصحابه وأقام قيس على محاربته وكان معاوية يدس الى عسكر الحسن من يتحدث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه ، ووجه الى عسكر قيس من يتحدث

أن الحسن قد صالح معاوية وأجابه ، ووجه معاوية الى الحسن المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن أم الحكم وأتوه وهو بالمدائن نازل فى مضاربه ثم خرجوا من عنده وهم يقولون ويسمعون الناس ان الله قد حقن بابن رسول الله الدماء وسكن به الفتنة وأجاب الى الصلح فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس فى صدقهم فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها فركب الحسن عليه السلام فرساً له ومضى فى مظلم ساباط وقد كمن الجراح بن سنان الأسدى فجرحه بمغول فى فخذه وقبض على لحية الجراح ثم لواها فدق عنقه ، وحمل الحسن عليه السلام الى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً واشتدت به العلة فافترق عنه الناس .

وقدم معاوية العراق فغلب على الأمر والحسن عليل شديد العلة فلما رأى الحسن أن لا قوة به وأن أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له ، صالح معاوية وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال (أيها الناس : إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وقد سالمت معاوية وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) .

أيام معاوية بن أبى سفيان

وملك معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس . وبويع بالكوفة فى ذى القعدة سنة أربعين وكانت الشمس فى الحمل درجتين ، والقمر فى الثور خمس عشرة درجة ، وزحل فى العقرب تسعاً وعشرين درجة ، والمشترى فى الثور تسعاً وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والمريخ فى الثور ست عشرة درجة والزهرة فى الثور أربع درجات وعطارد فى الحوت ست عشرة درجة . وقدم الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أما بعد ذلكم فانه لم تختلف أمة بعد نبيها إلا غلب باطلها حقها إلا ما كان من هذه الأمة فان حقها غلب باطلها) ثم نزل واحضر الناس لبيعته وكان الرجل يحضر فيقول والله يا معاوية إنى لأبايعك وإنى لكاره لك

فيقول بايع فان الله قد جعل فى المكروه خيراً كثيراً . ويأتى الآخر فيقول اعوذ بالله من نفسك ، وأتاه قيس بن سعد بن عبادة فقال بايع قيس قال : إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاوية، فقال له مه رحمك الله فقال : لقد حرصت ان افرق بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبى الله يا ابن أبى سفيان إلا ما احب قال فلا يرد امر الله ، قال فأقبل قيس على الناس بوجهه فقال : (يا معشر الناس لقد اعتضتم الشر من الخير ، واستبدلتم الذل من العز ، والكفر من الايمان فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين وسيد المسلمين وابن عم رسول رب العالمين وقد وليكم الطليق ابن الطليق ، يسومكم الخسف . ويسير فيكم بالعسف . فكيف تجهل ذلك أنفسكم . أم طبع الله على قلوبكم وانتم لا تعقلون) فجثا معاوية على ركبتيه ثم أخذ بيده وقال اقسمت عليك ثم صفق على كفه، ونادى الناس بايع قيس فقال كذبتم والله ما بايعت . ولم يبايع لمعاوية أحد إلا أخذ عليه الإيمان فكان أول من استخلف على بيعته ودخل اليه سعد بن مالك فقال السلام عليك أيها الملك . فغضب معاوية فقال ألا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين؟ قال ذاك ان كنا أمرناك . انما أنت منتز .

وخرج فروة بن نوفل الاشجعى سنة أربعين وكان معتزلا بشهر زور فى جماعة من الخوارج فلما بلغه قتل على ع ، وغلبة معاوية أقبل فى الف وخمسمائة حتى صار بالنخيلة فوجه اليه معاوية خيلا فكشفهم فأخذ معاوية أهل الكوفة بالخروج اليهم فخرجوا خوفاً منه فلما لقوهم قال لهم فروة بن نوفل دعونا فان معاوية عدونا وعدوكم فقاتلهم أهل الكوفة أشد قتال حتى قتل فروة وأفرج روع معاوية ، ورجع معاوية الى الشأم سنة إحدى وأربعين وبلغه أن طاغية الروم قد زحف فى جموع كثيرة وخلق عظيم فخاف أن يشغله عما يحتاج الى تدبيره واحكامه فوجه اليه فصالحه على مائة الف دينار ، وكان معاوية أول من صالح الروم ، وكان صلحه اياهم فى أول سنة اثنتين وأربعين ، فلما استقام الأمر

لمعاوية أغزى أمراء الشام على الصوائف فسبوا فى بلاد الروم سنة بعد سنة وقد ذكرنا أسماءهم فى موضع الصوائف ، وطلب صاحب الروم الصلح على أن يضعف المال فلم يجبه .

وولى عبدالله بن عامر بن كريز البصرة فلما قدمها وجه عبدالرحمان بن سمرة الى خراسان فغزا بلخ وكابل ومعه عبدالله بن خازم السلمى فافتتح بلخ بعد حرب شديدة وصار الى كابل فاقام عليها ليالى ثم أتاه بواب باب المدينة فجعل له شيئاً حتى فتح الباب وكانت الحرب فى المدينة ثم طلبوا الصلح فصالحهم ابن سمرة وانصرف وخلف ابن خازم بخراسان .

وولى معاوية عبدالله بن دراج مولاه خراج العراق وكتب اليه احمل إلى من مالها ما أستعين به فكتب اليه ابن دراج يعلمه أن الدهاقين اعلموه أنه كان لكسرى وآل كسرى صوافى يجتبون مالها لأنفسهم ولا تجرى مجرى الخراج فكتب اليه ان أحص تلك الصوافى واستصفها واضرب عليها المسنيات . فجمع الدهاقين فسألهم فقالوا الديوان بحلوان فبعث فاتى به فاستخرج منه كل ما كان لكسرى وآل كسرى وضرب عليه المسنيات واستصفاه لمعاوية فبلغت جبايته خمسين الف الف درهم من أرض الكوفة وسوادها ، وكتب الى عبد الرحمان بن ابى بكرة بمثل ذلك فى أرض البصرة وأمرهم أن يحملوا اليه هدايا النيروز والمهرجان فكان يحمل اليه فى النيروز وغيره وفى المهرجان عشرة آلاف الف.

وكان زياد بن عبيد عامل على بن أبى طالب عليه السلام على فارس فلما صار الأمر الى معاوية كتب اليه يتوعده ويتهدده فقام زياد خطيباً فقال (ان ابن آكلة الاكباد وكهف النفاق ، وبقية الاحزاب كتب يتوعدنى ويتهددنى وبينى وبينه ابنا بنت رسول الله فى تسعين الفاً واضعى قبائع سيوفهم تحت أذقانهم لا يلتفت أحدهم حتى يموت أماوالله لئن وصل إلى ليجدنى أحمز (١) (ضراباً بالسيف) فوجه

(١) الأحمز : بالحاء ثم الميم والزاء المعجمة ، الشديد .

معاوية اليه المغيرة بن شعبة فأقدمه ثم ادعاه وألحقه بابى سفيان وولاه البصرة وأحضر زياد شهوداً أربعة فشهد أحدهم أن علي بن أبي طالب أعلمه أنهم كانوا جلوساً عند عمر بن الخطاب حين أتاه زياد برسالة أبي موسى الأشعرى فتكلم زياد بكلام اعجبه فقال أ كنت قائلا للناس هذا على المنبر ؟ قال هم اهون علي منك يا أمير المؤمنين ، فقال ابو سفيان والله لهو ابنى ولأنا وضعته فى رحم أمه قلت فما يمنعك من إدعائه ؟ قال مخافة هذا العير الناهق وتقدم آخر فشهد على هذه الشاهدة (قال زياد الهمدانى) لما سأله زياد كيف قولك فى علي قال مثل قولك حين ولاك فارس وشهد لك انك ابن ابى سفيان ، وتقدم ابو مريم السلولى فقال ما ادرى ما شهادة علي ولكنني كنت خماراً بالطائف فمر بى ابو سفيان منصرفاً من سفر له فطعم وشرب ثم قال يا ابا مريم طالت الغربة فهل من بغي فقلت ما أجد لك الا أمة بنى عجلان قال فأتنى بها على ما كان من طول ثدييها ونتن رفغها (١) فاتيته بها فوقع عليها ثم رجع إلي فقال لي يا أبا مريم لاستلت ماء ظهرى استلال تثيب (٢) ابن الحبل فى عينها، فقال زياد انما أتينا بك شاهداً ولم نأت بك شاتماً ، قال أقول الحق على ما كان فانفذ معاوية « . . (٣) . . » قالوا ما قد بلغكم وشهدوا بما سمعتم فان كان ما قالوا حقاً فالحمد لله الذى حفظ منى ماضيع الناس ورفع منى ماوضعوا وان كان باطلا فمعاوية والشهود أعلم وما كان عبيد (٤) إلا والداً مبروراً مشكوراً ونزل .

---

(١) الرفغ بضم الراء المهملة الابط .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الهامش (شب) بدل (تثيب) .

(٣) بياض فى الأصل وفيه سقط ، ولعله فانفذ معاوية « شهادة الشهود ثم قام زياد وأنصت الناس لحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس: إن معاوية والشهود قد » قالوا ما قد بلغكم الخ . أنظر شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلى (ج ٤ ص ٧٠) من طبع مصر .

(٤) عبيد هذا كان عبداً رومياً للحرث بن كلدة الطبيب الثقفى وكانت سمية ايضاً —

وولى المغيرة بن شعبة الكوفة فى جمادى « . . . . . . » سنة اثنتين وأربعين فأقام عليها حينا ثم بدا له ، وولى عبدالله بن عامر بن كريز الكوفة فلما بلغ أهل الكوفة الخبر خرج كثير من الناس الى عبدالله بن عامر فجعل المغيرة لا يسأل عن أحد الا قيل له قد خرج الى عبدالله بن عامر حتى سأل عن كاتبه فقيل له قد لحق بعبدالله ، فقال يا غلام شد رحلى وقدم بغلى فخرج حتى أتى دمشق فدخل على معاوية فلما رآه قال ما أقدمك يا مغيرة تركت العمل وأخللت بالمصر وأهل العراق وهم أسرع شيء الى الفتن قال يا أمير المؤمنين كبرت سنى وضعفت قوتى وعجزت عن العمل وقد بلغت من الدنيا حاجتى والله ما آسى على شيء منها الا على شيء واحد قدرت به قضاء حقك ووددت أنه لا يفوتنى أجلى وان الله أحسن على معونتى ، قال وما هو ؟ قال كنت دعوت أشراف الكوفة الى البيعة ليزيد ابن امير المؤمنين بولاية العهد بعد امير المؤمنين فاجابوا الى ذلك ووجدتهم سراعاً نحوه فكرهت ان أحدث امراً دون رأى امير المؤمنين فقدمت لأشافهه بذلك واستعفيه من العمل ، فقال سبحان الله يا ابا عبد الرحمان انما يزيد ابن اخيك ومثلك اذا شرع فى امر لم يدعه حتى يحكمه فنشدتك الله الا رجعت فتممت هذا فخرج من عنده فلقى كاتبه فقال ارجع بنا الى الكوفة فوالله وضعت رجل معاوية فى غرز لا يخرجها منه الا سفك الدماء وانصرف الى الكوفة .

وكتب معاوية الى زياد وهو بالبصرة ان المغيرة قد دعا اهل الكوفة الى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدى وليس المغيرة بأحق بابن اخيك منك فاذا وصل اليك كتابى فادع الناس قبلك الى مثل ما دعاهم اليه المغيرة وخذ عليهم البيعة ليزيد فلما بلغ زياداً وقرأ الكتاب دعا برجل من اصحابه يثق بفضله وفهمه فقال: انى

ـــ أمة للحرث ولدت عنده أبا بكرة ثم نافعاً ثم إن الحرث زوج سمية من غلامه عبيد فولدت له زياداً ، أنظر تاريخ ابن الأثير (ج ٣ ص ١٧٦) من طبع مصر بحاشيته مروج الذهب . (م . ص)

اريد ان أئتمنك على ما لم أئتمن عليه بطون الصحائف ائت معاوية وقل له يا امير المؤمنين ان كتابك ورد على بكذا فما يقول الناس اذا دعوناهم الى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقرود ويلبس المصبغ ويدمن الشراب ويمسي على الدفوف وبحضرتهم الحسين بن على وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعبدالله ابن عمر، ولكن تأمره يتخلق بأخلاق هؤلاء حولا او حولين فعسانا ان نموهه على الناس، فلما صار الرسول الى معاوية وادى اليه الرسالة قال ويلى على ابن عبيد لقد بلغنى ان الحادى حداله ان الامير بعدى زياد، والله لأردنه الى امه سمية والى ابيه عبيد.

وقدم المغيرة الكوفة منصرفاً من عند معاوية وقد خرج شبيب بن بجرة الاشجعي الخارجي فلما علم أن قدم المغيرة هرب الى معاوية فقال انا قاتل على بن أبي طالب، وكان شبيب بن بجرة مع ابن ملجم فى الليلة التى ضرب فيهــــا علياً فقال له معاوية لا أراك ولا تراني فرجع الى الكوفة فقاتل المغيرة فوجه اليه جيشاً فقتله، وخرج المستورد بن علفة التيمى من تيم الرباب سنة٤٣ فوجه اليه المغيرة خيلا فقتل بأسفل ساباط وقتل أصحابه جميعاً، وخرج بعده معاذ بن جوين الطائي أبو المستورد فوجه اليه المغيرة خيلا عليها رجل من همدان فقتلوه وخرجت عصابة من الموالى أميرهم أبو على من أهل الكوفة وهو مولى لبنى الحارث بن كعب وكانت أول خارجة خرجت فيها الموالى فبعث المغيرة اليهم رجلا من بجيلة فالتقوا بباذوريا فناداهم البجلي يا معشر الاعاجم هذه العرب تقاتلنا على الدين فما بالكم؟ فنادوه يا جابر (انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى الى الرشد فآمنا ولن نشرك بربنا أحداً) وان الله بعث نبينا للناس كافة ولم يزوه عن أحد فقاتلهم حتى قتلهم.

وكانت مصر والمغرب لعمرو بن العاص طعمة شرطها له يوم بايع ونسخة الشرط (هــــذا ما أعطى معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص مصر

أعطاه أهلها فهم له حياته ولا تنقص طاعته شرطاً) فقال له وردان مولاه فيه الشعر من بدنك فجعل عمرو يقرأ الشرط ولا يقف على ما وقف عليه وردان فلما ختم الكتاب وشهد الشهود قال له وردان وما عمرك أيها الشيخ إلا كظمء حمار هلاشرطت لعقبك من بعدك ، فاستقال معاوية فلم يقله. فكان عمرو لايحمل اليه ، من مالها شيئاً يفرق الأعطية فى الناس فما فضل من شىء اخذه لنفسه وولى عمرو بن العاص مصر عشر سنين منها لعمربن الخطاب أربع سنين ولعثمان ابن عفان أربع سنين الا شهرين ولمعاوية سنتين وثلاثة أشهر وتوفى وله ثمان وتسعون سنة .

وكان داهيةالعرب رأياً وحزماً وعقلا ولساناً ، وكان عمر بن الخطاب اذا رأى رجلا يتكلم فلا يقيم كلامه يقول سبحان من خلقك وخلق عمرو بن العاص.

(وقال بعضهم) سمعت عمراً يقول : سلطان عادل خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم . وزلة الرجل عظم يجبر . وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر . واستراح من لا عقل له .

ولما حضرت عمراً الوفاة قال لابنه لوددأبوك أنه كان مات فى غزاة ذات السلاسل انى قد دخلت فى أمور لا أدرى ما حجتى عند الله فيها . ثم نظر الى ماله فرأى كثرته فقال يا ليته كان بعراً يا ليتنى مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة أصلحت لمعاوية دنياه وافسدت دينى آثرت دنياى وتركت آخرتى . عمى على رشدى حتى حضرنى أجلى . كأنى بمعاوية قد حوى مالى واساء فيكم خلافتى وتوفى عمرو ليلة الفطر سنة ٤٣ فاقر معاوية ابنه عبد الله بن عمرو ثم استصفى مال عمرو فكان أول من استصفى مال عامل ولم يكن يموت لمعاوية عامل إلا شاطر ورثته ماله فكان يكلم فى ذلك فيقول هذه سنة سنها عمر بن الخطاب ثم عزل معاوية عبد الله بن عمرو وولى أخاه عتبة بن أبى سفيان مصر .

وكتب معاوية الى زياد بن أبى سفيان إن قبلك رجلا من أصحاب رسول الله

فولاه خراسان وهو الحكم بن عمرو الغفارى فولاه زياد خراسان فقدمها سنة ٤٤ فصار الى هراة ثم مضى منها الى الجوزجان فافتتحها ونالتهم شدة حتى أكلوا دوابهم . وكان المهلب مع الحكم بن عمرو فى ذلك الوقت وقد عرف بلاء المهلب وبأسه . وتوفى الحكم بن عمرو فولى زياد مكانه الربيع بن زياد الحارثى . وفتحت خوارزم فى ذلك الوقت وكان الذى فتحها عبد الله بن عقيل الثقفى .

وحج معاوية سنة ٤٤ وقدم معه من الشأم بمنبر فوضعه عند البيت الحرام فكان أول من وضع المنبر فى المسجد الحرام . ولما صار الى المدينة أتاه جماعة من بنى هاشم وكلموه فى أمورهم فقال : أما ترضون يا بنى هاشم أن نقر عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان حتى تقولوا ماتقولون فوالله لأنتم أحل دماً من كذا وكذا وأعظم فى القول . فقال له ابن عباس كلما قلت لنا يا معاوية من شر بين دفتيك وأنت والله أولى بذلك منا . أنت قتلت عثمان ثم قمت تغمص على الناس أنك تطلب بدمه ، فانكسر معاوية ، فقال ابن عباس والله ما رأيتك صدقت إلا فزعت وانكسرت ، قال فضحك معاوية وقال والله ما أحب انكم لم تكونوا كلمتمونى ثم كلمه الأنصار فأغلظ لهم فى القول وقال لهم ما فعلت نواضحكم قالوا أفنيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك وجدك وخالك ولكنا نفعل ما أوصانا به رسول الله ﷺ قال ما أوصاكم به قالوا أوصانا بالصبر قال فاصبروا ، ثم أدلج معاوية الى الشأم ولم يقض لهم حاجة ، وفى هذه السنة عمل معاوية المقصورة فى المسجد (الحرام) وأخرج المنابر الى المصلى فى العيدين ، وخطب الخطبة قبل الصلاة . وذلك إن الناس كانوا إذا صلوا انصرفوا لئلا يسمعوا لعن على عليه السلام فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة ، ووهب فدكا لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله ﷺ .

واستعمل معاوية ابن أثال النصرانى على خراج حمص ولم يستعمل النصارى أحد من الخلفاء قبله فاعترضه خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالسيف فقتله فحبسه معاوية أياماً ثم أغرمه ديته ولم يقده منه . وكان ابن أثال

قتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، دّس اليه شربة سم فعيره به المنذر بن الزبير ابن العوام وقال تتكلم وابن أثال بحمص يأمر وينهى ، فلما قتله قال خالد بن عبد الرحمن أما أنا فقد قتلت ابن أثال وهذا عمرو بن جرموز التميمي قاتل الزبير آمن السرب .

وكان عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب قد قدم على معاوية الى الشام فجفاه معاوية ولم يقض له حاجة ودخل اليه يوماً فقال له يا ابن عباس كيف رأيت الله فعل بنا وبابي الحسن فقال فعلا والله غير مختل عجله الى جنة لن تنالها وأخرك الى دنيا قد كان أمير المؤمنين عليه السلام نالها ، قال وانك لتحكم على الله قال بما حكم الله به على نفسه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون) قال معاوية والله لو عاش أبو عمرو حتى يراني لرأى نعم ابن العم فقال ابن عباس أما والله لو رآك أيقن أنك خذلته حين كانت النصرة له ونصرته حين كانت النصرة لك ، قال وما دخولك بين العصا ولحائها ، قال ما دخلت إلا عليهما لا لهما فدعني مما اكره أدعك من مثله فلئن تحسن فاجازى أحب الى من أن تسيء فاكافى ثم نهض .

وفاة الحسن بن علي عليه السلام

وتوفى الحسن بن علي عليه السلام فى شهر ربيع الأول سنة ٤٩ ، ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين عليه السلام يا أخي إن هذه آخر ثلاث مرات سقيت فيها السم ولم أسقه مثل مرتي هذه وأنا ميت من يومي فاذا أنا مت فادفنى مع رسول الله صلى الله عليه وآله فما أحد أولى بقربه منى إلا أن تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجمة دم ، ولما لف فى اكفانه قال محمد ابن الحنفية (رحمك الله أبا محمد فوالله لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ونعم الروح روح عمر به بدنك ونعم البدن بدن ضمه كفنك ولم لا تكن كذلك وأنت سليل الهدى وحلف أهل التقوى

وخامس أصحاب الكسا غذتك كف الحق وربيت فى حجر الاسلام وأرضعتك ثديا الايمان فطب حياً وميتاً فعليك السلام ورحمة الله وإن كانت أنفسنا غير قالية لحياتك ولا شاكة فى الخيار لك) ثم أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله ﷺ فركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فمنعا من ذلك حتى كادت تقع فتنة (وقيل) إن عائشة ركبت بغلة شهباء وقالت بيتى لا آذن فيه لأحد فأتاها القاسم ابن محمد بن أبى بكر فقال لها يا عمه ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء فرجعت واجتمع مع الحسين بن على عليه السلام جماعة وخلق من الناس فقالوا له دعنا وآل مروان فوالله ماهم عندنا إلا كأكلة رأس ، فقال إن أخى أوصانى أن لا أريق فيه محجمة دم ، فدفن الحسن عليه السلام فى البقيع ، وكان سنه سبعاً وأربعين سنة . وتوفى الحسن بن على وابن عباس عند معاوية فدخل عليه لما أتاه نعى الحسن فقال له يا بن عباس إن حسناً مات قال إنا لله وإنا اليه راجعون على عظم الخطب وجليل المصاب أما والله يا معاوية لئن كان الحسن مات فما ينسىء موته فى أجلك ولا يسد جسمه حفرتك ولقد مضى الى خير وبقيت على شر ، قال لا أحسبه قد خلف إلا صبية صغاراً ، قال كلنا كان صغيراً فكبر قال بخ بخ يابن عباس أصبحت سيد قومك ، قال أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين ابن رسول الله ﷺ فلا .

وكان الحسن بن على عليه السلام جواداً كريماً وأشبه برسول الله ﷺ خَلقاً وخُلقاً ، وسئل الحسن عليه السلام ما ذا سمعت من رسول الله فقال سمعته يقول لرجل (دع ما يريبك فان الشر ريبة والخير طمأنينة) وعقلت عنه أنى بينا أنا أمشى معه الى جنب جرن الضيقة (١) تناولت تمرة فادخلتها فى فمى قال فأدخل رسول الله

(١) الجرن : بضم الجيم الموضع الذى يجمع فيه التمر إذا صرم ، والضيقة بفتح الضاد المعجمة وسكون الياء التحتانية ـ طريق بين الطائف وحنين ، (وقيل) بين مكة والطائف ، ولعل الصحيح (الصدقة) بدل (الضيقة) (م . ص)

ﷺ اصبعه فى فمى فاستخرجها فالقاها وقال ان محمداً وآل محمد لا تحل لهم الصدقة وعقلت عنه الصلوات الخمس . وحج الحسن «ع » خمس عشرة حجة ماشياً وخرج من ماله مرتين ، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات حتى كان يعطى نعلا ويمسك نعلا ويعطى خفاً ويمسك أخرى .

وقال معاوية للحسن : يا أبا محمد ثلاث خلال ماوجدت من يخبرنى عنهن قال وماهن؟ قال المروة والكرم والنجدة، قال أما المروة فاصلاح الرجل أمر دينه وحسن قيامه على ماله ولين الكف وافشاء السلام والتحبب الى الناس والكرم العطية قبل السؤال والتبرع بالمعروف والاطعام فى المحل ، ثم النجدة الذب عن الجار والمحاماة فى الكريهة والصبر عند الشدائد .

وقال جابر : سمعت الحسن «ع» يقول مكارم الأخلاق عشر صدق اللسان وصدق البأس واعطاء السائل وحسن الخلق والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم والتذمم على الجار ومعرفة الحق للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء (وقيل) للحسن من أحسن الناس عيشاً ، قال من أشرك الناس فى عيشه (وقيل) من أشر الناس عيشاً قال من لا يعيش فى عيشه أحد (وقال الحسن «ع») فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها . وأشد من المصيبة سوء الخلق ، والعبادة انتظار الفرج (ودعا الحسن بن على عليه السلام) بنيه وبنى أخيه فقال يابنى ويا بنى أخى إنكم صغار قوم وتوشكون أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم يرويه أو يحفظه فليكتبه وليجعله فى بيته (وقال رجل للحسن) انى أخاف الموت قال ذاك أنك أخرت مالك ولو قدمته اسرك أن تلحق به .

وقال معاوية : ماتكلم عندى احد أحب الى إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن على وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة فانه كان بين الحسن بن على وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة فى أرض فعرض الحسن بن على امراً لم يرضه عمرو فقال الحسن ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه فهذه أشد كلمة فحش

سمعتها منه فقط (وقال له) معاوية يوماً ما يجب لنا فى سلطاننا ، قال ما قال سليمان ابن داود ، قال معاوية وما قال سليمان بن داود ، قال قال لبعض أصحابه أتدرى ما يجب على الملك فى ملكه وما لا يضره إذا أدى الذى عليه منه وإذا خاف الله فى السر والعلانية وعـــدل فى الغضب والرضا وقصد فى الفقر والغنى ولم يأخذ الأموال غصباً ولم يأ كلها اسرافاً وبذاراً لم يضره ما تمتع به من دنياه إذا كان ذلك من خلته (وقال الحسن عليه السلام) كان رسول الله (ص) اذا سأله أحد حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول (ومر الحسن) يوماً وقاص يقص على باب مسجد رسول الله (ص) فقال الحسن ما أنت؟ فقال أنا قاص يا بن رسول الله قال كذبت محمد القـاص ، قال الله عز وجل (فاقصص القصص) قال فأنا مذكر ، قال كذبت محمد المذكر قال له عز وجل (فذكر انما انت مذكر) قال فما انا؟ قال المتكلف من الرجال .

وكان للحسن عليه السلام من الولد ثمانية ذكور ، وهم : الحسن بن الحسن وأمه خولة بنت منظور الفزارية ، وزيد بن الحسن وأمه أم بشير بنت أبى مسعود الأنصارى الخزرجى ، وعمر ، والقاسم ، وابو بكر ، وعبد الرحمن ، لأمهات أولاد شتى ، وطلحة وعبيدالله .

ولما توفى الحسن وبلغ الشيعة ذلك اجتمعوا بالكوفة فى دار سليمان بن صرد وفيهم بنو جعدة بن هبيرة فكتبوا الى الحسين بن على عليه السلام يعزونه على مصابه بالحسن (بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن على من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد : فقد بلغنا وفاة الحسن بن على يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً غفر الله ذنبه وتقبل حسناته وألحقه بنبيه وضاعف لك الأجر فى المصاب به وجبر بك المصيبة من بعده فعند الله نحتسبه وانا لله وانا اليه راجعون ما أعظم ما أصيب به هـذه الأمة عامة وأنت وهذه الشيعة خاصة بهلاك ابن الوصى وابن بنت النبى علم الهدى

ونور البلاد المرجو لاقامة الدين واعادة سير الصالحين فاصبر رحمك الله على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور فان فيك خلفاً ممن كان قبلك وان الله يؤتى رشده من يهدى بهديك ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك المحزونة بحزنك المسرورة بسرورك السائرة بسيرتك المنتظرة لأمرك شرح الله صدرك ورفع ذكرك وأعظم أجرك وغفر ذنبك ورد عليك حقك).

وبايع معاوية لابنه يزيد بولاية العهد بعد وفاة الحسن بن على عليه السلام ولم يتخلف عن البيعة الا أربعة نفر الحسين بن على ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالرحمان ابن ابى بكر وعبدالله بن الزبير ، وقال عبدالله بن عمر نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق ما حجتنا عند الله ، وقال عبد الله بن الزبير لا طاعة لمخلوق فى معصية خالق وقد أفسد علينا ديننا ، وحج معاوية تلك السنة فتألف القوم ولم يكرههم على البيعة . وأغزى معاوية يزيد ابنه الصائفة ومعه سفيان بن عوف الغامدى فسبقه سفيان بالدخول الى بلاد الروم فنال المسلمين فى بلاد الروم حمى وجدرى ، وكانت أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر تحت يزيد بن معاويه وكان لها محباً فلما بلغه ما نال الناس من الحمى والجدرى قال :

ما إن أبالى بما لاقت جموعهم   بالغذ قذونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط فى غرف   بدير مرّان عندى أم كلثوم

فبلغ ذلك معاوية فقال أقسم بالله لتدخلن أرض الروم فليصيبنك ما أصابهم فاردف به ذلك الجيش فغزا حتى بلغ القسطنطينية .

ووجه معاوية عقبة بن نافع الفهرى الى افريقية فافتتحها واختط قيروانها وبناه وكان موضع دغل وحلفاء تنزله الأسد ، وكان ذلك سنة ٥٠ ، ثم ولى معاوية ديناراً أبا المهاجر مولى الأنصار مكان عقبة بن نافع الفهرى فاخذ عقبة بن نافع فحبسه وقيده فاقام فى الحبس شهوراً ثم أطلقه فلما صار الى مصر

رده عمرو بن العاص الى المغرب (وقيل) ورد كتاب من معاوية على عمرو يأمره بذلك فلما قدم عقبة افريقية اخذ دينارا لحبسه وخرج على عقبة رجل من البربر يقال له (ابن الكاهنة) ولم يزل عقبة على البلد أيام معاوية ويزيد بن معاوية .

وتوفى المغيرة بن شعبة سنة ٥١ فولى معاوية الكوفة زياداً وضمها اليه مع البصرة فكان أول من جمع له المصران وكتب زياد الى معاوية إنى قد شغلت شمالى بالعراق ويمينى فارغة فان رأى أمير المؤمنين أن يوليني الموسم فكتب اليه بولاية الحجاز (وقيل) بولاية الموسم ، وكان عبد الله بن عمر يدخل فيقول أيديكم فادعوا الله أن يكفيكم يمين زياد (وروى بعضهم) أن أبا بكرة أخاه أتاه فخاطب صبياً له وقد كان قد حلف أن لا يكلمه مذ كاع عن الشهادة على المغيرة فقال يا بنى أبوك ركب فى الاسلام عظيما شتم أمه ، وانتفى من أبيه ، ثم هو الآن يريد أن يفعل ما هو اكبر من هذا ، يمر بالمدينة فيستأذن على أم حبيبة بنت أبى سفيان فان اذنت فأعظم بها مصيبة على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين وان لم تأذن له فأعظم بها فضيحة على أبيك ، فتأخر عن الخروج ، وكان حجر ابن عدى الكندى وعمرو بن الحمق الخزاعى وأصحابهما من شيعة على بن أبى طالب عليه السلام اذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية وهم يلعنون علياً على المنبر يقومون فيردون اللعن عليهم ويتكلمون فى ذلك .

فلما قدم زياد الكوفة خطب خطبة له مشهورة لم يحمد الله فيها ولم يصل على محمد (ص) وأرعد فيها وأبرق وتوعد وتهدد ، وأنكر كلام من تكلم وحذرهم ورهبهم ، وقال (قد سميت الكلبة (١) على المنبر الصلملة) فاذا واعدتكم فلم أف لكم بوعدى ووعيدى فلا طاعة لى عليكم ، وكانت بينه وبين حجر بن عدى مودة فوجه اليه فأحضره ثم قال له يا حجر أرأيت ما كنت عليه من المحبة

---

(١) ـ كذا فى الأصل ، والصواب (قد سميت الكذبة) كما فى عيون الأخبار لابن قتيبة والعقد الفريد وغيرهما . «م . ص»

والموالاة لعلي قال نعم قال فان الله قد حول ذلك بغضه وعداوة ، أو رأيت ما كنت عليه من البغضه والعداوة لمعاوية قال نعم ، قال فان الله قد حول ذلك محبة وموالاة فلا أعلمنك ما ذكرت علياً بخير ولا أمير المؤمنين معاوية بشر ، ثم بلغه أنهم يجتمعون فيتكلمون ويدبرون عليه وعلى معاوية ويذكرون مساويهما ويحرضون الناس فوجه صاحب شرطة اليهم فأخذ جماعة منهم فقتلوا وهرب عمرو بن الحمق الخزاعي الى الموصل وعدة معه وأخذ زياد حجر بن عدى الكندى وثلاثة عشر رجلا من أصحابه فأشخصهم الى معاوية فكتب فيهم أنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب وزروا على الولاة فخرجوا بذلك من الطاعة وأنفذ شهادات قوم أولهم بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى فلما صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال أمر معاوية بايقافهم هناك ثم وجه اليهم من يضرب أعناقهم فكلمه قوم في ستة منهم فوقف عنهم فقتل سبعة حجر بن عدى الكندى . وشريك بن شداد الحضرمى ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقبيصة ابن ضبيعة العبسى . ومحرز بن شهاب التميمى ، وكدام بن حيان العنزى .

ولما أراد قتلهم قال حجر بن عدى دعونى حتى أصلي فصلى ركعتين خفيفتين ثم أقبل عليهم فقال لولا أن تظنوا بي خلاف ما بي لأحببت أن تكونا أطول مما هما وإني لأول من رمى بسهم في هذا الموضع وأول من هلك فيه (فقيل له) أجزعت فقال ولم لا أجزع وأنا أرى سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً ثم ضربت عنقه وأعناق القوم وكفنوا ودفنوا ، وكان ذلك في سنة ٥٢ .

وقال معاوية للحسين بن علي عليه السلام ياأبا عبدالله علمت انا قتلنا شيعة أبيك فحنطناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم ، فقال الحسين حججتك ورب الكعبة لكننا والله إن قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا حنطناهم ولا صلينا عليهم ولا دفناهم .

وقالت عائشة لمعاوية حيث حج ودخل اليها يا معاوية أقتلت حجراً

وأصحابه فاين عزب حلمك عنهم اما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم اهل السماوات ، قال لم يحضرنى رجل رشيد يا أم المؤمنين (وروى) أن معاوية كان يقول ما اعد نفسى حليماً بعد قتلى حجراً وأصحاب حجر . وبلغ عبد الرحمن بن أم الحكم - وكان عامل معاوية على الموصل - مكان عمرو بن الحمق الخزاعى ورفاعة بن شداد فوجه فى طلبهما فخرجا هاربين وعمرو ابن الحمق شديد العلة فلما كان فى بعض الطريق لدغت عمراً حية فقال الله اكبر قال لى رسول الله ﷺ يا عمرو ليشترك فى قتلك الجن والانس ، ثم قال لرفاعة أمض لشأنك فانى مأخوذ ومقتول ، ولحقته رسل عبد الرحمن ابن ام الحكم فأخذوه فضربت عنقه ونصب رأسه على رمح وطيف به (فكان أول راس طيف به فى الإسلام ، وقد كان معاوية حبس امرأته بدمشق فلما أتى براسه بعث به فوضع فى حجرها فقالت الرسول ابلغ معاوية ما أقول (طالبه الله بدمه وعجل له الويل من نقمه فلقد أتى امراً فرياً وقتل براً تقياً) وكان أول من حبس النساء بجرائر الرجال .

وخرج قريب وزحاف الخارجيان بالبصرة فى جماعة من الخوارج فاستعرضا الشرط فقتلا منهم خلقاً عظيما وصارا إلى المسجد الجامع فقتلا خلقاً من الناس ومالوا الى القبائل ففعلوا مثل ذلك ، وكان زياد بالكوفة وعامله بالبصرة عبيد الله بن ابى بكرة فحاربهم فلما لم يكن له بهم طاقة كتب الى زياد فأقبل زياد حتى صار الى البصرة فصار الى دار الامارة ثم قال : يا أهل البصرة ما هذا الذى قد اشتملتم عليه انى أعطى الله عهداً لا يخرج على خارجى بعدها فأدع من حيه وقبيلته أحداً فا كفونى بوائقكم ، فقام خطباء البصرة فتكلموا واعتذروا.

وكان معاوية أول من أقام الحرس والشرط والبوابين فى الاسلام وأرخى الستور، واستكتب النصارى ، ومشى بين يديه بالحراب ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، وجلس على السرير والناس تحته ؛ وجعل ديوان الخاتم ؛ وبنى

وشيد البناء وسخر الناس فى بنائه ولم يسخر أحد قبله ، واستصفى أموال الناس فأخذها لنفسه وكان سعيد بن المسيب يقول فعل الله بمعاوية وفعل فانه أول من أعاد هذا الأمر ملكا وكان معاوية يقول أنا أول الملوك ، ورحل اليه عبدالله ابن عمر يوما فقال يا با عبدالله كيف ترى بنياننا ، قال ان كان من مال الله فانت من الخائنين ، وان كان من مالك فانت من المسرفين ، ودخل اليه عدى بن حاتم فقال له كيف زماننا هذا يا با طريف ، فقال ان صدقنا كم خفناكم وان كذبنا كم خفنا الله ، قال أقسمت عليك قال عدل زمانكم هذا جور زمان قدمضى ، وجور زمانكم هذا عدل زمان ما يأتى .

واستقر خراج العراق وما يضاف اليه مما كان فى مملكة الفرس فى أيام معاوية على ستمائة الف الف وخمسة وخمسين الف الف درهم ، وكان خراج السواد مائة الف الف وعشرين الف الف درهم ، وخراج فارس سبعين الف الف وخراج الأهواز وما يضاف اليها أربعين الف الف ، وخراج اليمامة والبحرين خمسة عشر الف الف درهم ، وخراج كور دجلة عشرة آلاف الف درهم وخراج نهاوند وماه الكوفة وهو الدينور وماه البصرة وهو همذان وما يضاف الى ذلك من أرض الجبل أربعين الف الف درهم وخراج الرى وما يضاف اليها ثلاثين الف الف درهم ، وخراج حلوان عشرين الف الف درهم ، وخراج الموصل وما يضاف اليها ويتصل بها خمسة وأربعين الف الف درهم ، وخراج آذربيجان ثلاثين الف الف درهم ، بعد أن أخرج معاوية من كل بلد ما كانت ملوك فارس تستصفيه لأنفسها من الضياع العامرة وجعله صافية لنفسه فاقطعه جماعة من أهل بيته .

وكان صاحب العراق يحمل اليه من مال صوافيه فى هذه النواحى مائة الف الف درهم فمنها كانت صلاته وجوائزه ، واستقر خراج مصر فى أيام معاوية على ثلاثة آلاف الف دينار ، وكان عمرو بن العاص يحمل منها اليه الشىء اليسير فلما

مات عمرو وحمل المال الى معاوية فكان يفرق فى الناس أعطياتهم ويحمل اليه الف الف دينار واستقر خراج فلسطين على أربعمائة وخمسين الف دينار ، واستقر خراج الاردن على مائة وثمانين الف دينار ، وخراج دمشق على أربعمائة الف وخمسين الف دينار وخراج جند مصر على ثلاثمائة وخمسين الف دينار ، وخراج قنسرين والعواصم على أربعمائة الف وخمسين الف دينار ، وخراج الجزيرة وهى ديار مضر وديار ربيعة على خمسة وخمسين الف الف درهم ، وخراج اليمن على الف الف ومائتى الف دينار (وقيل) تسعمائة الف دينار ، وكان معاوية قد ولى اليمن لما استقامت له الأمور ، فيروز الديلمى ، ثم استعمل مكانه عثمان بن عفان الثقفى ، ثم استعمل ابن بشير الانصارى ، وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصة وأقطعها أهل بيته وخاصته ، وكان أول من كانت له الصوافى فى جميع الدنيا حتى بمكة والمدينة فانه كان فيهما شىء يحمل فى كل سنة من اوساق التمر والحنطة .

وكان معاوية وجه الى ثغر الهند ابن سوار بن همام فشخص فى اربعة آلاف حتى أتى مكران فاقام بها شهوراً ثم غزا القيقان فقاتلهم وصبر على قتالهم فقتل ابن سوار وعامة ذلك الجيش ورجع من بقى معه الى مكران فكتب معاوية الى زياد أن يوجه رجلا له حزم وجزالة ، فوجه سنان بن سلمة الهذلى فاتى مكران فلم يزل بها مقيما ثم صرفه زياد وولى راشد بن عمرو الجديدى الأزدى فغزا القيقان فظفر وغنم وغزا بعض بلاد السند وفتح بلاد الهند وكانت الهند يومئذ أهون شوكة من السند فقتل راشد ببلاد السند .

وأقام زياد على ولاية العراق اثنتى عشرة سنة ، وكان لزياد دهاء ورجلة وصولة وكان أول من دوّن الدواوين ، ووضع النسخ للكتب ، وأفرد كتاب الرسائل من العرب والموالى المتفصحين (وكان زياد) يقول ينبغى أن يكون

كتاب الخواج من رؤساء الاعاجم العالمين بأمور الخراج (وكان زياد) يقول ملاك السلطان أربع خلال. العفاف عن المال ، والقرب من المحسن ، والشدة على المسيء ، وصدق اللسان (وكان زياد) أول من بسط الارزاق على عماله الف درهم الف درهم وانفسه خمسة وعشرين الف درهم (وكان زياد) يقول ينبغي للوالى أن يكون أعلم باهل عمله منهم بأنفسهم ، وقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير تعرفني فقال نعم المعرفة الجامعة أعرفك باسمك واسم أبيك وكنيتك وعريفك وعشيرتك وفصيلتك ولقد بلغ من معرفتي بكم أني أرى البرد على أحدكم ثم على آخر عارية فأعرفه.

واختصم الى زياد رجلان فقال أحدهما أصلح الله الامير إنه يدل بناحية ذكر أنها له من الامير قال صدق سأخبرك بما ينفعه من ذلك ويضرك ، إن وجب له الحق عليك أخذتك له أخذاً عنيفاً ، وإن وجب عليه حكمت عليه وأديت عنه (وقال زياد) وهو على المنبر : إن أعظم الناس كذباً أمير يقف على المنبر وتحته مائة الف من الناس فيكذبهم وإني والله لا أعدكم أجراً إلا أنجزته ولا أعاقبكم حتى أتقدم عليكم (وكان زياد) يقول لاصحابه ليس كل يصل إلي ولا كل من وصل إلي أمكنه الكلام فاستشفعوا لمن وراءكم فاني من ورائكم أمنع إن أردت أن أمنع (وكان زياد) يقول أربعة أعمال لا يليها إلا المسن الذي قد عض على ناجذه ، الثغر ، والصائفة ، والشرط والقضاء ، وينبغي أن يكون صاحب الشرط شديد الصولة قليل الغفلة ، وينبغي أن يكون صاحب الحرس مسناً عفيفاً مأمونا لا يطعن عليه ، وينبغي أن يكون في الكاتب خمس خلال بعد غور ، وحسن مداراة ، وإحكام للعمل ، وأن لا يؤخر عمل اليوم لغد والنصيحة لصاحبه ، وينبغي للحاجب أن يكون عاقلا فطناً قد خدم الملوك قبل أن يتولى حجابتهم ، وتوفى زياد بالكوفة سنة ٥٤ .

(وروى) أنه كان أحضر قوماً بلغه أنهم شيعة لعلي عليه السلام ليدعوهم إلى

لعن علي والبراءة منه أو يضرب أعناقهم وكانوا سبعين رجلا . فصعد المنبر وجعل يتكلم بالوعيد والتهديد ؛ فنام بعض القوم وهو جالس فقال له بعض أصحابه تنام وقد أحضرت لتقتل فقال من عمود الى عمود فرقان لقد رأيت في نومتي هذه عجباً قالوا وما رأيت قال رأيت رجلا أسود دخل المسجد فضرب رأسه السقف فقلت من أنت يا هذا فقال النقاد ذو الرقبة (١) قلت وأين تريد قال أدق عنق هذا الجبار الذي يتكلم على هذه الاعواد فبينا زياد يتكلم على المنبر إذ قبض على إصبعه ثم صاح يدي وسقط عن المنبر مغشياً عليه فأدخل القصر وقد طعن في خنصره اليمنى فجعل لا يتغاذ فأحضر الطبيب فقال له اقطع يدي قال أيها الأمير أخبرني عن الوجع الذي تجده في يدك أو في قلبك فقال والله إنه في قلبي ، قال فعش سوياً فلما نزل به الموت كتب الى معاوية اني كتبت الى أمير المؤمنين وأنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وقد استخلفت على عملي خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فلما توفي زياد ووضع نعشه ليصلي عليه تقدم عبيد الله ابنه فنحاه وتقدم خالد بن عبد الله فصلى عليه فلما فرغ من من دفنه خرج عبيد الله من ساعته الى معاوية فلما قيل لمعاوية هذا عبيد الله فقال يا بني ما منع أباك أن يستخلفك أما لو فعل لفعلت ، فقال نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن يقولها لي أحد بعدك ما منع أباه وعمه أن يستعملاه ، فولاه خراسان وصير اليه ثغرى الهند ، وتوفي المنذر فولى مكانه سنان بن سلمة فقاتل القيقان والبوقان وظفر ورزقه الله النصر عليهم ، وصار عبيد الله بن زياد الى

---

(١) نظم ذلك من رأى الرؤيا المذكورة - وهو عبد الرحمان بن السائب على رواية الشيخ المفيد في المجالس وابن عساكر في التاريخ (ج ٥ ص ٤٢١) أو كثير ابن الصلت على رواية الكراجكي في الكنز - بقوله :

ما كان منتهياً عما أراد بنا   حتى تناوله النقاد ذو الرقبة
فاثبت الشق منه ضربة ثبتت   كما تناول ظلماً صاحب الرحبة

خراسان فبدأ ببخارا وعليها ملكة يقال لها (خاتون) فقاتلهم حتى فتحها ثم قطع نهر بلخ ، وكان أول عربي قطع نهر بلخ وحاربه القوم محاربة شديدة وكان الظفر له ، ثم انصرف من خراسان الى معاوية فولاه البصرة سنة ٥٦ (وقيل) أول سنة ٥٧ ، وولى معاوية عبيد الله بن زياد خراسان فاستضعفه فعزله وولى عبد الرحمن بن زياد فلم يحمده فعزله فقدم عبد الرحمن بمال عظيم (فقيل) إنه قال قدمت معي بمال يكفيني مائة سنة لكل يوم الف درهم فذهب ذلك المال حتى نظر اليه فى أيام الحجاج على حمار فقيل له أين المال ؟ فقال لا يكفى إلا وجه الله والحمار أيضاً ليس لى إنما هو عارية .

وولى معاوية خراسان بعد عبدالرحمن بن زياد سعيداً بن عثمان بن عفان فقطع النهر وصار الى بخارا فطلبت خاتون ملكة بخارا الصلح فأجابها الى ذلك ثم رجعت عن الصلح وطمعت فى سعيد فحاربهم سعيد فظفر وقتل مقتلة عظيمة وسار الى سمرقند فحاصرها فلم يكن له طاقة بها فظفر بحصن فيه أبناء الملوك فلما صاروا فى يده طلب القوم الصلح فحلف أن لا يبرح حتى يدخل المدينة ففتح له باب المدينة فدخلها ورمى القهندز بحجر وكان معه قثم بن العباس بن عبد المطلب فتوفى بسمرقند فلما بلغ عبدالله بن عباس موته قال ما أبعد ما بين مولده ومقبره. مولده بمكة وقبره بسمرقند ، فانصرف سعيد بن عثمان الى معاوية فولى معاوية مكانه أسلم بن زرعة وصار سعيد الى المدينة ومعه أسراء من أولاد ملوك السغد فوثبوا عليه وقتلوه وقتل بعضهم بعضاً حتى لم يبق منهم أحد . وأقام أسلم بن زرعة شهوراً ، وكان عمال خراسان ينزلون هراة ثم ولى معاوية خليد بن عبدالله الحنفى فكان آخر ولاته على خراسان .

وأراد سعد بن أبى وقاص أن يعمل له فامتنع عليه ولزم منزله وكان يسكن قصراً له خارج المدينة على عشرة أميال فلم يزل نازلا به حتى توفى ، وكانت وفاته سنة ٥٥ وحمل على أيدى الرجال من قصره الى المدينة حتى دفن بالبقيع ؛ وتوفى

أيام معاوية أربع من أزواج رسول الله (ص) حفصة بنت عمر توفيت سنة ٤٥ وصلى عليها مروان بن الحكم وهو عامل المدينة ، وصفية بنت حيي بن أخطب توفيت سنة ٥٠ وخولة بنت الحارث توفيت سنة ٥٦ ، وعائشة بنت أبي بكر توفيت سنة ٥٨ . وصلى عليها أبو هريرة ، وكان خليفة لمروان على المدينة فقال بعض من حضر صلى عليها أعدى الناس لها . وتوفى أبو هريرة سنة ٥٩ .

وكان لمعاوية حلم ودهاء وجود بالمال على المداراة من رجل يبخل على طعامه ، وقال سعيد بن العاص سمعت معاوية يوماً يقول لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت (قيل) وكيف يا أمير؟ المؤمنين قال كانوا اذا مدوها خليتها واذا خلوها مددتها ، وكان إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالاعطاء وربما احتال عليه فبعث به فى الحروب وقدمه ، وكان اكثر فعله المكر والحيلة وحج بالناس فى جميع سنى ولايته حجتين سنة ٤٤ وسنة ٥٠ وأراد أن يحمل منبر رسول الله (ص) فنال المنبر زلزلة حتى ظن أنه آخر الدنيا فتركه ثم زاد فيه خمس مراقى من أسفله ، واعتمر عمرة رجب فى سنة ٥٦ وكان أول من كسا الكعبة الديباج واشترى لها العبيد ، وكان يغلب عليه عمرو بن العاص ويزيد بن الحر العبسى والضحاك بن قيس الفهرى ، وكان الضحاك على شرطته وعلى حرسه أبو مخارق مولى حمير ، وحاجبه رباح مولاه ؛ وكان معاويه جهم الوجه جاحظ العين وافر اللحيه عريض الصدر عظيم الاليتين قصير الساقين والفخذين ؛ وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانيه أشهر ، وتوفى مستهل رجب (ويقال) للنصف من رجب سنه ٦٠ وهو ابن سبع وسبعين سنه (ويقال) ثمانين سنه ، وقد كان ضعف ونحل وسقطت ثنيتاه ، قال صالح بن عمرو رأيت معاوية على المنبر معمما بعمامه سوداء قد سدلها على فيه وهو يقول معشر الناس كبرت سنى وضعفت قوتى وأصبت فى أحسنى فرحم الله من دعا لى . ثم

بكى فبكى معه الناس ، وخرج الضحاك بن قيس لما مات معاوية فوضع أكفانه على المنبر ثم قال إن معاوية كان ناب العرب وحبلها وقد مات وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها وموردوه قبره ثم هو آخر اللقاء وصلى عليه الضحاك بن قيس الفهرى لغيبة يزيد فى ذلك الوقت ، ودفن بدمشق وخلف من الذكور أربعة يزيد وعبد الله ومحمداً وعبد الرحمن .

وأقام الحج فى أيامه سنة ٤١ ، وسنة ٤٢ عتبة بن أبى سفيان ، وفى سنة ٤٣ مروان ابن الحكم ، وفى سنة ٤٦ عتبة بن أبى سفيان ، وفى سنة ٤٧ عتبة بن ابى سفيان ، وفى سنة ٤٨ مروان بن الحكم . وفى سنة ٤٩ سعيد بن العاص ، وفى سنة ٥٠ معاوية بن أبى سفيان ، وفى سنة ٥١ يزيد بن معاوية ، وفى سنة ٥٢ سعيد بن العاص ، وفى سنة ٥٣ سعيد بن العاص ايضاً ، وفى سنة ٥٤ مروان بن الحكم وفى سنة ٥٥ مروان بن الحكم . وفى سنة ٥٦ الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وفى سنة ٥٧ الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أيضاً ، وفى سنة ٥٨ الوليد بن عتبة أيضاً وفى سنة ٥٩ عثمان بن محمد بن أبى سفيان .

وغزا بالناس فى ولايته سنة ٤١ وجه حبيب بن مسلمة فصالح صاحب الروم وكره أن يشغله ، وسنة ٤٣ غزا بسر بن أبى أرطاة أرض الروم ومشتاه بها . سنة ٤٤ غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حتى بلغ قلونية ، سنة ٤٥ عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وشتى بأرض الروم وبلغ انطاكية ، سنة ٤٦ مالك ابن عبد الله الخثعمى (وقيل) مالك بن هبيرة السكونى ، وشتى بأرض الروم سنة ٤٧ مالك بن هبيرة السكونى ، وشتى بأرض الروم ، سنة ٤٨ عبد الرحمن العتبى وبلغ انطاكية السوداء سنة ٤٩ فضالة بن عبيد ففتح الله على يده وسبى سبياً كثيراً ، سنة ٥٠ غزا بسر بن أبى أرطاة وشتى سفيان بن عوف ، سنة ٥١ غزا محمد بن عبد الرحمن وشتى فضالة بن عبيد الأنصارى ، سنة ٥٢ سفيان بن عوف فتوفى فاستخلف عبد الله بن مسعدة الفزارى ، سنة ٥٣ محمد بن مالك

(وقيل) فتحت طرسوس فى هذه السنة فتحها جنادة بن أبى أمية الأزدى ، سنة ٥٥ مالك بن عبد الله الخثعمى وشتى بأرض الروم سنة ٥٦ يزيد بن معاوية فبلغ القسطنطينية وشتى مسعود بن أبى مسعود ، وكان على البر يزيد بن شجرة . وعلى البحر عياض بن الحارث . كل هذا يقال ، سنة ٥٧ عبد الله بن قيس ، سنة ٥٨ مالك بن عبدالله الخثعمى (ويقال) عمرو بن يزيد الجهنى (وقيل) يزيد بن شجرة فى البحرة ، سنة ٥٩ عمرو بن مرة الجهنى فى البر لم يكن عامئذ غزوة فى البحر .

وكان الفقهاء فى أيام معاوية عبدالله بن عباس، عبدالله بن عمر بن الخطاب المسور بن مخرمة الزهرى . السائب بن يزيد ، عبد الرحمن بن حاطب ، أبو بكر ابن عبدالرحمن بن الحارث ، سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، عطاء بن يسار القاسم بن محمد بن أبى بكر ، عبيدة بن قيس السلمانى ، الربيع بن خيثم الثورى زر بن حبيش . الحارث بن قيس الجعفى ، عمرو بن عتبة بن فرقد . الأحنف ابن قيس ، الحارث بن عمير الزبيدى ، سويد بن غفلة الجعفى ، عمرو بن ميمون الأودى ، مطرف بن عبد الله بن الشخير ، شقيق بن سلمة ، عمرو بن شرحبيل عبيد الله بن يزيد الخطمى ، الحارث الأعور الهمدانى ، مسروق بن الأجدع علقمة بن قيس الخثعمى ، شريح بن الحارث الكندى ، زيد بن وهب الهمدانى .

أيام يزيد بن معاوية

وملك يزيد بن معاوية . وأمه ميسون بنت بحدل الكلبى . فى مستهل رجب سنة ستين وكانت الشمس يومئذ فى الثور درجة وعشرين دقيقة ، والقمر فى العقرب . . (١) . . درجات وثلاثين دقيقة وزحل فى السرطان إحدى عشرة درجة ، والمشترى فى الجـــدى تسع عشرة درجة ، والمريخ فى الجوزاء اثنتين

(١) ـ لا يكون القمر فى العقرب والشمس فى الثور إلا إن كان نصف الشهر وأما فى مستهل الشهر فهى مع الشمس فى الثور فلينظر . (عن هامش الأصل)

وعشرين درجه وثلاثين دقيقه ، والزهرة فى الجوزاء ثمانى درجات وخمسين دقيقه ، وعطارد فى الثور عشرين درجه وثلاثين دقيقه .

وكان غائباً ، فلما قدم دمشق كتب الى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وهو عامل المدينه (اذا أتاك كتابى هـذا فأحضر الحسين بن على وعبدالله بن الزبير فخذهما بالبيعة فان امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث إلىّ برؤوسهما ، وخذ الناس بالبيعة فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم ، وفى الحسين بن على وعبدالله بن الزبير والسلام)

فورد الكتاب على الوليد ليلا فوجه الى الحسين عليه السلام والى عبد الله بن الزبير فأخبرهما الخبر فقالا نصبح ونأتيك مع الناس ، فقال له مروان إنهما والله إن خرجا لم ترهما فخذهما بأن يبايعا وإلا فاضرب أعناقهما ، فقال والله ما كنت لأقطع أرحامهما ، فخرجا من عنده وتنحيا من تحت ليلتهما ، فخرج الحسين عليه السلام الى مكة فاقام بها أياماً وكتب أهل العراق اليه ووجهوا بالرسل على إثر الرسل فكان آخر كتاب ورد عليه منهم كتاب هانى بن هانى وسعيد بن عبدالله الحنفى (بسم الله الرحمن الرحيم: للحسين بن على من شيعته المؤمنين والمسلمين أما بعد! فحى هلا فان الناس ينتظرونك لا إمام لهم غيرك فالعجل ثم العجل والسلام) فوجه اليهم مسلم بن عقيل بن أبى طالب (رض) وكتب اليهم وأعلمهم أنه إثر كتابه ، فلما قدم مسلم الكوفة اجتمعوا اليه فبايعوه وعاهدوه وعاقدوه وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعة والوفاء . وأقبل الحسين عليه السلام من مكة يريد العراق ، وكان يزيد قد ولى عبيدالله بن زياد العراق وكتب اليه (قد بلغنى أن أهل الكوفة قد كتبوا الى الحسين فى القدوم عليهم وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم وقد بلى بلدك من بين البلدان وأيامك من بين الأيام فان قتلته وإلا رجعت الى نسبك والى أبيك عبيد فاحذر أن يفوتك) .

مقتل الحسين بن علي عليه السلام

وقدم عبيدالله بن زياد الكوفة وبها مسلم بن عقيل قد نزل على هانى بن عروة ، وهانى شديدالعلة وكان صديقاً لابن زياد فلما قدم ابن‌زياد الكوفة أخبر بعلة هانى فاتاه ليعوده ، فقال هانى لمسلم بن عقيل وأصحابه وهم جماعة إذا جلس ابن زياد عندى وتمكن فانى سأقول اسقونى فاخرجوا فاقتلوه فأدخلهم البيت وجلس فى الرواق وأتاه عبيد الله بن زياد يعوده فلما تمكن قال هانىء بن عروة اسقونى فلم يخرجوا فقال اسقونى ما يؤخركم ثم قال اسقونى ولو كانت فيه نفسى ففهم ابن زياد فقام فخرج من عنده ووجه بالشرط يطلبون مسلما وخرج وأصحابه وهو لا يشك فى وفاء القوم وصحة نياتهم فقاتل عبيدالله فأخذوه فقتله عبيدالله وجرّ برجله فى السوق وقتل هانى بن عروة لنزول مسلم منزله واعانته اياه . وسار الحسين «ع» يريد العراق فلما بلغ القطقطانة أتاه الخبر بقتل مسلم ابن عقيل . ووجه عبيد الله بن زياد لما بلغه قربه من الكوفة بالحر بن يزيد فمنعه من أن يعدل ، ثم بعث اليه بعمر بن سعد بن أبى وقاص فى جيش فلقى الحسين عليه السلام بموضع على الفرات يقال له (كربلاء) وكان الحسين عليه السلام فى اثنين وستين أو اثنين وسبعين رجلا من أهل بيته وأصحابه . وعمر بن سعد فى أربعة آلاف فمنعوه الماء وحالوا بينه وبين الفرات فناشدهم الله عز وجل فأبوا إلا قتاله أو يستسلم فيمضوا به الى عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيه وينفذ فيه حكم يزيد .

(فروى) عن على بن الحسين عليه السلام أنه قال : إنى لجالس فى العشية التى قتل أبى الحسين بن على فى صبيحتها وعمتى زينب تمرضنى إذ دخل أبى وهو يقول :

يا دهر أف لك من خليل — كم لك فى الاشراق والأصيل

من طالب وصاحب قتيل — والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمر الى الجليل — وكل حى سالك سبيلى

ففهمت ما قال وعرفت ما أراد وخنقتني عبرتي ورددت دمعي وعرفت أن البلاء قد نزل بنا ، فأما عمتي زينب فانها لما سمعت ما سمعت - والنساء من شأنهن الرقة والجزع فلم تملك أن وثبت تجر ثوبها حاسرة وهي تقول وا ثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة وعلي والحسن بن علي أخي ، فنظر اليها فردد غصته ثم قال يا أختي اتقي الله فان الموت نازل لا محالة فلطمت وجهها وخرت مغشياً عليها وصاحت وا ويلاه وا ثكلاه ، فتقدم اليها فصب على وجهها الماء وقال لها يا أختاه تعزي بعزاء الله فان لي ولكل مسلم أسوة برسول الله ﷺ ثم قال إني أقسم عليك فأبري قسمي لا تشقي علي جيباً ولا تخمشي علي وجهاً ولا تدعي علي بالويل والثبور ؛ ثم جاء بها حتى أجلسها عندي وإني لمريض مدنف ، وخرج الى أصحابه فلما كان من الغد خرج فكلم القوم وعظم عليهم حقه وذكرهم الله عز وجل ورسوله وسألهم أن يخلوا بينه وبين الرجوع فأبوا إلا قتاله أو أخـــذه حتى يأتوا به عبيد الله بن زياد فجعل يكلم القوم بعد القوم والرجل بعد الرجل فيقولون ما ندري ما تقول ، فأقبل على أصحابه فقال إن القوم ليسوا يقصدون غيري وقد قضيتم ما عليكم فانصرفوا فانتم في حل . فقالوا لا والله يا ابن رسول الله حتى تكون انفسنا قبل نفسك فجزاهم الخير . وخرج زهير بن القين على فرس له فنادى : (يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار . عباد الله ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ولد سمية فان لم تنصروهم فلا تقاتلوهم . أيها الناس إنه ما أصبح على ظهر الأرض ابن بنت نبي إلا الحسين فلا يعين أحد على قتله ولو بكلمة إلا نغصه الله الدنيا وعذبه أشد عذاب الآخرة) ثم تقدموا رجلا رجلا حتى بقي وحده ما معه أحد من أهله ولا ولده ولا أقاربه فانه لواقف على فرسه إذ أتي بمولود قد ولد في تلك الساعة فاذن في أذنه وجعل يحنكه إذ أتاه سهم فوقع في حلق الصبي فذبحه فنزع الحسين عليه السلام السهم من حلقه وجعل يلطخه بدمه ويقول : والله لأنت اكرم على الله من الناقة ولمحمد أكرم

على الله من صالح ، ثم أتى فوضعه مع ولده وبنى أخيه ثم حمل عليهم فقتل منهم خلقاً عظيماً وأتاه سهم فوقع فى لبته فخرج من قفاه فسقط وبادر القوم فاحتزوا رأسه وبعثوا به الى عبيد الله بن زياد ، وانتهبوا مضاربه ، وابتزوا حرمه وحملوهن الى الكوفة فلما دخلن اليها خرجن نساء الكوفة يصرخن ويبكين ، فقال على بن الحسين عليه السلام هؤلاء يبكون علينا فمن قتلنا ، وأخرج عيال الحسين وولده الى الشام ونصب رأسه على رمح ، وكان مقتله لعشر ليال خلون من المحرم سنة ٦١ واختلفوا فى اليوم . فقالوا يوم السبت . وقالوا يوم الاثنين . وقالوا يوم الجمعة . وكان من شهور العجم فى تشرين الأول .

(قال الخوارزمى) وكانت الشمس يومئذ فى الميزان سبع عشرة درجة وعشرين دقيقة . والقمر فى الدلو عشرين درجه وعشرين دقيقه وزحل فى السرطان تسعاً وعشرين درجه وعشرين دقيقه . والمشترى فى الجدى اثنتى عشرة درجه وأربعين دقيقه . والزهرة فى السنبلة خمس درجات وخمسين دقيقه وعطارد فى الميزان خمس درجات وأربعين دقيقة . والرأس فى الجوزاء درجة وخمساً وأربعين دقيقه . ووضع الرأس بين يدى يزيد فجعل يزيد (١) يقرع ثناياه بالقضيب وكان أول صارخه صرخت فى المدينة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه كان دفع اليها قارورة فيها تربة وقال لها ان جبرئيل أعلمنى أن امتى تقتل الحسين قالت وأعطانى هذه التربة وقال لى اذا صارت دماً عبيطاً فاعلمى أن الحسين قد قتل . وكانت عندها ، فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر الى القارورة فى كل ساعة فلما رأتها قد صارت دماً صاحت وا حسيناه وا ابن رسول الله فتصارخن النساء من كل ناحيه حتى ارتفعت المدينة بالضجة التى ماسمع بمثلها قط

(١) - يروى عن رسول الله (ص) أنه رأى أبا سفيان راكباً على جمل ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه فقال (ص) « لعن الله الراكب والقائد والسائق » حديث مشهور . (عن هامش الأصل)

وكانت سني الحسين عليه السلام يوم قتل ستاً وخمسين سنة ، وذلك أنه ولد في سنة ٤ من الهجرة .

(وقيل) للحسين ما سمعت من رسول الله ؟ قال سمعته يقول : ان الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها ، وعقلت عنه أنه يكبر فاكبر خلفه فاذا سمع تكبيري أعاد التكبير حتى يكبر سبعاً ، وعلمني قل هو الله احد ، وعلمني الصلوات الخمس ؛ وسمعته يقول : من يطع الله يرفعه ، ومن يعص الله يضعه ؛ ومن يخلص نيته لله يزينه . ومن يثق بما عند الله يغنيه . ومن يتعزز على الله يذله .

(وقال بعضهم) سمعت الحسين يقول : الصدق عز ؛ والكذب عجز ، والسر أمانة ، والجوار قرابة . والمعونة صداقة ، والعمل تجربة ، والخلق الحسن عبادة والصمت زين ؛ والشح فقر ؛ والسخاء غنى ، والرفق لب ؛ (ووقف) الحسين ابن على بالحسن البصري والحسن لا يعرفه فقال له الحسين يا شيخ هل ترضى لنفسك يوم بعثك ؟ قال لا . قال فتحدث نفسك بترك ما لا ترضاه لنفسك من نفسك يوم بعثك . قال نعم بلا حقيقة . قال فمن أغش لنفسه منك لنفسه يوم بعثك وأنت لا تحدث نفسك بترك ما لا ترضاه لنفسك بحقيقة . ثم مضى الحسين عليه السلام فقال الحسن البصري من هذا ؟ فقيل له الحسين بن على فقال سهلتم على .

وكان للحسين عليه السلام من الولد : على الاكبر لا بقية له قتل بالطف . وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي . وعلى الأصغر وأمه حرار (١) بنت يزدجرد . وكان الحسين سماها غزالة .

(وقيل) لعلى بن الحسين ما أقل ولد أبيك ؟ قال العجب كيف وُلد له . انه كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان يفرغ للنساء (٢) .

---

(١) - كذا في الأصل ، والمشهور أن اسم أمه شاه زنان . وقيل شهربانويه وقيل السلافة . وقيل أم سلمة . (م . ص)

(٢) - المشهور أن ذلك قيل للإمام الباقر في شأن أبيه على بن الحسين «ع» (م ص)

وأقام عبدالله بن الزبير بمكة خالعاً يزيد ودعا الى نفسه وأخرج عامل يزيد ووجه اليه يزيد ابن عضاه الأشعرى وكتب اليه يعطيه الأمان ويعلمه أنه كان حلف أن لا يقبل بيعته الا وهو فى جامعة حديد حتى يبايع ثم يطلقه . وكان مروان بن الحكم عامل المدينة فكره ابن الزبير أن يجيب الى ذلك وداخله الهلع عند ما بلغه من قتل الحسين فوجه اليه مع بعض ثقاته بشعر يقول فيه :

خذها فليست للعزيز بخطة ... وفيها مقال لامرىء متذلل

وكان ابن الزبير شديد العزة فلم يفعل وأجاب ابن عضاه بجواب غليظ فقال ابن عضاه ان الحسين بن على كان أجل قدراً فى الاسلام وأهله من قبل وقد رأيت حاله . فقال له ابن الزبير ان الحسين بن على خرج الى من لا يعرف حقه وان المسلمين قد اجتمعوا على . فقال له فهذا ابن عباس وابن عمر لم يبايعاك وانصرف وأخذ ابن الزبير عبدالله بن عباس بالبيعة له فامتنع عليه . فبلغ يزيد ابن معاوية أن عبدالله بن عباس قد امتنع على ابن الزبير فسره ذلك وكتب الى ابن عباس (أما بعد فقد بلغنى أن الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته وعرض عليك الدخول فى طاعته لتكون على الباطل ظهيراً وفى المأثم شريكا وأنك امتنعت عليه واعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا وطاعة لله فيما عرفك من حقنا فجزاك الله من ذى رحم بأحسن ما يجزى به الواصلين لأرحامهم فانى ما أنس من الأشياء فلست بناس برك وحسن جزائك وتعجيل صلتك بالذى أنت منى أهله فى الشرف والطاعة والقرابة برسول الله . فانظر رحمك الله فيمن قبلك من قومك ومن يطرأ عليك من الآفاق ممن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله فأعلمهم حسن رأيك فى طاعتى والتمسك ببيعتى فانهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمحل الملحد والسلام) .

فكتب اليه عبد الله بن عباس (من عبد الله بن عباس الى يزيد بن معاوية

أما بعد : فقد بلغني كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إياى الى نفسه وامتناعى عليه فى الذى دعانى اليه من بيعته فان يك ذلك كما بلغك فلست حمدك أردت ولا ودك ولكن الله بالذى أنوى عليم ، وزعمت أنك لست بناس ودى فلعمرى ماتؤتينا مما فى يديك من حقنا إلا القليل ، وإنك لتحبس عنا منه العريض الطويل وسألتنى أن أحث الناس عليك وأخذلهم عن ابن الزبير ، فلا ولا سروراً ولا حبوراً وأنت قتلت الحسين بن على ، بفيك الكثكث ، ولك الاثلب إنك إن تمنيك نفسك ذلك لعازب الرأى وإنك لأنت المفند المهور ، لا تحسبنى - لا أبا لك - نسيت قتلك حسينا وفتيان بنى عبد المطلب مصابيح الدجى ونجوم الأعلام غادرهم جنودك مصرعين فى الصعيد مرملين بالتراب مسلوبين بالعراء ، لامكفنين تسفى عليهم الرياح وتعاورهم الذئاب ، وتنتابهم عرج الضباع حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا فى دمائهم فأجنوهم فى أكفانهم ؛ وبى والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذى جلست يا يزيد ، وما أنس من الأشياء فلست بناس تسليطك عليهم الدعى العاهر ابن العاهر البعيد رحماً اللئيم أباً وأماً الذى فى ادعاء أبيك إياه ما اكتسب أبوك به إلا العار والخزى والمذلة فى الآخرة والأولى وفى الممات والمحيا ، إن نبى الله ﷺ قال (الولد للفراش وللعاهر الحجر) فالحقه بابيه كما يلحق بالعفيف النقى ولده الرشيد ، وقد أمات أبوك السنة جهلا وأحيى البدع والاحداث المضلة عمداً ، وما أنس من الأشياء فلست بناس إطرادك الحسين بن على من حرم رسول الله (ص) إلى حرم الله ودسك اليه الرجال تغتاله فاشخصته من حرم الله الى الكوفة فخرج منها خائفاً يترقب ، وقد كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديماً ، وأعز أهلها بها حديثاً ، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاماً واستحل بها قتالا ، ولكن كره أن يكون هو الذى يستحل حرمة البيت وحرمة رسول الله ﷺ فاكبر من ذلك مالم تكبر حيث دسست اليه الرجال فيها ليقاتل فى الحرم ، ومالم يكبر ابن الزبير حيث

ألحد بالبيت الحرام (وعرضه للعاثر (١) واهل ار العالم) وأنت لأنت المستحل فيما أظن بل لا أشك فيه أنك للمحرق العريف ، فانك حلف نسوة صاحب ملاهى فلما رأى سوء رأيك شخص الى العراق ولم يبتغك ضراباً وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ثم إنك الكاتب الى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال وأمرته بمعاجلته وترك مطاولته والالحاح عليه حتى يقتله ومن معه من بنى عبد المطلب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فنحن أولئك لسنا كآبائك الأجلاف الجفاة الاكباد الحمير ، ثم طلب الحسين بن على اليه الموادعة وسألهم الرجعة فاغتنمتم قلة أنصاره واستئصال أهل بيته فعدوتم عليهم فقتلتموهم كانما قتلتم أهل بيت من الترك والكفر ، فلا شىء عندى أعجب من طلبك ودى ونصرى وقد قتلت بنى أبى وسيفك يقطر من دمى وأنت أحد ثارى فان يشأ الله لا يطل لديك دمى ولا تسبقنى بثأرى وإن سبقتنى به فى الدنيا فقبلنا ما قتل النبيون وآل النبيين وكان الله الموعد وكفى به للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً . فلا يعجبنك إن ظفرت بنا اليوم فوالله لنظفرن بك يوماً . فاما ما ذكرت من وفائى وما زعمت من حقى فان يك ذلك كذلك فقد والله بايعت أباك وانى لأعلم أن بنى عمى وجميع بنى أبى أحق بهذا الأمر من أبيك ولكنكم معاشر قريش كاثرتمونا فاستأثرتم علينا سلطاننا ، ودفعتمونا عن حقنا فبعداً على من اجترأ على ظلمنا واستغوى السفهاء علينا وتولى الأمر دوننا ، فبعداً لهم كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ومكذبو المرسلين ، ألا ومن أعجب الأعاجيب ـ وما عشت أراك الدهر العجيب ـ حملك بنات عبد المطلب وغلمة صغاراً من ولده اليك بالشأم كالسبي المجلوب ترى الناس أنك قهرتنا وأنك تأمرت علينا ، ولعمرى لئن كنت تصبح وتمسى آمناً لجرح يدى ، انى لأرجو أن يعظم جراحك بلسانى ونقضى وابرامى فلا يستغربك الجذل ولا يمهلك الله

(١) ـ كذا فى الأصل ، ولعله (وعرضه للغائر ، وقتل به البادى والعا كف)

بعد قتلك عترة رسول الله ﷺ إلا قليلا حتى يأخذك أخذاً اليماً فيخرجك الله من الدنيا ذميماً أثيماً ، فعش لا أباً لك فقد والله أرداك عند الله ما اقترفت والسلام على من أطاع الله) .

وولى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة فاتاه ابن مينا عامل صوافى معاوية فاعلمه أنه أراد حمل ما كان يحمله فى كل سنة من تلك الصوافى من الحنطة والتمر وأن أهل المدينة منعوه من ذلك فارسل عثمان الى جماعة منهم فكلمهم بكلام غليظ فوثبوا به وبمن كان معه بالمدينة من بنى أمية فاخرجوهم من المدينة واتبعوهم يرجمونهم بالحجارة فلما انتهى الخبر الى يزيد بن معاوية وجه الى مسلم ابن عقبة فاقدمه من فلسطين وهو مريض فأدخله منزله ثم قص عليه القصة فقال يا أمير المؤمنين وجهنى اليهم فوالله لأدعن أسفلها أعلاها يعنى مدينة الرسول ﷺ فوجهه فى خمسة آلاف الى المدينة فاوقع بأهلها (وقعة الحرة) فقاتله أهل المدينة قتالا شديداً وخندقوا على المدينة فرام ناحية من نواحى الخندق فتعذر ذلك عليه فخدع مروان بعضهم فدخل ومعه مائة فارس فاتبعه الخيل حتى دخلت المدينة فلم يبق بها كثير أحد إلا قتل وأباح حرم رسول الله ﷺ حتى ولدت الأبكار لا يعرف من أولدهن (١) .

ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال بايع آية أنك عبد قن ليزيد ، فيقول لا فيضرب عنقه فاتاه علي بن الحسين عليه السلام فقال علام يريد يزيد أن أبايعك ؟ قال على أنك أخ وابن عم فقال وان أردت أن أبايعك على أنى عبد قن فعلت ، فقال ما اجشمك هذا ، فلما أن رأى الناس اجابة علي بن الحسين عليه السلام قالوا هذا ابن رسول الله

---

(١) ـ ولدت الف امرأة من « وقعة الحرة » من غير أزواج فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من استحل ذلك فى حرم رسول الله (ص) اللهم العن المشير بهذه القتلة لعناً وبيلا وأصله بفعله جهنم وساءت مصيراً . (عن هامش الأصل)

ﷺ بايعه على ما يريد فبايعوه على ما أراد ، وكان ذلك سنة ٦٢ ، وكان جيش مسلم خمسة آلاف رجل ؛ من فلسطين الف رجل عليهم روح بن زنباع الجذامى ومن الأردن الف رجل عليهم حبيش بن دلجة القينى ؛ ومن دمشق الف رجل عليهم عبد الله بن مسعدة الفزارى ، ومن أهل حمص الف رجل عليهم الحصين ابن نمير السكونى ؛ ومن قنسرين الف رجل عليهم زفر بن الحارث الكلابى ، وكان المدبر لأمر أهل المدينة والرئيس فى محاربة أهل الشام عبد الله بن حنظلة ابن أبى عامر الأنصارى .

وخرج مسلم بن عقبة من المدينة يريد مكة لمحاربة ابن الزبير فلما صار بثنية المشلل احتضر واستخلف الحصين بن نمير وقال له يا برذعة الحمار لولا حبيش ابن دلجة القينى لما وليتك فاذا قدمت مكة فلا يكون عملك الا الوقاف ثم الثقاف (١) ثم الانصراف ثم قال (اللهم ان عذبتنى بعد طاعتى لخليفتك يزيد ابن معاوية وقتل أهل الحرة فانى اذاً اشقى) ثم خرجت نفسه فدفن بثنية المشلل وجاءت أم ولد يزيد بن عبد الله بن زمعة فنبشته وصلبته على المشلل وجاء الناس فرجموه وبلغ الحصين بن نمير فرجع فدفنه وقتل جماعة من أهل ذلك الموضع . (وقيل) لم يدع منهم أحداً ، وقدم الحصين بن نمير مكة فناوش ابن الزبير الحرب فى الحرم ورماه بالنيران حتى أحرق الكعبة وكان عبد الله بن عمير الليثى قاضى ابن الزبير اذا تواقف الفريقان قام على الكعبة فنادى بأعلى صوته يا أهل الشأم هذا حرم الله الذى كان مأمناً فى الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد فاتقوا الله يا أهل الشأم . فيصيح الشاميون الطاعة الطاعة ؛ الكرة الكرة الرواح قبل المساء ، فلم يزل على ذلك حتى أحرقت الكعبة ؛ فقال أصحاب ابن الزبير نطفىء النار فمنعهم وأراد أن يغضب الناس للكعبة ، فقال بعض أهل الشام ان

---

(١) الوقاف بالكسر هو أن تقف معه ويقف معك فى حرب أو خصومة و (الثقاف) بالكسر ايضاً الخصام والجلاد . « تاج العروس »

الحرمة والطاعة اجتمعا فغلبت الطاعة الحرمة ، وكان حريق الكعبة سنة ٦٣ .

وولى يزيد سلم بن زياد خراسان وبعث معه بعدة من الأشراف أحدهم طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعى ، والمهلب بن أبي صفرة وعمر بن عبيدالله بن معمر التيمى ، وعبدالله بن خازم السلمى . فصار الى خراسان فاقام بنيسابور ثم صار الى خوارزم ففتحها ثم صار الى بخارا وملكتها (خانون) فلما رأت كثرة جمعه هالها ذلك وكتبت الى (طرخون) ملك السغد إنى متزوجتك فاقبل الي لتملك بخارا فاقبل اليها فى مائة الف وعشرين الف فوجه سلم المهلب بن ابى صفرة طليعة له لما بلغه إقبال طرخون فخرج وتبعه الناس فلما أشرفوا على عسكر طرخون زحف أصحاب طرخون اليهم والتحم القتال ورشقهم المسلمون بالنبل فقتل طرخون وانهزم أصحابه فقتل منهم بشر كثير فبلغت سهام المسلمين يومئذ للفارس الفين وأربعمائة وللراجل الفاً ومائتين ، ولم يزل ابن زياد بخراسان حتى توفى يزيد وكان يكتم موته حتى ذاع فى الناس فانصرف سلم من خراسان فاستخلف ابن خازم السلمى وذلك أنه خاف أن يثب به فداراه وبلغه اختلاط الناس فأعطاه عهده ومضى وأقام ابن خازم بخراسان فعمل العجائب ولم يكن يرد عليه وسار سليمان الى هراة ووثب أوس بن ثعلبة بالطالقان فلم يزل يحاربها ويحارب الترك وهو فى كل ذلك منصور عليهم .

وتوفى يزيد بن معاوية فى صفر سنة ٦٤ بموضع يقال له (حوارين) وحمل الى دمشق فدفن بها وصلى عليه معاوية بن يزيد ، وكان له من الولد الذكور أربعة معاوية وخالد وابو سفيان وعبدالله ، وكان الغالب عليه حسان بن بحدل الكلبي وروح بن زنباع الجذامى ، والنعمان بن بشير وعبدالله بن رياح ، وكان على شرطه عبدالله بن عامر الهمدانى ، وعلى حرسه سعيد مولى كلب ، وحاجبه صفوان مولاه

وكتب مروان بن الحكم الى الحصين بن نمير وهو فى محاربة ابن الزبير لايهولنك ما حدث وامض لشأنك ، وبلغ الخبر ابن الزبير وذاع فى العسكر فانكسرت

شوكة القوم وأرسل الحصين بن نمير الى ابن الزبير نلتقى الليلة على الأمان فالتقيا فقال له الحصين بن نمير إن يزيد قد مات وابنه صبي فهل لك أن أحملك الىالشام فليس بالشام أحد فأبايع لك فليس يختلف عليك اثنان؟ فقال ابن الزبير رافعاً صوته : لا والله الذى لا إلهَ إلا هو أو تقتل بأهل الحرة امثالهم من أهلالشأم فقال له الحصين من زعم أنك داهية فهوأحمق ، أقول لك ما لك سراً وتقول لى ما عليك علانية ، ثم انصرف وكان سعيد بن المسيب يسمى سنى يزيد بن معاوية بالشؤم ، فىالسنة الأولى قتلالحسين بن على عليه السلام وأهل بيت رسولالله صلى الله عليه وسلم والثانية استبيح حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهكت حرمة المدينة . والثالثة سفك الدماء فى حرم الله وحرقوا الكعبة .

وأقام الحج فى ولاية يزيد بن معاوية سنة ٦٠ عمرو بن سعيد بن العاص وفى سنة ٦١ الوليد بن عتبة وفى سنة ٦٢ الوليد بن عتبة بن ابى سفيان ، وغزا بالناس فى ولايته ، سنة ٦١ غزا مالك بن عبدالله الخثعمى الصائفة (١) وهى غزاة سورية .

أيام معاوية بن يزيد بن معاوية

ثم ملكمعاوية بن يزيد بن معاوية ـ وأمه أم هاشم بنت أبى هاشم بنعتبة ابن ربيعة ـ أربعين يوماً (وقيل) بل أربعة أشهر ، وكان له مذهب جميلفخطب الناس فقال (أما بعد : حمد الله والثناء عليه ، أيها الناس : إنا بلينا بكم وبليتم بنا فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم عليناألا وإن جدىمعاوية بنابى سفيان نازع الأمر من كان أولى به منهفى القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأحق فى الاسلامسابقالمسلمين واول المؤمنين وابن عم رسول رب العالمين وأبابقية خاتم المرسلين فركب منكم ما تعلمون وركبتم منه ما لا تنكرون حتى اتته منيته وصار رهناً بعمله ثم قلدأبى

(١) الصائفةغزوة الروملأنهم كانوا يغزون صيفاً لمكانالبردوالثلج(القاموس)

وكان غير خليق للخير فركب هواه واستحسن خطأه وعظم رجاؤه فاخلفه الأمل وقصر عنه الأجل فقلت منعته وانقطعت مدته وصار فى حفرته رهناً بذنبه وأسيراً بجرمه) ثم بكى وقال (إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه وقد قتل عترة الرسول ﷺ وأباح الحرمة وحرّق الكعبة وما أنا المتقلد أموركم ولا المتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم فوالله لئن كانت الدنيا مغنما لقد نلنا منها حظاً وإن تكن شراً فحسب آل سفيان ما أصابوا منها) فقال له مروان بن الحكم سنها فينا

عمرية قال (ما كنت أتقلدكم حياً

وميتاً، ومتى صار ابن يزيد

مثل عمر، ومن لى

برجل مثـــل

رجال عمر)

وتوفى وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وصلى عليه

خالد بن يزيد بن معاوية (وقيل) بل عثمان بن محمد بن ابى سفيان

ودفن بدمشق وكان بها ينزل.

(تجز الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث، أوله أيام مروان بن الحكم)

(وعبدالله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان)

فهرس مواضيع الجزء الثانى